تقديم إلى الساحة المقدسة

سيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء عليها السلام

اليوتوبيا والديستوبيا،
والدولة المهدوية الكريمة

إسماعيل شفيعي سروستاني

اليوتوبيا والديستوبيا، والدولة المهدوية الكريمة
المؤلف: إسماعيل شفيعي سروستاني
التنقيح: وحدة البحوث بمؤسسة موعود العصر(عج) الثقافية
الناشر: هلال
الطبعة: الأولى، ٢٠٢١
مكان الإصدار: طهران

عنوان الناشر: صندوق بريد ١٤١٥٥.٨٣٤٧
الهاتف: ٦٦٤٥٩٠٣٧ فكس: ٦٦٤٥٩٠٢٣
المعرض على الإنترنت: www. yaranshop. ir

الفهرس

المقدمة ٧
الفصل الأول: اليوتوبيا والديستوبيا ١١
منظرو اليوتوبيا ١٣
الديستوبيا، مدينة العصر الحديث الفاسدة ٢٥
المدينة الفاضلة واليوتوبيا والإنسان ٦٥
الغوييم، أغيار غير مقدسين ٦٩
الفصل الثاني: الدولة الكريمة؛ ليست يوتوبيا! ٨٧
الكمالية؛ سمة مغروسة في البشر ٨٩
التاريخ الحديث للغرب واليوتوبيا! ٩٣
طلب الكمال؛ طلب الروح ٩٩
الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، مؤسّس دولة الحق وآخر الدول ١٠٩
تأسيس المدينة وكمال الإنسان ١١٥
الغائية والصيرورة في الفكر الديني ١٣٣
تجربة مقام الإثمار؛ مقام المعرفة للإنسان ١٤١
الفصل الثالث: حكمة الحوادث والنجاة من الابتلاءات ١٥٥
السنن الإلهية ١٥٧

طلب النجاة..... ١٦٣
الصّبر مفتاح الفرج! ١٨٠

المقدمة

الحمد لله بـــارئ الخلائق أجمعين من الأولين والاخرين؛ ومدبر الليل والنهار بين خلق الأرضين؛ ومقيم خلافة الصالحين ومالك يوم الدين!

بغض النظر عن التعاريف المختلفة التي قدمت لمفردة «الثقافة» في الآداب، فان أي حقل ثقافي، مبني وقائم على انطباع كلي حول العالم وينطوي على تعريف خاص عن الإنســـان، إن أتيح له الحضور وفســـح له المجال للظهور في جغرافيا الحياة المادية، فانه يســـهم في نشـــأة حضارة خاصة به؛ مثلما حدث في الأزمنة الغابرة، وبنيت مناطق ثقافية وحضارية عديدة في أقاصي المعمورة، أو أنها زالت.

ومن هـــذا المنطلق، وضمن التراتيبية، فان ثلاثة أمـــور هي «الفكر» (بمعنى التوجـــه والانطباع العام عن العالم والإنســـان) والثقافة والحضـــارة (بمنزلة الوجه المـــادي والموضوعي للفكر والثقافة) وبمحـــاذاة أحدها الاخر، تبرز موقع الحياة الثقافية والحضارية للأمم في مختلف العصور، وتضفي عليها معنى.

إن **المدينـــة**، تمثل أبـــرز وجه وأكثره مادية لمنطقة ثقافيـــة وعقائدية، إذ تقوم بجانـــب ترتيـــب وتنظيم العلاقات بين الناس، بإعداد إمكانية تنشـــئة وتشـــكيل ســـكانها بما يتطابق مع نشـــأة منطقـــة ثقافية ما. وبالأحرى، فان الانســـان في المدينة، يجد ضربا من التجانس والتناغم مع المدينة القائمة، ويتحول إلى مرتكز لظهور وتجسيد المنطقة الثقافية والعقائدية الخاصة.

ويمكن القول أنه ومن أجل معرفة أي منطقة ثقافية، أنظرو إلى سكانها ومن نشأ فيها، ولمعرفة الأناس، أنظرو إلى المنطقة الثقافية والحضارية التي تربوا وترعروا فيها.

إن الفكر وعلم الوجود ومجموعة القناعات والمعتقدات حول العالم والانسان، والمدن، تمثل أبرز وأوضح الطبقات عن أي منطقة ثقافية وحضارية واسعة النطاق.

وطيلة تاريخ وجود البشرية على جغرافيا الأرض، نشأت مناطق ثقافية وحضارية عديدة، كل حسب الانطباعات الدينية والأسطورية والفلسفية عن الكون والوجود، وشيدت مدن كثيرة؛ في ضوء مجموعة من العلاقات والتعاملات المادية التي أضفت دلالة على طريقة وجود بني البشر المنتمين لذات العصر وعيشهم وحددت نهجا ومسارا لهم.

إن الاستفسار عن المناطق الثقافية والحضارية السابقة واللاحقة، وقياس مدى تطابق كل منطقة مع النشأة الفطرية والباطنية للانسان والانطباعات الوحيانية للأنبياء الإلهيين، يفتح بابا خاصا في حقل الدراسات الثقافية.

إن هذا الكتاب الذي بين أيديكم لا يتولى مهمة القياس والتدقيق الشاملين في هذا الأمر الخطير؛ لكنه بصدد الإعلان: أولا، أن المدن في أي دهر وزمان، كانت موقع ظهور وتجلي مناطق فكرية وثقافية بعينها، وأن مخططي المدن، هم أناس يخططون ويشيّدن المدينة بما يتلاءم مع نشأتهم الثقافية والفكرية؛ ثانيا، يمكن توقع أن حضارات أخرى ستجد مجالا للظهور مستقبلا وهي قابعة اليوم في أفئدة الناس وصدورهم وتنتظر أن يحين وقت اخر.

إن المدن الفاضلة للفلاسفة وبعض أنصار اليوتوبيا، تندرج ضمن المدن التي لم تبصر النور أو لم تكن تملك الجهوزية اللازمة للظهور والتكوين.

إن المدن، مهما كانت ومهما تكن، تحتضن الأناس فيها؛ أولئك الذي نشدوا بالفطرة، الكمال والازدهار وتفتق المواهب والنجاة من المتاعب والمصاعب، وسعوا جاهدين بناء على رغبتهم الباطنة لنيل مطالبهم الحقيقية، عن طريق مدن

الأرض والدنيا. وفي هذا الخضم، فان ثمة عوامل وأسـبابا عديدة، خفية وظاهرة، جـرّت أبناء آدم إلى صحراء قاحلة تقطنها الوحوش المفترسـة والبهائم. إن تلك الأسـباب، أسست ومهدت لدمار واضمحلال مدن (ديستوبيا) لم تجلب سوى الشقاء والتعاسة لبني الانسان.

إن الديسـتوبياويين وكتاب الديستوبيا، يعكسون هذه الطرق الملتوية ويؤشرون إلـى كيفية تصدي الانسـان للمتاهات والأزمات. ومع ذلك، فان بني الانسـان وبنـاء على الانجذاب الباطني، يبحثون عن النجاة والخلاص، ويرنون إلى الطريق عسـى أن يصل منقذ سماوي من بين التجارب المكتسبة وزحام الأزمات والطرق المسدودة المرهقة، ويأخذ بايديهم إلى المدينة الآمنة والمدينة الطيبة.

وكيف سـتحدث هذه الواقعة المذهلة والحلوة وأي من الأنصار والمؤسسات المتيقظة، ستدعم وترفد مؤسس تلك الدولة الكريمة وتوجهاته السماوية؟

ويسـعى هذا الكتاب، لإماطة اللثام عن هذا الكامـن في الأحلام والآمال، وعرض موقع سكان المدن المهدمة وتبيان مدى تطابق الدولة المهدوية الطيبة مع النشأة الباطنية والمغفول عنها لبني الانسان.

وسـنح شـهر رمضان عام ١٤٤١ للهجرة الفرصة للكاتب للخوض في هذه الموضوعـات، وذلك فـي خضم الرجاء والخوف العامين لسـكان المعمورة من فيروس كورونا.

وأهدي هذا الجهد المتواضع للسـاحة القدسـية لسيدة نساء العالمين، بنت الرسـول الأكرم صلى الله عليه وآله، **السيدة فاطمة الزهراء** عليها السلام؛ عسـى أن ينال رضا الطبع الودود لمؤسس الدولة المهدوية الكريمة؛ إن شاء الله.

إسماعيل شفيعي سروستاني

الفصل الأول

اليوتوبيا والديستوبيا

منظرو اليوتوپيا

إن **اليوتوبيـا**[1] هي في الحقيقة مفردة يونانية ومكونة من كلمتين هما «Ou» وتعني «لا» أو «العدم» و «Topos» بمعنى «المكان"؛ المكان الذي لا وجود له على أرض الواقع، اللامكان.

وقـد صاغها للمرة الأولى **توماس مور**[2] (١٤٧٨-١٥٣٥م.) وزير هنري الثامن ملك بريطانيا، وجعلها عنوانا لكتابه. وسـعى فـي هذا الكتاب لتقديم صورة عن المجتمع المثالي، الذي يفتقد إلى مشاكل المجتمع الانساني. وذاع صيت كتاب مور في القرن السـادس عشـر للميلاد الذي شـكل منعطفا مهما في التطورات الاجتماعية والسياسية لاوربا.

ويوطوبيا مور، حسب المترجمين الايرانيين هو:

الكتـاب الذى تحول إلى مصـدر للعديد من الأعمال فـى أوروبا حول المجتمـع المثالى وهيكليته وبنيته ... وكذلك كتاب ينطوى فى حد ذاته

---

1. Utopia.

٢. **السـير توماس مور** (Sir Thomas More؛ ٧ فبراير ١٤٧٨ - ٦ يوليو ١٥٣٥م.) كان قائداً سياسـياً ومؤلفاً وعالمـاً إنجليزيـاً عاش في القرن ١٦م. يتذكر عادة لمفهوم اليوطوبيا أو المدينـة الفاضلة في كتابه اليوتوبيا. وهو قديس حسـب الكنيسـة الرومانية الكاثوليكية. عارض طلاق هنري الثامن لكاثرين من آراغون، ورفض الاعتراف به كرئيس للكنيسـة الرومانية الكاثوليكية في إنجلترا، فحبس وقطع رأسـه في برج لندن. اعتبرته الكنيسة البريطانية «شهيد الإصلاحات». وكان من معارضي ومنافسي الإصلاح والبروتستانتية وعلى وجه التحديد **مارتين لوثر** و**ويليام تيندل**. [من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة]

علـى جوهر الكثير من الكلام الذى أثير لاحقا فـى الحضارة الأوروبية، ومن هذا المنطلق، كتاب على صلة وعلاقة وثيقة ومعمقة بمصير ومآلات الحضارة الأوروبية...[١]

ويقـول الدكتور **رضا داوري أردكاني** في معرض تبيانـه للبعد الأرضي والدنيوي لليوتوبيا:

لقد قلنا بان «اليوطوبيا» هو إسم كتاب لتوماس مور ويعنى «اللا مكان». ولا يجب الخلط بينه وبين «اللا مكان» الوارد فى رسالة «نداء جبرئيل» للشـيخ شـهاب الدين سـهروردى. فهذا اللا مـكان، هو بلـدة الزعماء الروحيين ... «والإقليم الذى لا يصل إليه إصبع السبابة.» لكن اليوطوبيا، هى مدينة أرضية، يشـغل أهلها منصبا وموقعا معينين، وقرر ذلك قانون المدينة – الذى هو قانون بشرى وأرضى–.[٢]

وتعـد **كتابـة اليوتوبيا** من متطلبـات العصر الجديد للغـرب، ومنذ أن أعرض الانسـان عن السـماء والجنة التي تعد بها الديانات السماوية، أخذ يبحث عن مدينة على غرار الجنة في الأرض.

ولا يوجد فى هذه الجنة الأرضية، الموت والاستكمال والعشق والفكر... وفى اليوتوبيا، فانهم يشبهون الناس، بالملائكة؛ بيد أن صفاتهم الملائكية لا علاقة لها بالدين.[٣]

وقد أدار الغربيون، ظهورهم للسـماء، وبحثوا عـن مجمل أحلامهم وآمالهم في اليوتوبيا المنشـودة، واعتبروا مجئ وذهاب كل من الإيديولوجيات السياسـية والاجتماعيـة، منزلا من منازل الطريق الحافـل بالتعرجات والتقلبات لذلك «اللا مـكان"؛ لكنه لم يمض وقت حتـى أنهم باتوا مطرودين من السـماء ومنبوذين

١. **مور، توماس**، «المدينة الفاضلة»، ترجمة **نسـرين مجيدي ومرضية خسـروي**، طهران، روزكار نو للنشـر، الطبعة الأولى، ١٣٩٣، مقدّمه.
٢. **داوري أردكاني، رضا**، «اليوتوبيا وعصر النهضة»، طهران، ساقى للنشر، الطبعة الأولى، ١٣٧٩، ص ٣٣.
٣. المصدر السابق، ص ٣٤.

وحيارى في الأرض.

وكتب كوندورسيه[١] الفيلسوف والعالم الفرنسى فى القرن الثامن عشر للميلاد أن جميع تطلعاتنا حول المستقبل، تختزل فى هذه الأحلام الثلاثة: الأول، أن تزول الخلافات وعدم التكافؤ والمساواة بين الأمم؛ والثانى أن تبلغ المساواة مرتبة الكمال فى حياة كل أمة، وأخيرا، الحلم الثالث أن يتحقق «كمال البشرية» و «البشرية الكاملة". إن كلام كوندورسية عذب ومبهج؛ لكن عذوبته تكمن فى أنه حلم والحلم يجب أن يكون مبهجا ولطيفا. ويمر زهاء قرنين من الزمن على تبيان كوندورسية حلمه وحلم الأمم الغربية، بيد أن هذا الكلام، فقد أثره الذى كان عليه فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد وحل محله حب «الفاليوم» والحبوب المهدئة والمخدرة الاخرى.[٢]

إن تأسيس اليوتوبيا في الأرض، بقي حبيس أعمال كتاب اليوتوبيا وقبر مع الأحلام التي لم تتحقق لبشرية العصر الحديث، وبقي الانسان عالقا في مكان ما بين الأرض والسماء. وشيدت حضارة تتنكر لله وعلى أرضية المنطقة الثقافية والفكرية الخاصة بها، والمستندة إلى المذهب الانساني والدنيوية والإباحية؛ نظام حافل بدنس الرأسمالية والأزمات القاسية في آخر الزمان.

إن «الحضارة الغربية» بوجهها المكيافيلى، هى حضارة زائفة، وأن الرئاسة وهذه الصفة، تكمل سلطتها السياسية والعسكرية والاقتصادية، ولا يقتصر الأمر طبعا على هذه السياسة أو تلك الإيديولوجية؛ لان الإيديولوجيات والسياسات، هى مظهر وتابع للحضارة.[٣]

---

١. **ماركيز دو كوندورسية:** وهو رياضيّ وفيلسوف فرنسي ومتخصص بالعلوم السياسية. يُعتبر أحد أشهر دعاة الإصلاح التربوي في عصره. لعب دوراً كبيرا في الثورة الفرنسية. لاحقه اليعاقبة عام ١٧٩٣م. فاختفى عن الأنظار لمدة تسعة أشهر، حتى إذا اعتقلوه تجرّع السّمّ ومات لكي لا يتحول فريسة للمقصلة. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة)

٢. **داوري أردكاني، رضا**، «اليونوبيا وعصر النهضة»، ص ٣٥.

٣. المصدر السابق، ص ٣٧.

إن يوتوبيـــا الغرب الحديث وظهورها فـــي ذلك الفجر الذي تم فيه الانفصال عن الســـماء وعقد الآمال على الأرض، على أمل تأســـيس جنة في الأرض، كان الشـــيطان قد همس بها في أذن اليهود، على أمـــل تحقيق حياة بلا موت وعمر رغيد وطويل يستمر إلى الأبد!

وبعـــد **توماس مور**، قام كتاب يوتوبيا كثر، برســـم لا أمكنة فـــي الآفاق النائية لسكان الغرب وأشاروا بالبنان إليها.

ومن بين هؤلاء يمكن الإشـــارة إلى «أتلانتيس»[١] لـ **فرانسيس بيكن**[٢] و «**شهر الشـــمس**»[٣] لـ **توماســـو كامپانـــلا**[٤] و «أوشـــيانا»[٥] لـ **جيمز هارينغتـــون**[٦] و «المدينة الذهبية»[٧] لـ **فرانسوا ماري**[٨] الملقّب بـ **فولتير**[٩] و... .

وحتى أن أشـــخاصا مثـــل ماركس وأنصاره، أقامو اليوتوبيا الشـــيوعية وعديمة الطبقات في الظاهر، على كاهل العمال الثوريين ضد النظام الرأســـمالي، وأضافوا صفحات سوداء في سجل كتابة اليوتوبيا.

وربما لم يكن معلوما وواضحا بالنســـبة للذين خاضوا تحديا وأصروا على هدم الثقافة التقليدية ونبذ أســـسها النظرية والفكريـــة (التفكير بالموت وطلب الكمال والعشق والفكر)، أين يكمن المنزل الأخير.

إن النازية الهتلرية في ألمانيا والثورة البلشـــفية والاشـــتراكية بالاتحاد السوفيتي والليبرالية الرأســـمالية في أمريكا، لم تكن ثلاثة تيارات انحرافية تلقي بظلالها على يوتوبيا العصر الحديث؛ بل بمنزلة الأبناء المباشـــرين والمقابل الخارجي والظهور المشهود والمادي للفكر المتبلور في أعماق مؤسسيها في الخفاء والعلن.

---

1. New Atlantis.
2. Francis Bacon.
3. The City of the Sun.
4. Tommaso Campanella.
5. The Commonwealth of Oceana.
6. James Harrington.
7. The lost golden city
8. François-Marie.
9. Voltaire.

ويؤشـــر هذا الكلام إلى أن كمال البشـــرية، لا يتجسد في رقي الحياة المادية والتقدم التكنولوجي؛ رغم أننا لا نقلل من شـــأن الجهـــود المبذولة لجعل الحياة في العصر الحديث، أكثر راحة، لكن ضالة البشـــرية ليست الراحة ولا أن المنزل الأخير لسير الانسان في الكون والوجود، يتمثل في نيل الرفاهية والراحة، حتى يريد التخلي عن أســـمى جوهر وجوده للوصول إليها وينبذ الكمال الحقيقي من أجلها ويتحول كالرقيق إلى عبد عديم الإحساس والفكر، لأسياد السلطة.

ولا يخفـى على أحد أن الانســان فى الحضارة الغربيــة، حرّ إن بقى فى إطار المبادئ والأســس النظرية وقواعد التطبيق والمثل والقيم المعمول بهــا فى هذه الحضارة، خاصة وأن حريــة تصرفه تمتد إلى تلك الحدود التى تتناغم مع أغراض وغايات الحضارة.

ومن خلال إلقاء نظرة إجمالية على الحقبة الجديدة لتاريخ الغرب، يمكن القول أن حرية التعبير عن الرأى والمعتقدات الدينية موجودة على ســبيل المثــال. ولا أحد يعاقــب الاخر بجريمة الردة، وهــذا صحيح طبعا. وثمة حريــة فى الإقلاع عــن الدين؛ لان هذه الحضارة هــى حضارة غير دينية أصلا وتملأ الآذان فى كل موقع ومكان من أن جميع الناس وبغض النظر عن معتقداتهم الدينية والعرقية والقومية و... بوســعهم العيش معا بصورة ســلمية (وأن يعملوا طبعا معا لتحقيق غايات الحضارة)؛ لكن هذه الميول، قابلــة للإطاقة طالما اتخذت طابعا رســميا وألا تترتب عليها آثار جادة؛ وبغير ذلك، فان الفكر الدينى غير قابل للتحمل فى الحضارة الجديدة.[١]

إن الإرادة الميالة للســلطة، تمثل أنسب تعريف وأشمله للانسان المعاصر في العصر الحديث واليوتوبيا الغربية. إن كلا من أبناء البشر، وحسب موقعه وقدراته، قد تحول إلى «أنا»؛ وميال إلى الســلطة وممارســة الســلطة على غيره، وبذات القدر، استغرق في الساحة المادية للحياة، وبعده الحيوي، ويصر عليه.

١. **داوري أردكاني، رضا**، «اليوتوبيا وعصر النهضة»، ص ٣٩.

وقد قدم جورج اورويـــل البريطاني،[1] في رواية «١٩٨٤» صورة وثيقة عن عصر القوة والإستيلاء وعصر الإرادة الميالة للسلطة.

وتعد هذه الرواية، بيانا سياسيا بارزا في نقد ودحض النظم الشمولية وعلى وجه التحديد «الشيوعية». وفضلا عن ذلك، فان الشخصية الرئيسية في رواية ١٩٨٤، هو **ونســتون**. إنه يعيش ويعمل في مجتمع ديســتوبيائي؛ الوطن الذي يخضع كل شئ فيه للرقابة والمراقبة.

إن الديســتوبيا[2] هو مجتمع خيالي ترسم فيه الرذائل والمفاسد، بهدف الإتعاظ والإعتبار الأخلاقي أو السياســي. وتقع الديستوبيا «المدينة الفاسدة» على طرف نقيض من اليوتوبيا «المدينة الفاضلة».

اليوتوبيا التي انقلبت إلى ديستوبيا!

وقد دخل ســكان القرن الثامن عشر للميلاد، وهم يحلمون باليوتوبيا (المدينة الفاضلة) لنيل التقدم والرقي، الساحة من دون إسناد ورافد، وأغمضوا أعينهم على كل الســوابق واللواحق العرقية والوطنية والدينيــة، ليتحركوا صوب العالم الحديث والحداثة. وســكان اسيا وافريقيا، ساروا هم الاخرون، لكن بتأخير دام مائتي عام، علــى خطى الغــرب، وبالرغم من أنهم بمن فيهم «اليابان» لــم يتحولوا غربيين، لكنهم انبهروا بالغرب والماكنة، وبقوا عالقين في موقع ما بين الأرض والسماء.

وقد أزاح القرن العشــرين، الســتائر تدريجيا وكشف للبشــرية زحمة وأنقاض المــآزق والأزمات، وأوضــح أن يوتوبيا الحلم ببريقها وبهرجتها، هي الديســتوبيا وعالم الواقع المرير ليس إلا.

إن ما حــل بجميع العلاقات الفردية والاجتماعيــة والثقافية والحضارية لأمم العالــم طيلة القرون الأخيرة – مــا بعد عصر النهضــة – وتطابقه مع محتويات

---

١. وكان **إريك آرثر بلر** وإسمه المستعار **جورج أورويل** (١٩٠٣–١٩٥٠م.) روائيا وصحفيا وناقدا أدبيا وشاعرا بريطانيا.
2. Dystopia.

بروتوكولات حكماء صهيون، يمثل دليلا دامغا لإثبات صحة جزء ملحوظ من كل تلك الخطط والبرامج.

إن بروتوكولات حكماء صهيون هي مجموعة من التعليمات والبرامج المنسوبة إلى جمع من علماء اليهود الصهاينة لنسف الصرح الأخلاقي والعقائدي للناس والتمهيد للهيمنة على العالم.

وللمرة الأولى، وبفترة وجيزة أعقبت الحرب العالمية الأولى، تمت ترجمة هذه المجموعة من اللغة الروسية إلى الانجليزية وإصدارها. وعلى مدى السنين الماضية، جرت حوارات ونقاشات كثيرة في دحض أو إثبات هذه البروتوكولات وعما إذا كانت منسوبة إلى حكماء اليهود. والبعض، اعتبر كل ذلك، ناتجا عن نظرية المؤامرة والتزوير، وسعى لدحضه.

وتعويلا على المقولة المنطقية والمعقولة:

اَدَلُّ الدّلِيلِ عَلَى امكَانِ الشّيء، وُقُوعُه.

فان جمعا من المفكرين الغربيين – وكما أسلفنا – ومن بعدهم، الفنانين وحتى السينمائيين، اطلعوا على صحة ما كان يجري، أو أنهم حاولوا من خلال رصد العلاقات والتعاملات السارية، لتقديم صورة جلية عن الأحداث عسى أن يذكّروا الناس بشكل مباشر أو غير مباشر وعن طريق طرح انتقادات لاذعة، للحؤول دون ديمومة هذا التيار. متجاهلين من جهة أن السهم قد انطلق من النشاب وسيتقدم حتى آخر مرحلة ومرتبة وطاقة كامنة، ومن جهة أخرى، فان ثمة عوامل تتخفى في الظل، وتستقر في المحافل الخفية، تعمل على غرار العوامل التي تحرك الدمى، وتوزع أدوارا على الدمى المتحركة في المشهد السياسي والاقتصادي والثقافي، وتحثها على الحركة، لكي تصاغ القصة بما يتلاءم ويتطابق مع مطلبهم.

وفي الحقيقة، فان تحريك الدمى، هو تجسيد ملموس لفكر وتدبير محركيها؛ مثلما أن العلاقات الثقافية والمناسبات الحضارية الفعلية، هي بالمجمل، تجسيد ذاتي للفكر والتوجهات العامة للبشر الذي يتابعها كلها علما أو من دون علم،

متأثرا بمذاهب واستراتيجيات مؤسسيها، وبات يؤمن بها، وأصبح الان، كمؤمن وراهب، يراعيها كلها، لكي يكون مقربا ومقبولا.

إن الحديث عن يوتوبيا اليهود، معطوف على الحلم الذي جسد في العيون؛ السحر الذي أخفى ببطانه، ديستوبيا ومجتمعا مخيفا، لكي يتحصل اليهود على كاهله، إمكانية إقامة مدينتهم الفاضلة العالمية.

المدن الفاسدة على شاشة السينما

وبعد أن جرّب عامة سكان العالم العصري، من الأعماق، «المدن الفاسدة العالمية»، كان السينمائيون الأنجح في إعطاء صورة عن مستقبل وحاضر منفيي الديستوبيا القائمة، وكل هؤلاء استندوا طبعا إلى أعمال أدبية لكتاب الدراما والروائيين، بمن فيهم **آلدوس هكسلي**[1] (١٩٩٤-١٩٦٧م.) و**جورج اورويل** (١٩٠٣-١٩٥٠م.) واخرين، ممن أرسوا أساس أدبيات «المدينة الفاضلة المضادة».[2]

ويعد **يفغيني زامياتين** (١٨٨٤-١٩٣٧م.) مؤلف كتاب «نحن»، صاحب أول عمل متعلق بالمدينة الفاضلة المضادة[3] بالقرن العشرين.

وتندرج أعمال بما فيها «مزرعة الحيوان»[4] (**جورج أورويل**) و «العالم الطريف»[5] (**ألدوس هكسلي**) و «١٩٨٤» (جورج أورويل) و «فهرنهيات ٤٥١»[6] (**راي**

1. Aldous Huxley.
2. Dystopian literature.
٣. إن المدينة الفاضلة المضادة أو المدينة الفاسدة، هي مجتمع أو تجمعات سكنية خيالية في القصص العلمية الخيالية، تهيمن فيها الصفات السلبية بالكامل، ولا يرجو أي انسان العيش فيها. إن هذه المجتمعات، تظهر عادة، توقيت من مجتمع ما، يكون قد بلغ مرحلة الفوضى والفناء. إن هذه المجتمعات، يتم ترسميها في توقيتات سيئة ومشؤومة، يمكن تسميتها بالزمن الردئ. وفي ضوء هذا التعريف، فان مجتمعا فاضلا مضادا، يقف على طرف نقيض من المجتمع المثالي (المدينة الفاضلة).
4. Animal Farm.
5. Brave New World.
6. Fahrenheit 451.

برادبـري)[1] و «فى فور فندتا»[2] **(ألـن مور)**[3] و «اصطدام»[4] **(جيمز غراهام بالارد)**[5] و «الجبال البيضاء»[6] **(جون كريسـتوفر)**[7] و «ميرا»[8] **(كريستوفر فرانك)**[9] «حكاية الجارية»[10] **(مارغرت اتوود)**[11] و... ضمـن أدب المدينة الفاضلة المضادة. وقد أنتجت أفلام سينمائية وألعاب كومبيوترية وحتى مقطوعات موسيقية كثيرة تأسيسا على بعض هذه الأعمال.

وينطـوي كل من هذا الأعمال، علـى نبؤات حول المسـتقبل وملحوظات حول العصر الحاضر وكيفية الوجود في هكذا مجتمعات. وبلا شـك، فان بعض هذه الأعمال، ليسـت بمنأى عن أثر الأنظمة والمذاهب السياسـية والاجتماعية الخاصة والشهيرة، وتعتبر الديستوبيا المرسومة في أدبياتها، مستنسخة ومصورة عن المجتمع القائم على إيديولوجيا بعينها بما فيها الاشتراكية والشيوعية.

وفي عصر الحرب الباردة العصيب وفي عصر نشأة النظام الاشتراكي «الإتحاد السوفيتي»، فان بعض أدبيات المدينة الفاسدة، حاول رسم هكذا مجتمعات. إن العمليـن البارزين وهما «مزرعة الحيوان» و «١٩٨٤» ل جورج أورويل البريطاني همـا من هذا القبيل. ومع ذلك، فان بؤس وتعاسـة الانسـان المصاب بالحياة التكنولوجية للعصر الحديث، بادية فيها بصورة جيدة.

إن أعمـال اليوتوبيا، مليئة بعنصر الخيال والمثاليـات التجريدية الذهنية، ولا تكفـل أي إجراء فعلي لبلوغ الحقائق الملموسـة؛ أما أعمال الديسـتوبيا، فهي أكثر محسوسـية وواقعية؛ رغم أنها ليست خاوية من التضخيم، في سبيل ترسيخ

1. Ray Bradbury.
2. V for Vendetta.
3. Alan Moore.
4. Crash.
5. James Graham Ballard.
6. The White Mountains.
7. John Christopher.
8. Mortelle.
9. Christopher Frank.
10. The Handmaid›s Tale.
11. Margaret Atwood.

الموضوع في أذهان القراء.

وعلى الرغم من أنه لا يمكن مشاهدة نماذج عن أي من المدن الفاضلة الفلسفية بما فيها «المدينة الفاضلة» لأفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق.م.) و «مدينة الشمس» لتوماسو كامبانيلا[1] (١٥٦٨-١٦٣٩م.) و«المدينة الفاضلة» لتوماس مور، على وجه المعمورة، وهي بمنزلة أحلام لم تتحقق وقيدت على الورق فحسب، بيد أنه يمكن الإشارة إلى مصاديق ونماذج متعددة من الديستوبيا.

وأي قارئ، يقرأ «مزرعة الحيوان» و «١٩٨٤» ويشاهد فيلم «متروبوليس»[2] (١٩٢٧م.) الذي يعود لعصر السينما الصامتة سيجد المصاديق الملموسة والخارجية للأبطال والوقائع التي ورد وصفها في الأعمال الأدبية والفنية، ويصنع منها مصداقا في ذهنه.

واللافت أن معظم أعمال الديستوبيا التي تؤشر وترسم المدن الفاسدة، متعلقة بالقرن العشرين. لماذا؟

إن التاريخ الحديث للغرب ومع تجاوزه القرن السادس عشر ونهضة الإصلاح الديني في «ألمانيا» وتخطيه للمنشأ والموطن الفكري والقيمي للكاثوليكية، دخل عهدا وعصرا كان عليه إنصافه، من أجل تجاوزه.

إن عصري النهضة والتنوير، كانا مراتب، اجتازهما الانسان الغربي للولوج إلى الميادين الفكرية، ومرّ في القرن الثامن عشر، بمجال ثقافي شامل، ووطأت قدماه المنطقة الحضارية الحديثة من خلال اكتشاف القارة الامريكية والثورة الصناعية في بريطانيا.

إن القرنين التاسع عشر والعشرين، كانا بمنزلة معرضين كبيرين للحضارة العصرية التي بنيت على أكتاف الثقافة وعلم الوجود الفلسفي للقرون التي سبقتهما، وبالأحرى، تجسدت في هذين القرنين، كل طاقات تلك المنطقة الفكرية

١. **توماسو كامبانيلا** (Tommaso Companella)، وكان فيلسوفا وشاعرا وراهبا إيطاليا. وأشهر أعماله هو «مدينة الشمس»، يرسم فيه كجمهورية أفلاطون، مجتمعا مثاليا يحكمه الفلاسفة.

2. Metropolis.

والثقافية، في هيئة حضارة عصرية وحديثة وعلاقات وتعاملات خاصة لسكان هذا العصر؛ الواقعة التي لم يكن لسكان القرنين السادس عشر والسابع عشر وحتى الثامن عشر، أن يحملوا تصورا جليا عنها؛ لكنها كانت على أي حال، طفلا، ترعرع ونما وبلغ أشده في القرن العشرين، وتجلت بذلك ساحاته الخفية والجلية، للبرية وانكشف للجميع كيف ستكون مآلاته!

ولهذا السبب، فان كتاب الديستوبيا بالقرن العشرين، كانوا يدونون على صفحاتهم وأوراقهم أو يعرضونه على الشاشة الفضية، ما يشاهدونه ويتلموسنه.

ولا يجب تجاهل أن الفنانين يجب أن يتقدموا بخطوة على الاخرين. المبلغون الذين يذكرون متابعيهم وأناس عصرهم، بالتحديات التي يواجهونها.

إن هؤلاء وفي ظل رؤية الأفق المنظور، كانوا أيضا المبشرين بانهيار الديستوبيا الغربية؛ لانهم كانوا يعتبرون تلك المدينة البائسة وسكانها التعساء، يفتقدون **إلى السند السماوي ومستندة إلى تعاريف غير حقيقية وأحادية الأوجه** عن العالم والانسان، وكون العلاقات والتعاملات الجارية فيها **جائرة**، ومصابة بضرب من التقهقر الأخلاقي وبالتالي بعيدة كل البعد عن **المنشأ الباطني** للانسان الباحث عن الكمال.

وأسهمت عدة عوامل، طوال تاريخ حياة البشرية على وجه البسيطة، في هدم وإبادة عامة الثقافات والحضارات التي صنعها البشر المنقطع عن السماء. وإلى هذه العوامل، يجب إضافة الأمر المهم والسنة الثابتة المتمثلة بمجئ **الأجل** لجميع الأمم والشعوب:

«وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُون»[1]

١. سورة الأعراف، الآية ٣٤.

الديستوبيا، مدينة العصر الحديث الفاسدة

وقد استخدمت مفردة الديستوبيا من قبل الفيلسوف البريطاني **جون ستيوارت مل**،[1] عام ١٨٦٨ للميلاد، بوصفها نقيضا لمفردة يوتوبيا (طوباوية).

إن وقوع الثورة البلشفية «الاتحاد السوفيتي» وتحول العالم إلى ثنائي القطب، الليبرالي الرأسمالي والاشتراكي، أدى إلى نشأة وتبلور العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالقرن العشرين، وفي الوقت ذاته، أسهم في ظهور تحديات في عقلية الانسان المعاصر ولسانه وميوله؛ رغم أن التيارين، كانا يستندان بحد ذاتهما إلى الايديولوجيات الذهنية والنابعة من الفكر الانسانوي والعلماني.

إن تشكيل الحكم البوليسي، والحط من قدر الانسان وتحويله إلى مجرد أداة للإنتاج واحتكارات الحزب الشيوعي، أديا إلى تبلور الاحتجاجات الخفية لكن الطاغية وردات الفعل على مستوى الأعمال الأدبية:

رواية «نحن»

ودفعت تلك الظروف، الكاتب الروسي **يفغيني إيفانوفيتش زامياتين**[2] (١٨٨٤-١٩٣٧م.) الذي اشتهر بروايات الخيال العلمي والنقد السياسي،

1. John Stuart Mill.
2. Yevgeny Ivanovich Zamyatin.

إلى تأليف رواية «نحن» (١٩٢١) وتخليق عمل ديستوبي. ويعتبرونه صاحب أول عمل ديستوبي كبير في القرن العشرين للميلاد.

وقد وضع **زامياتين**، رواية «نحن» عام ١٩٢٠م.؛ لكن وبسبب ظروف الاضطهاد التي كانت تسود روسية في تلك الحقبة، لم يستطع إصدارها في «الاتحاد السوفيتي». وعليه فان هذه الرواية صدرت بداية عام ١٩٢٦م. باللغة الانجليزية في نيويورك ومن ثم عام ١٩٢٩م. باللغة التشيكية في خارج الاتحاد السوفيتي، وحصلت على ترخيص الاصدار في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٨ أي بعد عامين من وفاة **يفغيني زامياتين**.

وكتبت الرواية في هيئة يوميات مهندس، يدعى **د-٥٠٣**. **ويبدو أن زامياتين، كان قلقا جدا على مستقبل الاتحاد السوفيتي، ولهذا السبب، قدم الاتحاد السوفيتي في هذه الرواية ألف عام إلى الأمام، ليحذر بذلك متلقيه من أنه إن استمرت ظروف تلك الحقبة للاتحاد السوفيتي بهذه الوتيرة، فماذا سيؤول إليه مستقبل هذا البلد وشعبه.**

وكان زامياتين يقصد من «نحن» في هذه الرواية، شعار توحد البلاشفة. ففي المجتمع البلشفي، تنحسر قيمة الفرد بوصفه شخصية مستقلة، إلى أدنى المستويات ويختزل كل شئ في نحن... ولا توجد أي شخصية في هذه الرواية. فقد فقد الناس، أسماءهم وشخصياتهم الفردية، ويُنادى كل واحد منهم برقم؛ مثل د-٥٠٣.

ويصف د-٥٠٣ هذه الظروف ويقول أن طريقة حياة جميع أفراد المجتمع، تماثل أحدهم الاخر:

يستيقظون يوميا فى ساعة ودقيقة محددة. ويبدأ ملايين الأشخاص عملهم بالتزامن معا، وينهونه بالتزامن معا. ويذهبون للترفيه والتسلية فى ساعدة محددة ويخلدون إلى النوم فى ساعة محددة و...

إن د-٥٠٣ هو مهندس وعالم رياضيات. ويصف فى يومياته، أوضاعه وظروف حياته. والموضوع يدور حول أنه بعد الحروب الضارية التى

دارت رحاها ل ۳۰۰ عام بين المدينة والقرية، بقى ۰,۲ بالمائة من الناس على قيد الحياة فحسب، وشكل هؤلاء الناجون، دولة موحدة. ويجرى كل شـئ فى هذا البلد، تأسيسـا على أسـس الرياضيات وعلى أساس العقل والمنطق. ويحيط هذا البلد الموحد، من كل أطرافه، جدار زجاجى يفصله عن الحضارة القديمة. ولا يُسـمح لشعب هذا البلد، الخروج منه والذهاب إلـى الجانب الاخر من الجدار الزجاجـى. ولا توجد فى هذا البلد، طبيعة حية، ولا تغردالطيور فيه، ولا تشـرق فيه الشـمس حتى، وكل شئ يسير بشكل مصطنع ومختلق. وحتى أن طعام أهالى المدينة، يُحضر من المواد الكيميائية والنفط.

إن جميـع أهالى المدينة، يدينون بالـولاء والطاعة للرئيس من دون أى جدل. إن رئيـس المدينة هو الفائز دائما فى الانتخابات. وحسـبما يقول د ۵۰۳:

إن تاريخ البلد الموحد، لا يتذكر أنه فى هذا اليوم الرائع (يوم الانتخابات) تجرأ شخص واحد حتى على معارضة رئيس المدينة.

ويتعاون د- ۵۰۳ فى تصنيع سـفينة فضائية. إن هذه السفينة التى تسمى انتغرال (التقارب) من المقرر، أن تقوم بارغام أهالى كواكب أخرى يرون أنهم أحرار «بصورة متوحشـة»، على التبعية لرئيـس المدينة؛ لكن ثمة أشخاصا فى هذا الخضم، ممتعضون من الظروف التى تسود البلد الموحد ويعتزمون مكافحتها.[1]

إن روايـة «نحن» بصـدد إثبات أن المجتمع الذي يغيـب فيه الرأي والرأي الاخر، وينعدم فيه الإبداع والقيم الدينية والعشق، هو جنة زائفة ليس إلا. المجتمع الذي يحط من قدر الانسـان ويخفضه إلى مسـتوى ماكنـة ورقم، بدلا من كل

---

١. **كريمي مطهر، جان اللّه ورضائى، مجيد،** مقال «الطوباوية في روايتنا، تأليف يفغيني زامياتين»، إصدارات نشرة نقد النصوص وبرامج العلوم الانسانية، خريف ١٣٩٣هـ .ش.، العدد ٣٢، صص ١٠١-١١٢.

الهويات الانسانية، لا يستحق أن يتمتع بالشأن الانساني.

رواية «عالم جديد شجاع»

وتحدث **الكاتب البريطاني** (١٨٩٤-١٩٦٧م.) **ألدوس ليونارد هكسلي**[1] في رواية «عالم جديد شجاع»[2] بسخط وكراهية، عن التسيس والهوى الصناعي. إن عنوان الرواية، هو كناية مريرة، لنظام ينعته هكسلي، بـ«نظام بوخافسكي».

إن هكسلي، مثله مثل بعض كتاب الديستوبيا، يقدمون زمان حوادثهم وروايتهم عدة قرون إلى الأمام، ليعرضوا في خاتمة المطاف، مصير ومآلات المجتمع الذي وجهوا سهام نقدهم إليه.

وتدور أحداث هذه الرواية في مدينة لندن عام ٢٥٤٠ للميلاد. صورة عن الدنيا، التي توجد فيها حكومة مركزية تراقب كل العلاقات. وفي هذا العالم المرسوم، ينمو العلم والتكنولوجيا لدرجة، يمكّنان إنتاج أناس على نطاق واسع وبطريقة خط الإنتاج بمصنع ما. إن النظام الحاكم، يقوم في ضوء التحكم بعملية إنتاج الأولاد، بانتاج المجموعات الاجتماعية التي ينشدها، ويبيد كل المواطن والمنابت الانسانية الطبيعية والفطرية فيها، لتتاح له إمكانية حماية المجتمع الطبقي والثابت من بدون تغير وتبدل.

ويتم إنتاج الألفا والبيتا والغاما والإبسيلون، في ضرب من التصنيف الهابط وحسب متطلبات هذا النظام في المصنع. وفي عالم بوخافسكي هكسلي هذا، يتم نسخ وإبطال التوليد وامتلاك الأبوين والمعتقدات الفطرية المتمثلة بعبادة الله والتدين والمحبة والعطوفة والود، وإظهارها بشعية وشنيعة في الأعين. إن كل شئ وكل شخص في هذا العالم البشع، يخضع للأوامر، ويحصل لإرضاء وإشباع رغبات حاكم واحد بلا منازع يدعى «صاحب السيادة فورد". ويهدف صناع هذا

1. Aldous Leonard Huxley.
2. Brave New World.

وصدرت هذه الرواية التي نقلها إلى الفارسية **سعيد حميديان** عن دار نيلوفر للنشر.

النظام، إقامة مجتمع في غاية الاستقرار؛ وعارٍ عن أي عامل انساني قادر على زعزعة هذا الاستقرار وإيجاد خلل وتغيير فيه. إن مجمل سكان هذا المجتمع، هم كالروبوتات، أداة طيعة وخانعون وخاضعون، وبمنأى عن أي رجاء واحتجاج، وبعد أن يحين أجلهم، ينقلون إلى جهاز ليضمحلوا وتستخرج المواد المعدنية من أجسامهم ويعاد تأهليها.

إن الواقعة الفريدة التي تربك مجتمع **بوخافسكي** الثابت والمستقر وغير المهتاج لفترة وجيزة، هي وصول الإبن الحي للمدير، إذ يأتي من رحلة طويلة قادته مع أمه إلى «المجتمع المتوحش»، لتطأ قدماه نطاق هذه الحضارة الجديدة. إن **جون** الذي عرف الان بـ **السيد المتوحش**، يُدخل بقايا من العواطف والميول الانسانية وحب الأم والاهتمام بالأعمال الثقافية العريقة، في ديار لا تتسق البتة مع هكذا مفاهيم، وغريبة عليها كليا... إن جون الذي لا يطيق حضارة بوخافسكي، يبحث عن طريق تطهره من أعراض هذه الحضارة، ويلتجئ إلى قلعة مهجورة ويشنق نفسه في خاتمة المطاف.

ويبدأ تاريخ هذا العالم الخيالي **لهكسلي**، مع ولادة **فورد**[1] مؤسس «شركة فورد لصناعة السيارات». وربما يريد بذلك التلميح إلى الماكنة وتخليق الماكنة، أي التجديد الصناعي والحياة التكنولوجية.

إن سكان هذا العالم الرائع (ويسمى بالرائع نكاية به)، تتم إدارتهم والتحكم بهم تحت راية الحكومة العالمية. إن المدراء التنفيذيين لهذا النظام التكنيكي، يقومون باعقام البشر باساليب علمية، للحد من الصراعات والنزاعات الفكرية والثقافية والحؤول دون اندلا ع احتجاجات، والنابع كل ذلك من التبادل الفكري والفطري للبشرية؛ ويتم الإعقام الفكري والذهني والنفسي، طبعا بمدد التلاعب بالهندسة الجينية في مسار إنتاج الأناس.

---

١. **هنري فورد**، مؤسّس شركة فورد موتور (ford motor company). وقد أسس هذه الشركة عام ١٩٠٣م.، واستطاع إيجاد ثورة في صناعة السيارات في القرن العشرين. ويعد فورد ثاني أكبر منتج للسيارات في الولايات المتحدة وخامس أكبر منتج للسيارات في العالم.

وبعبارة أخرى، يتطرق **هكسلي** إلى ممارسة الأساليب الرقابية على كل سكان العالم وجعلهم يتماشون ويجارون منشأ ومنبت مصممي الحكومة العالمية؛ وذلك من خلال إزاحة كل ما يمت بصلة إلى التدين والعشق والحب والطهر والفن والأمر القدسي، من خاطر البشرية.

وفي العالم الرائع الجديد، لا تتمتع أي من المفاهيم آنفة الذكر، بموقع ومعنى، وإن وجدت، فانها تشكل مصدر خجل، ويتوجب إمحائها وإزالتها من عقلية البشر ولسانه عن طريق الأساليب التكنيكية أو آليات التحليل النفسي.

أناس العالم الجديد الشجاع، هم أشبه بمنتجات مصانع التفريخ ومن إنتاج مركز الإنجاب وتنشئة النطفة. وقد اعتمدت كل الإجراءات اللازمة واتخذت كل الإحتياطات والخصائص؛ لكي تكون كل مجموعة من المنتجات، مطابقة لمطلب المنتجين، من حيث الصفات والخصال الثابتة والمحددة. أن تكون تتمتع بالمواهب المعينة للاستقرار في النقاط المنشودة، من حيث جغرافيا العالم الجديد الشجاع.

إن نظام الحكم الشمولي والشامل للمخدرات والجماع والاتصال الجنسي المنفلت من عقاله، يمثل إحدى المواصفات الرئيسية لهذا العالم الحديث. وفي الحقيقة، فانه يشير إلى العوامل المبهجة الزائفة والحمقاء التي يتلهى بها الانسان في هذا العالم.

ويبدي هكسلي في السنوات اللاحقة، ولعا وحرصا كبيرين تجاه الحياة المعنوية ويفكر لا سيما بالعلاقة بين الانسان والإله. ويهتم بقراءة قسم عظيم من الكتابات العرفانية في العالم بدء من **مولوي** و**خواجه عبدالله أنصاري** وصولا إلى **إيكهارت تول**[1] و**سانت أوغسطين**، ومن ثم يعكف على صياغة مقتطفات من هذه الأعمال وأصدارها تحت مسمى «The Perennial Philosophy» أو «فلسفة العقل الخالدة» عام ١٩٤٥م.

1. Eckhart.

ويجب اعتبار **ألدوس هكسلي**، حقا بانه واحد من أكثر الوجوه الأدبية والفكرية تأثيرا في منتصف القرن العشرين. وتطرق هكسلي عام ١٩٤٨م. في مقالة بعنوان «إعادة تفقد العالم الجديد الشجاع» إلى سلسلة تطورات وأحداث الأعوام الـ٢٦ المنصرمة، وزعم بان الحضارة البشرية، تتحرك صوب هذا العالم، بسرعة أكبر مما تنبأه؛ بيد أنه أعرض عن هذا العالم «الصيرورة» ليلتجئ إلى عالم اخر.[١]

إن اهتمامه وعودته إلى المصادر العرفانية للشـــرق الكبير، يظهران أن هكسلي يفكر في سبيل لإنقاذ البشـــرية؛ العودة إلى الشرق، إلى التفكير الذوقي والعرفاني الأصيل الذي لم يشم رائحته الغرب ومهندسو العالم الجديد الشجاع، البتة.

وقـــد أجرت معه مجلة «باريس ريفيو»[٢] مقابلة عام ١٩٦١م. أي قبل عامين تقريبا من وفاته. وأعلن هكسلي في هذه المقابلة:

إنـــي أعكـــف على صياغة نمط خـــاص من الرواية، الغريبـــة إلى حد ما والبعيدة كل البعد عن الأصناف المألوفة لكتابة القصة. ضرب من الخيال. شـــئ مقلوب تقريبا. العالم الجديد الشـــجاع، حول مجتمـــع يتم فيه حقا، الســـعى لتجســـيد قدرات وطاقات الانســـان على أرض الواقع. أريد أن أظهر، أن البشـــرية قادرة على الإفادة من منجزات الشرق والغرب، على السواء...[٣]

ويظهر **هكسلي** من خلال تخليق هذا العمل، ليس ذكائه إزاء مصير ومآل هذا الســـير والسلوك (الزهد عن الدين وعن العشـــق وعن الطهر و...) والدهر الزاخر بإحباط الانســـان العصري، فحسب، بل يعتبر كل ذلك ناجما عن غلبة التكنيك والتكنولوجيا البحتة. رغم أنه كان يرى أن هذا الوضع، سيسود في القرون الخمسة أو الستة القادمة.

---

١. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

2. The Paris Review.

٣. مأخـــوذ مـــن: «حوار مع ألدوس هكســـلي»، ترجمة **محمد رضـــا صالح بور**، معهد بحوث العلوم الانســـانية والدراسات الثقافية» (البورتال الشامل للعلوم الانسانية)، العدد ١١، نسخة PDF، صص ٥-٦.

وليت كان ويرى أن العالم الشـــجاع في الظاهر والبشـــع والقاتم في الباطن، الذي رســـمه، بسط في الســـنوات النهائية من القرن العشرين، هيمنته على العالم الحقيقي لا الخيالي.

وتأسيسا على هذه الرواية، أنتج فيلم سينمائي بالعنوان ذاته، عام ١٩٨٠م.

إن أحد أهم الأوجه المشتركة لهذه المدن الفاسدة، هو إلغاء التاريخ والأخلاق والفلسفة والدين والله. وفي الحقيقة، فان الانسان في عالم كهذا، يخلو من حقيقة وجوده، وينأى بنفســـه عن طرح إي استفســـار وسؤال كبيرين عن العالم والانسان والبحث عن كمالات الوجود.

إن الاستفسار عن ســـر الكون والوجود والبحث عن الكمالات، يعد بالنسبة لكتـــاب وأدباء عالميين بهذا القدر من التكنيك والحداثة، جريمة لا تغتفر ويؤدي إلى ارتباك النظام الميكانيكي الذي ينشده مصممو وصانعو هذا النظام.

إن كل أبنـــاء البشـــر، الذي على شـــاكلة أحدهم الاخر وجميعهم، أشـــياء للاســـتهلاك وإفـــادة الاخرين، ليس إلا. وفـــي هذا العالم المـــروع، فان لا أحد يرغب بالقراءة ومطالعة الكتب وذلك بسبب مقتل روح الاستفسار الميالة للسمو والشموخ، وإن حصل تغير في بنيتهم البيولوجية، فانه لن تكون ثمة حاجة لإنشاء مؤسسات مهمتها التحكم والمراقبة.

رواية ١٩٨٤

إن **جـــورج أورويل**[1] (١٩٠٣-١٩٥٠م.)، هو الإســـم المســـتعار لـ **اريك أرثور بلير**[2] الكاتب والصحفي البريطاني الذي أشار من خلال تخليق العملين الشهيرين «١٩٨٤» و «مزرعـــة الحيـــوان» بالبنان إلى الإنســـان العالـــق بين الحكومات الشمولية وهو يطلق صرخات الاعتراض.

1. George Orwell.
2. Eric Arthur Blair.

ويُسمع أحيانا أن بعض الناس، يؤمنون أن من المفيد قراءة أي كتاب، لمرة واحدة؛ بيد أن الانسان لا يعمر طويلا حتى يريد قراءة أي كتاب يصبح في متناوله؛ لكن ثمة كتبا قليلة، يجب قرائتها عدة مرات.

وكان أورويل، ينتمي إلى الحركة العمالية الاشتراكية؛ لكنه أطلق جل صرخات احتجاجه في هذين العملين بوجه النظام الاشتراكي. ففي رواية ١٩٨٤، قسم العالم بين ثلاث قوى كبرى هي «أوشينا» و «أوراسيا» و «ايستاسيا». والشخصية الرئيسية للقصة هو **وينستون سميث**، المقيم بمدينة «لندن» في بريطانيا. ويملك نظام الحكم زعيما يقبع في رأس السلطة، يسمى بـ «الشقيق الأكبر»، وعلى جميع المواطنين، أن يكنوا الحب والطاعة التامة له. أما سائر تقسيمات المجتمع، فتشمل أعضاء المستوى الأعلى بالحزب، والأعضاء العاديين والطبقة العاملة؛ أناس يفتقدون للهوية والحب والأواصر العاطفية، بينما تنقسم الهيكلية الحكومية إلى أربع وزارات: «وزارة الحقيقة» و «وزارة السلام» و «ووزارة الحب» و «ووزارة الوفرة». وفي هذا الخضم، تعتبر شرطة التفكير، أقوى ذراع لوزارة الحب وعامل التفيش وتحديد المجرمين. وفي هذا النظام، لا يحق لأي مواطن تدوين أي كتابة وتسجيل أي واقعة.

إن ما يمكن التأمل والإمعان فيه في «١٩٨٤» هو اشتغال عدد غفير من أعضاء الحزب بمن فيهم **وينستون** بكتابة التاريخ؛ لكن ليس بالطريقة المألوفة. إنهم منهمكون باعادة قراءة التاريخ الماضي وإعادة تسجيله بنقحة جديدة وبما يتطابق مع مطلب الحزب الحاكم. وثمة آلاف مكبرات الصوت تنطق من الصباح إلى المساء، وتلقن المواطنين:

– إن الحرب، هى السلام (أى يجب أن نذهب للحرب من أجل إيجاد السلام)؛

– إن العبودية، هى الحرية (أى تصرفوا بطريقة يؤمن فيها أهالى المدينة بانهم أحرارا؛ فى حين أنهم كلهم، عبيد ورقيق وإمعة ليس إلا؛

– إن الجهل، هو القوة (إن أجهل أفراد المجتمع وأكثرهم انعداما للأهلية، يشغلون أرفع المواقع والمناصب.)

إن سكان المدينة، هم البروليتاريا الشيوعية؛ إنهم وعن طريق غسيل الدماغ، يشكرون على الدوام، الموقع الذي يشغلونه، والذين يحكمون ظلما وعدوانا، ويتشوقون على أمل نيل الحرية، للأعمال الشاقة والثقيلة، ويعيشون من دون أي اعتراض واستفسار، في مدينة رمادية وقذرة وملوثة وتحت المراقبة.

إن حكام هذه المدينة، باتوا يتحكمون بالمستقبل من خلال إعادة بناء التاريخ الماضي.

إن **وينستون**، رجل لا يريد أن يصدق كالآخرين هذه الكذبة الكبرى.

إنه ينهمك بعيدا عن عدسات الكاميرات وأجهزة المراقبة التي تراقب الجميع في مطلق الأحوال، بتدوين وتسجيل الوقائع في كتيبه، ويقع في غرام سيدة مواطنة ويتشاطرها الحب في الخفاء. ويختليان معا، رغم علمهما بانهما سيقبض عليهما آجلا أم عاجلا ويعاقبان، وفي النهاية، يلقى القبض عليهما ويخضعان للتحقيق وغسيل الدماغ. ويقبل ويينستون في النهاية، أن لا حقيقة سوى التي يطرحها الحزب؛ وبالأحرى، إن نظام «١٩٨٤» الاشتراكي، يغير طبيعة السكان والمواطنين.

ويصطنع النظام الحاكم، لغة جديدة للمواطنين؛ تدعى «اللغة الجديدة"، لينتزع من خلال تقييد ألفاظها ومفرداتها، كل إمكانية التفكير وتعبير المواطنين عن مكنونات قلوبهم وضمائرهم.

إن قلب المعاني والمفاهيم، يحول سكان المدينة إلى جماعة ضحلة وحمقاء وترضخ للهيمنة.

إن أهم ما يريد **أورويل** استنتاجه من خلال رسم صورة عن «وزارة الحقيقة» ومئات الرجال والنساء الذين يعملون وفقا لأوامر الحاكم، على العبث وتحريف الحقائق التاريخية والسالفة، هو:

إن من يتحكم بالماضى، فانه سيتحكم بالمستقبل، ومن يتحكم بالحاضر، فانه منهمك بالتحكم بالماضى.

إن قراءة «١٩٨٤» لا تتم بسلاسة سائر الروايات؛ لكنها تدفع القارئ إلى التفكير والتأمل في أوضاع وأحوال سكان هذه الديستوبيا. إن بعض العبارات التي تستحق التوقف عندها في هذا الكتاب هي:

– إن السلطة، ليست وسيلة بل غاية. إن الانسان لا يستحدث ديكتاتورية تحمى الثورة؛ بل يصنع ثورة، تقوم ببناء الديكتاتورية.

– عندما لا يتمتع الانسان بحياة انسانية، فان الموت والحياة سيان بالنسبة له.

راي برادبري وفهرنهايت ۴۵۱

إن **راي دوغلاس برادبري**[1] هو شاعر وكاتب وقاص الامريكي ومؤلف الرواية العلمية الخيالية «فهرنهايت ٤٥١»:

وتعد هذه الرواية، رائعة علمية خيالية، ديستوبية للقاص الامريكى راى برادبرى (١٩٢٠–٢٠١٢م.). وتدور أحداث هذه القصة حول مستقبل عالم، يحظر فيه التفكير والقراءة، ويقوم مضرمو النار (والذين كانوا يدعون سابقا رجال الإطفاء وكانت مهمتهم شيئا اخر) باحراق أى كتاب يعثرون عليه، ويحولونه إلى رماد. وفى هذا الخضم، يتمرد أحد رجال الإطفاء ويحيد عن وظيفته، ويخطر على باله أخطر سؤال ألا وهو «لماذا».[2]

وقد صدر هذا الكتاب عام ١٩٥٣؛ وكان موفقا في تقديم صورة عن الكثير من الوقائع والأحداث التي يمر بها ويعاني منها المجتمع البشري في العصر الحاضر.

1. Ray Douglas Bradbury.

٢. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

وفي العالم الذي يرسمه الكتاب، يعد إحراق الكتب، أمرا مألوفا بالنسبة لمضرمي النار. إحراق الكتاب على يد رجال، كانت وظيفتهم المنسـية، إطفاء الحرائق لا إضرام النيران. وكان هؤلاء يداهمون خلسة، بيوت الذين يقرأون الكتاب، ويراكمون الكتب، وسط الشارع، ومن ثم يضرمون النار فيها.

ويعتبر مؤسسـو مجتمع «فهرنهايت ٤٥١» **التفكير**، بانه سـم قاتل، ويؤدي إلى عدم الاسـتقرار وغياب النظام والأمـن. وبالتالي، فان الكاتب، يجعلنا نواجه مجتمعا، كئيبا وخاويا من أي حيوية ونضارة ونشاط.

موتى كالزومبيون، غرباء على أي عواطف شاعرية وذوقية، يعيشون كالروبوت، جيئة وذهابا. وكأن الأدمغة قد اسـتخرجت من رؤوس سـكان المدينة، والقلوب مـن صدورهم، واللافت أيضا أن العديد مـن أهالي هذه المدينة، آمنوا بان حرية التعبير عن الرأي، تفضي إلى الفوضى والهرج والمرج، وأن خير وسـيلة للحد من الاضطراب، هو إخماد لهيب التفكير ليس إلا.

ومن أجل إضفاء السـكينة والهدوء وبث روح الفرح والبهجة وإيجاد الشـعور بالاستغناء عن التفكير، يقوم نظام الحكم، بتوزيع أقراص مهدئة بين الجماهير التي تصل إلى ضرب من عدم الاكتراث واللامبالاة.

إن «فهرنهايت ٤٥١» هو في الحقيقة، مؤشر على درجة حرارة أتون مضرمي النار. الحرارة التي أثر مفعولها، وأحرقت الكتاب برمته وحولته إلى رماد.

ويسـمي هذا الكتاب، كل يوم من الأسـبوع، لإحراق كتاب ما لكاتب ما. أعمـال تعتبرهـا الطبقة الحاكمة، مضـرة ومعادية للشـعب ومزعجة. وتتحدث القنوات التلفزيونية في كل يوم وكل سـاعة من اليوم، عن الجمالية النسائية وأثاث المنزل والمراقبين والمفتشين الذين يجوبون الأزقة والشوارع، لتعقب الشباب والحد من تسـريحة الشـعر الطويل والقمصان ذات الياقات المكشـوفة، وتعلم الناس، وكأنهم حيوانات أليفـة ومدجنة بأن يكرهوا وينبذوا الكتاب والقراءة، وأن يتصرفوا كالجواسـيس والمخبرين، بتبليغ مركز مضرمي النـار، بعناوينهم وآثارهم. والذين

يتشـــوقون لقراءة الكتـــاب، يخبئون كالمجرمين، كتابا في زاويـــة ما، ليقرؤونه في الخفاء.

وفـــي جانب من الفيلم، يداهمون منزل امرأة عجوز قارئة للكتب، لتفتيشـــه، وبعدما يعثروا على الكتب، يراكمونها في موقع ما، لإضرام النار فيها، ويقول رئيس الفريق في وصف الكتاب:

إن الفلســفة، تشبه الموضة. فالفلسفة شـــئ أخرق وأحمق، والقصص هى مريض ليس إلا.

إن كتب السيرة الذاتية، هى قصص الموتى، وكتب المذكرات، هى حصيلة العجب والغرور و...

إن المـــرأة العجوز، التي لا تريـــد الانفصال عن الكتب، تتجهز للاحتراق بين كتبها، لكي لا تنفصل عن ما تحبه.

إن **مونتاغ**، بطل القصة، والذي يعمل ضمن فريق مضرمي النار، يشـــهد تحولا تدريجيا في ظل قراءة الكتاب، ويســـعى للتعويض عما فات، فيتنحى عن عمله؛ لكن زوجته تقوم بتبليغ مركز «فهرنهايت ٤٥١» بامره وتكشـــف ســـره. وبالتالي، وبعـــد إحراق منزله وكتبـــه، يثور ضد مضرمي النار، وبعد قتلـــه رئيس الفريق، يفر إلى جزيرة ما؛ مكان «أهالي الكتاب"؛ موقع يعيش فيه عدد محدود من النســـاء والرجـــال القارئين الذين تحولوا الان إلى كتاب مجســـم ومتحرك. إنهم يحفظون الكتاب في عقولهم وأرواحهم؛ على أمل ذلك اليوم الذي تتاح لهم إمكانية العودة إلى المدينة، وتوصيل ما يكنونه في خاطرهم وذاكرتهم، إلى جهاز الطباعة والنشر والإصدار.

ويذهب **مونتاغ** إلى جزيرة «أهالي الكتاب».

إن مونتـــاغ بطـــل رواية «فهرنهايت ٤٥١» هو نفســـه **وينســـتون**، بطل رواية «١٩٨٤» لـ**جورج أورويل**؛ نفســـه **وحش** كتاب «العالم الجديد الشـــجاع» لمؤلفه **ألدوس هكســـلي**. إنهم رجال، لم يستحيلوا وينصهروا في النظام الشمولي المعادي

للانسان والمضاد للحب والعبادة والمعارض للفكر والتفكير، ولا يضطرون للرضوخ لجهاز التعذيب عديم الرحمة في «١٩٨٤"؛ فيهاجرون إلى جزيرة مهجورة تدعى «أهالي الكتاب» أو أن يشنقوا أنفسهم في مبنى مهجور في أقصى العالم الجديد الشجاع.

وكما لاحظتم إلى الان، فان عامة كتاب الروايات العلمية الخيالية (المدينة الفاسدة=الديستوبيا)، رسموا في مستقبل فكرهم وخاطرهم وفؤادهم، أوجه من عالم المستقبل المستقر في الحصن العصري، ووضعوه بين يدي القارئ. وفي كل هذا، فان من يعيش حياته وهو مصاب بالوحدة والغربة والانفعال والإرهاق والكآبة والواقع تحت اضطهاد وظلم الأنظمة الشمولية وعديمة الرحمة، هو انسان في النهاية. كائن حُطّ من قدره رغم كل قدراته، وتحول كشئ محض، إلى كائن قابل للاستهلاك وفاقد لأي إمكانية للتفكير والحب وبالتالي السير في العوالم المعنوية والقدسية. وخلاصة القول أن الانسان المقيم في الديستوبيا، انسان ممسوخ ومنسلخ عن ذاته.

إن الشتاء القارس للديستوبيا، أغرق انسان هذا العصر في آخر الزمان الأسود والمعتم، الانسان الذي لا يرى أي سبيل للنجاة والخلاص؛ وكأن روح الحياة، قد انتزعت من جسد سكان الديستوبيا، وفي المقابل، وخارج نطاق جغرافيا الأناس الغرباء، ثمة حكومات وجمعيات وحملة مفاتيح أقوياء، يحملون الأناس ما لا طاقة لهم فيه، وينشغلون كدودة العلق، بامتصاص آخر قطرة متبقية في عروق هؤلاء المساكين.

وقد استخرجت القنوات التلفزيونية على كثرتها، ومخرجو الألعاب المهيجة والقصف الملعوماتي والمخدرات و...، ضمن نظام اجتماعي معقد وتكنولوجي، وتحت توجيه وزعامة أكثر الحكام والدول استبدادا واضطهادا، من العالم الأسود والقارس لآخر الزمان، عالما ينعته **ألدوس هكسلي**، كناية به بـ«العالم الجديد الشجاع».

وفي هذه الأعمال التي تؤشـــر إلى مجتمع بائس وانســـان تعيس مثير للشفقة والرثاء، فان الشـــمعة الوحيدة التي تضئ الدرب، هـــو رجل أو امرأة يخرجان من ذاتهمـــا، ويتحولان وعلى علـــم ودراية بالآلام والأوجـــاع، ينتبهان بطريق الصدفة والحادثة، أو الرؤية، إلى عمق تعاسة وبؤس عصرهما والانسان المعاصر، ويسعيان لإنقاذ المجتمع من هذه التعاســـة والشقاء؛ رغم أنه لا تحدث أي ثورة في باطن وروح أي من هؤلاء، وأن حماستهم الوحيدة التي تثيرهم؛ ردات الفعل التي يبدونها وتمردهم وثورتهم تارة ولا شئ آخر!

أطفال الرجال

وخلال الفترة التي كنت منشغلا فيها بكتابة هذه المواد، حصلت على نسخة من فيلم «أطفال الرجال»[1] وهو من أفلام الخيال العلمي وأنتج على أســـاس رواية بالإسم ذاته لمؤلفها **بي.دي. جيمز**[2] وأخرجه **ألفونسو كوآرون**.[3] وقد عثرت على هذا الفيلم، في نطاق بحثي عن الديســـتوبيا. ورأيت أنه لا بأس من إلقاء الضوء عليه ولو بصورة مقتضبة قبل الخوض في «متروبوليس».

ولا بـــد أن أقر هنا بان كاتب هذه الســـطور، لا يعتبر نفســـه، ناقدا ومحللا ســـينمائيا، وليس لدي تخصص أصلا في هذا الحقل؛ لكن وفي ســـبيل تقريب ذهن ولسان المتلقين إلى كل ما هو سائد في هذا الميدان والتعرف على الأسس المغمـــورة في الطبقات الســـفلى للثقافة والحضارة المعاصرتين، اســـتعنت بهذه الأدبيات.

ولا بـــد من الاقتراب إلى هذا الحقل، بذكاء؛ واختراق أغشـــيته والقيام بنقده وتشريحه بالاســـتعانة بالدراسات الدينية الجادة؛ وطرح التساؤلات حوله، والمرور عليه عبر الحقيقة، لا أن نصاب به ونواكبه ونسهم في تدعيمه.

---

1. Children of Men.
2. P. D. James.
3. Alfonso Cuarón.

إن **الإياس** الذي بات يداهم عقليات وألسن، فنانينا، وعلى وجه الخصوص، السينمائيين ومصنعي المنتجات متعددة الوسائط، انتزع منهم إمكانية الولوج الفعال والمبدع، في هذا الحقل، وقلص من قيمة أعمالهم لتصبح بمستوى أعمال مقلدة وعديمة الفائدة. إنهم يحسبون، أنه يمكن من خلال الرقابة واستبدال الأسماء وبعض العبارات والحوارات، إنتاج عمل فاخر في ظل تكرار المشاهد ذاتها، واستبدال الممثلين الأجانب، بممثلين محللين. ويجب البحث عن سبيل لإيجاد مخرج من هذا **الإياس الفكري**. ولا يمكن في هذه الولاية الشيطانية، التصرف من دون الاستعانة بسليمان الزمان وعصى موسى. وطالما، لا تندمج الروح بذات ولاية ولي الله الأعظم، فلن تتح أي فرصة ومجال للتصرف في العالم التكنولوجي النابع من المنزل القاتم لعدو الانسان والدين.

وكما أسلفنا، فقد أخرج **ألفونسو كوارون** فيلم «أطفال الرجال» تأسيسا على رواية بالإسم ذاته لمؤلفها **بي.دي. جيمز**، وكعمل بريطاني – امريكي مشترك ، وعرضه عام ٢٠٠٦م.

والعالم الذي يرسمه هذا الفيلم، لم يقع في الماضي ولا يتعلق بالمستقبل البعيد؛ وكأنه على النقيض من كتاب الديستوبيا الذين يسعون دائما لربط تحقق الديستوبيا في السنوات البعيدة والمستقبل البعيد، فانه يسعى لاستشراف المستقبل، إن مخرج «أطفال الرجال» يعيش في الوقت الحاضر؛ العالم الذي نعيشه الان، وقد بلغ مرحلة الفساد والضياع والاضمحلال بايدينا وعلى إثر هيمنة التكنولوجيا. وعليه، فانه لا الكواكب والأدرام السماوية واصطدام النيازك، بل العالم الذي صنعه الانسان بيده، يتدخل لإبادة الحياة البشرية وتدميرها.

إن المخرج، يعرض بصورة جيدة، مناخ آخر الزمان الزاخر بالاضطراب وغياب التوازن، والزحمة والارتباك والأزمات والفوضى والمصاب بضرب من الإياس والعقم والذي أزال الأمل لدى الناس.

إن موضوع **الإياس العام**، تحول إلى موضوع رئيسي لهذا العمل السينمائي

الفاخر. إن الإياس الشـــامل، يعني نهاية وضياع جميع الأحلام والآمال لمواصلة الحياة الانسانية في جميع الميادين الثقافية والحضارية، أي ترجمان عبارة «نهاية التاريخ"، لعالم تملاؤه التكنولوجيا والخاوي من الحب والشقفة والعطف.

ولـــم تســـمع أي أذن بعد ذلك، صوت طفل رضيع، ولـــم تر أي عين، لعب الأطفال في الحدائق، ولم يتبق بتبع ذلك، أمل في مواصلة الحياة.

وفي هذه الظروف الحافلة باليأس والإحباط، يرفع أناس، أيديهم نحو السماء، ليتضرعوا سائلين، سبيلا للخلاص، وبعض آخر، ينخرط بوحشية، في المجموعات التي تتخذ من العنف والإرهاب نهجا لها، لتقضي على ما تبقى من البشر.

وفي أقصى هذا الانفعال والقنوط وفي ذروة الاضطراب والتوتر، تضع سيدة من البلاد النائية، من بين السيدات المغمورات والمجهولات، سيدة شابة حبلى، وهي في أوج مصابها ووحدتها، قدما في بلاد الإدبار والبؤس والتعاسة.

وكأن معجزة هائلة وقعت؛ مجلى يســـوعي، في محيا، طفل حديث الولادة، يبصر النـــور في خضم الأزمات والاضطراب والاضطرار، ليكون شـــعاع نور، في الســـماء المعتمة والمظلمة لحياة البشـــرية. وجميع الآذان، تنتظر ســـماع صوت الطفل الرضيع الذي يبشـــر الناجين العالقين في متاهات الظلام والاضطراب، بغد مضئ ومشرق.

إنه يطلق بشـــارة حياة ثانيـــة، بين منتظري الموت والفنـــاء؛ في حين لم يتم تحديد أي أب له. ربما وربما، أراد المنتجون، الإيحاء للمشاهدين، بتجسيد حياة المسيح في هذا الطفل الرضيع.

ومـــع ذلك، يجب التريث، إلى أن تعـــود الحياة والإعمار مجددا إلى المدينة الفاسدة والديستوبيا التي أحدثتها البشرية لنفسها. وتحدق أم الطفل الرضيع، وهي في زورق تتقاذفه أمواج البحر الهائج والمعتم، بســـفينة، تحمل على بدها إســـم **الغد**: Tomorrow.

ويعلن كاتب الرواية، وبتبعه، صانعو الفيلم، أن ظرف الزمان الذي تحصل فيه

هذه النهاية، يقع في عـــام ٢٠٢٧؛ لكنهم يرون أنهم والاخرين، بانتظار حصول الإصلاح وإعادة التأهيل. «إلى الغد» وإلى أن ينضج ويثمر، منقذ البشـــرية الذي وطأت قدماه الان، أديم الحياة.

وتحمل هذه الرواية، في طياتها، تنبيها خطيرا للبشرية، حول «النهاية المروعة» التي تناديها وهي بهذا القرب. ومن دون أن يسعى العمل، بأي علامة وشارة ورمز، لنسب سبب كل هذا الدمار والخراب، إلى جماعة وتيار ما، فانه يقحم المشاهد مباشرة في أزمة وطارئ، ويهمس في أذنيه، النجاة؛ مع أم، يتخوف في كل لحظة أن تلقى حتفها في زحمة الاشـــتباكات الدامية، ويخمد بالتالي آخر وهج للأمل والرجاء.

ويترك المخرج، المشاهد، من خلال إظهار سفينة النجاة، وقبل أن تستقل الأم ورضيعها، الســـفينة؛ وكأنه يجب رغم كل هذا البؤس والشقاء والأزمات، الإنتظار حتى ينمو الرضيع، وربما، تيقظ الانســـان، ليكتسب بذلك، كفاءة وجدارة، لقاء المنقذ ومواكبته.

متروبوليس

ربما ســـمعتم بمفردة «متروبوليس».[1] وتطلق فـــي اللغة الألمانية على المدن الكبيرة والمزدحمة، لفظة متروبوليس. وهذا العنوان هو أيضا، إســـم فيلم سينمائي صامـــت أنتج عام ١٩٢٧م. وأخرج الفيلم، المخرج الألماني الشـــهير **فريتز لانغ**[2] بالأسلوب العلمي الخيالي، واعتبر، أطول أفلام عصر الأفلام السينمائية الصامتة. وتم دمج، نســـخ من هذا الفيلم، معا، وعرضه على مر الســـنين. ويمكن مشاهدة هـــذا الفيلم، مرارا وتكرارا، والحوار حول مشـــاهده وأحداثه. وعلى مدى الأعوام الـ٩٣ المنصرمة، قلما نجد صانع أفلام، لم يلق نظرة وإن خاطفة على هذا العمل

1. Metropolis.
2. Fritz Lang.

السينمائي الرائع.

وعلـــى النقيض مما يُظن، فان مضي الزمن، لم يجعل من متروبوليس مهجورة ومنســـية؛ بل أظهرت، نفسها يوما بعد آخر، أكثر فاكثر، وعرضت الحقائق التي نلمسها في عصرنا الحاضر. وكأن فريتز لانغ، كان قد شاهد، قبل مائة عام، عالمنا الحاضر وسكانه.

إن «متروبوليس» هو اســـتعراض لديستوبيا، ومدينة فاسدة عصرية. ذات نظام حديدي وحديث، على مقياس عالم عصري.

إن سكان هذه البلاد، ينقسمون إلى فئتين:

النخبة الثرية، الغارقة في الرخاء والتقدم في مدينة تكنولوجية ومثالية، والشريحة الفقيرة التي تنتمـــي للطبقات الدنيا الجهنمية والمحرومة من أبســـط الإمكانات للبقاء والعيش.

إن العمـــال المنتمـــون للطبقة الدنيا في متروبوليس، هم الممســـوخون الذين يقبعون في أقصى نقطة من الإحباط والعجز، يشبهون الروبوتات عديمة الإحساس والروح، فقدوا كل قدرة على التفكير والحب والتصرف في العمل. إنهم هزموا على يـــد ماكنة عملاقة، في مجمع صناعي يدعى **مولوخ**[1] يتولى توفير الطاقة لســـكان الطبقة الدنيا لمتروبوليس.

وتقـــوم الماكنـــات، ومن دون أي توقـــف، كالغيلان والعفاريـــت آكلة للحم البشر، بالتهام جلود ولحوم ودماء العمال، إنها تفرض سيطرتها لدرجة أن العمال الخاضعين لإدارتها وهيمنتها، يمضون ساعات عصيبة من دون أي توقف، ويعملون كالعجلات المسننة لماكنة صناعية؛ إنهم أناس عديمو التاريخ ولا مستقبل وآفاق لهم، ويفتقدون لأي كرامة انسانية.

لقد أُخلي الناس من جميع الاعتبارات والكرامة الانسانية، تمشيا بالكامل مع الماكنة العملاقة.

1. Moloch.

وفـــي الطبقة الدنيا لمتروبوليس، يتعين على العمال أن يعملوا ويعملوا، لكي لا يحصل ولو للحظة واحدة، أي خلل وإرباك في حياة المنتمين للطبقة العليا صاحبة الرفاهية في متروبوليس.

إن سكان القســـم الحديث، أحياء، ومفعمون بالحركة والنعمة والرفاهية؛ لان ســـكان الطبقة الدنيا، يكدون ويسعون من أجل البقاء على قيد الحياة، ويتصببون عرقا ويذوبون لحظة بلحظة مجاراة للعجلات المسننة والأشرطة.

وتدار المتروبوليس على يد **يو فريدرسن**،[1] الحاكم المطلق لهذه الديار الجهنمية وعديمـــة الرحمة؛ فيما يقوم لحظة بلحظـــة بمراقبة أداء الجهاز الصناعي والعمال الصناعيين عن طريق أنظمة المراقبة والتحكم.

إن متروبوليـــس هي البلاد التي رســـما **جورج أورويل** فـــي «١٩٨٤» وكذلك بوخافسك رواية «العالم الحديث الشجاع» لمؤلفها **ألدوس هكسلي**. إن الديستوبيا الفظيعة، هي آخر طور من أطوار العالم التكنولوجي. اليوتوبيا الفنتازية لعصر التنوير للقرن الثامن عشر باوروبا.

إن ما يفصل ويميز متروبوليس عن سائر الديستوبيات المقدمة في الصفحات الســـابقة، هو بنان **فريتز لانغ** الرمزي بطبيعة الحال والذي يشـــير إليه إلى مســـببي ومؤسســـي متروبوليس القابعين في الكواليس. الموضوع الذي لم ينتبه ويتطرق إليه جورج أورويل وألدوس هكسلي.

وقد اعتبر كتاب الديســـتوبيا من خلال رؤية تنويرية، وطبعا سطحية، بان آلية وإيديولوجيات الحكم الشـــمولي بما فيها الماركسية والاشتراكية، هي وراء الواقعة وإرســـاء المدن الفاســـدة، وأن المخرج من هذا المأزق، يكمن فـــي ثورة تنويرية وتثقيفية ضد الإيديولوديات والحكم الشـــمولي للساسة المتجبرين الذين يسيرون علـــى خطى هذه الإيديولوجيات؛ رغم أنه لـــن تتحصل في نهاية المطاف نتجية سوى الطريق المسدود والانفعال العام.

1. Joh Fredersen.

أما **فريتز لانغ** الذي كان عالقا في عصر ألمانيا الهتلرية ويعاني من معسكري الفاشية الألمانية والاشتراكية الروسية، وفي مقابلهما، الليبرالية الرأسمالية البريطانية والامريكية، أدرك بنظرة ثاقبة، أن ثمة عاملا أكثر خفاء ألا وهو المحافل الماسونية الخفية، دير «صهيون» وأنصار **مولوخ**.

ماكنة عديمة الرحمة والشفقة، ولا تشبع، جاثمة على صدور الطبقة الدنيا، وتقوم كالغول الآكل للحم البشر (مولوخ) بامتصاص قدرات العمال وأجسامهم وأرواحهم كي تواصل حياتها.

مولوخ، الغول الآكل للحم البشر

وأثناء تسليط الضوء على العديد من رموز الحقارة والشرّ، لا بد من العودة إلى الزمان الغابر والأمم القديمة، ومعرفة أساطيرها والأرباب التي كانت تعبدها وتقدسها، والتساؤل بشأن منزلتها. ولا يمكن اليوم أصلا، فك لغز ومعرفة سرّ العديد من الأحداث والتوجهات الحالية، ما لم تكن لدينا معرفة حول ما كان يحظى في الماضي بالاهتمام والتقديس وحتى النبذ والإنكار. وفي هذا السياق، اسمحوا لي، الإشارة إلى عبادة «بني اسرائيل» لـ**مولوخ** والتضحية بالأبناء إرضاء لهذا الإله الزائف للفسق والفجور.

ومولوخ أصلها من الجذر العبري **ملك** الذي يسمى أيضا **مولج** و**مولخ** و**ملخ** و**مولوك** و**مولك** و**مولاك**. وكان أحد الآلهة القدماء للعمونيين.[1] وكان مولوخ يُعبد في

---

١. العمونيون (Ammonites) وهم أحد الشعوب السامية القديمة الذين كانت تربطهم وفقا لروايات «التوارة» صلة قرابة بالعبرانيين. وقد أسس العمونيون، بعد فترة ليس بوجيزة من العمل اليدوي، دولة ملكية في شمال «مواب»، دامت منذ عام ١٥٠٠ قبل الميلاد حتى القرن الثاني للميلاد. وأطلقوا على حاضرة دولتهم إسم «رباه عمون» (أو كما جاء في التوراة: ربه بني عمون). وخاض العمونيون والعبرانيون مواجهات معا لفترات طويلة، نال كل منهما، نصيبا من النصر والاندحار، إلى أن سقطت حاضرتهم في النهاية على يد **داوود**عليه السلام.
ونعتت إحدى النساء العمونيات في بلاط **سليمان**، بالضلال وعبادة إله العمونيين، **ملكوم** (مولك)...، وخضع العمونيون، مثلهم مثل باقي شعوب المنطقة، في القرن التاسع قبل الميلاد لإمرة الاشوريين، ومن ثم خضعوا لسلطة «بابل» وبعدها «ايران» وثم «اليونان» وثم «الروم» إلى أن محي اسمهم من التاريخ واندثروا... وكان العمونيون، يعبدون إله الخصوبة والزرع، وكان ملكوم أهمهم. (المسيري، عبدالوهاب، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»،

«كنعان» و «فينيقيا» و «شمال افريقيا» و «الشام». وكان **مولوخ** إلهًا ذو نزعة شريرة، لا يرضيه شئ إلا قرابين الأطفال، التي كان الفينيقيون القدماء يقدمونها له لإرضائه، فيتم حرق الأطفال بالقرب من مذبحة وتقديمهم له كقربان. وقد وردت قصة مولوخ في سفر «التثنية» وسفر «اللاويين» من مجموعة «أسفار العهد العتيق» كشكل من عبادة الأوثان.[١]

وكانوا يصنعون تمثال إله النار لدى الكنعانيين الذين كانوا يرمون الأطفال في النار، كقربان له، على هيئة انسان، رأسه رأس بقرة.[٢]

وقد شهد «بنو اسرائيل» بعد خروجهم من مصر، مواكبة للنبي **موسى**عليه السلام تقلبات وأطوارا كبيرة، وبعد أن أدينوا بالتيه لأربعين عاما في البرية، على خلفية إحجامهم عن خوض الجهاد لمقاتلة العمالقة وطرد هؤلاء القوم المتمردين العاصين من أرض الأسود والعسل، لجأوا مثلهم مثل حضارات تلك المناطق، بما فيها حضارة «كنعان» التي كانت تعبد الأوثان، إلى عبادة آلهة تلك الشعوب.

وكانت الطقوس والمراسم المتسمة بالشرك للشعوب عابدة الأوثان، تقام عادة مصحوبة بالرقص والموسيقى واحتساء الخمور، وكانوا يمارسون الجماع والجنس وسط المراسم وهم عراة.

ويقول **ويل ديورانت**، في وصف آلهة اليهود:

وكان اليهود، منذ نشأتهم الأولى فى التاريخ، بدوا رحل يجوبون الصحراء، ويخشون جنّ الهواء، ويعبدون الحجر والبهائم والخراف وأرواح الكهوف والتلال. ولم يغفلوا البتة، عن عبادة البقر والخراف والحمل. ولم يتمكن النبى موسى، كما نعرف من استئصال عبادة «العجل الذهبى» من بين

ج ٤، صص ١٠٠-١٠١). وعندما اعتلى يوشانات ملك «يهودا» وأخاب ملك اسرائيل، عرش «السامرة»، وقف أمامهما أربعمائة نبي زائف. لذا قالوا لملك اسرائيل: انتفض ضد العمونيين؛ لان الإله، فوض أمرهم إليك وستبيد أنت العمونيين. («إنجيل برنابا»، ترجمة حيدرقلي سردار كابلي، الفصل ١٦٠: ٢-٣.)

١. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، مفردة **مولوخ**.

٢. **دهخدا، علي أكبر**، «معجم اللغة (الفارسية)».

قومه كليا، لان عبادة المصريين للثور وتقديسه، لم تكن قد نسيت بعد، وكان هذا الحيوان الآكل للأعلاف، يمثل رمز «يهوه» لردح من الزمن. ونقرأ فى «سفر الخروج»[١] كيف أن موسى قتل ثلاثة آلاف من هؤلاء بمساعدة اللاويين – أى طبقة الكهنة – جزاء لهم لعبادتهم الأوثان...

وكان بعض العبرانيين، على غرار الهنود، يصنعون بعلا، على شكل حجر مخروطى الشكل، ويقدسونه، تصورا منهم أن الذكر منه، يسهم فى الخصوبة والتكاثر، ويطلقون عليه زوج الأرض وسبب إخصابها.[٢]

وفى اللغة العبرية، تعنى مفردة «بعل» الرب؛[٣] لكن فى مصطلح الثقافة الاسلامية، فان كلمة بعل، هى اسم علم لصنم كان يعبده «بنو اسرائيل» فى مدينة «بعلبک» اللبنانية إلى أن بعث النبى الياس عليه السلام لهدايتهم.[٤]

وقيل: إن اسم هذه المدينة قد اقتبس من اسم ذلک الصنم.[٥]

وعلى الرغم من صعوبة إبداء الرأى حول ماضى نشأة بعل، بوصفه رب شعوب «اسيا الغربية»[٦] إلا أنه لا شک فى أن هذا الوثن، كان يعبد بقرون قبل ميلاد المسيح.[٧] وكان الفينيقيون (من سكان لبنان الحاليين والمناطق المجاورة) على ما يبدو، من أوائل الأمم التى عبدته. وقد صنعوا مذبحا لبعل، وأوكلوا عليه حراسا كثر، وكانوا يقدمون الاناس كقرابين فى الطقوس والاحتفالات.[٨]

إن تأثر بني اسرائيل (العبرانيين) بثقافة وحضارة الكنعانيين، كان واسع النطاق

---

١. «سفر الخروج»، ٣٢: ٢٥-٢٨.

٢. **ديورانت، ويليام جيمز**، «قصة الحضارة: الشرق، مهد الحضارة»، ترجمة **أحمد آرام** و أخرون، طهران، مؤسسة الثورة الاسلامية للنشر والتدريب، الطبعة الرابعة، ١٣٧٢هـ .ش.، صص ٣٦١-٣٦٢.

٣. «ويكي فقه»، الموسوعة الحوزوية، مفردة بعل؛ نقلا عن «قاموس الكتاب المقدّس»، صص ١٨٠-١٨١.

٤. «ويكي فقه»، الموسوعة الحوزوية، مفردة بعل؛ نقلا عن «تاريخ الطبري»، ج ١، ص ٤٦١.

٥. «ويكي فقه»، الموسوعة الحوزوية، مفردة بعل؛ نقلا عن «معجم البلدان»، ج ١، ص ٤٥٥.

٦. «ويكي فقه»، الموسوعة الحوزوية، مفردة بعل؛ نقلا عن «التاريخ الشامل للأديان»، صص ٣٣٨-٣٣٩.

٧. «ويكي فقه»، الموسوعة الحوزوية، مفردة بعل؛ نقلا عن «المفصّل»، ج ٦، ص ٣٠٧.

٨. «ويكي فقه»، الموسوعة الحوزوية، مفردة بعل؛ نقلا عن «قصة الحضارة»، ج ١، ص ٣٤٥.

ولافتـــا. وبالأحرى، فان ثمة نوعا من العودة و «التعرّب بعد الهجرة»[١] إلى الثقافة الكنعانية مشهود لديهم.

وكانت «كنعان»[٢] بلاد تقع بين «لبنان» و«الأردن» و «فلســطين» المحتلة حاليا.

إن تقديم الانسان كقربان، كان سائدا بين الكنعانيين. وكان ثمة أتون ملتهب، بداخـــل وثن **مولوخ** الضخم. وكانوا يرمون الأطفال القرابين وهم أحياء بداخل هذا الأتون الآكل للبشر.

وقـــد ورد في «الإنجيـــل» إله الكنعانيين أي مولوخ، مـــرارا باعتباره إله تقديم الأطفال كقرابين. وتحدث الدكتور **عبد الوهاب المسيري**، باسهاب عن الكنعانيين وتأثـــر «بني اســـرائيل» بثقافتهم وحضارتهـــم وديانتهم، ونأتي علـــى ذلك تاليا باختصار:

إن الكنعانييـــن، ينســـبون إلى كنعـــان، وهى كلمة حوريـــة وتعنى اللون الأحمر. وكان الكنعانيون، يصنعون اللون الأحمر ويتاجرون به. وحســـب جدول الأنســـاب فى «سفر التكوين» فان الكنعانيين، هم من ذرية كنعان بن حـــام بن نوح. واعتبـــر الكنعانيون فـــى «العهد العتيق» مـــن الحماة؛ بينما هم ساميون ولغتهم ســـامية أيضا. وقد يكون هذا التغير، جاء لتبرير الحـــروب التى دارت رحاهـــا بينهم وبين العبرانيين؛ بيـــد أن الكنعانيين، فى الحقيقة هم قبائل ســـامية، هاجروا فى الزمان الغابر، من صحراء شـــبه الجزيرة العربية او صحراء «سورية»...

وكان الكنعانيون، أول من اكتشـــفوا النحاس، وصنعوا البرونز من تركيبه مع الخارصيـــن. كما اســـتخدموا الذهب والفضة لزخرفـــة العاج، ولاحقا

---

١. ويعني «التعرب بعد الهجرة» العودة إلى البادية بعد الهجرة إلى المدينة، وهو مثل يضرب. وقد اســـتخدم هذا المصطلح في عهد هجرة النبي الأكرمﷺ حول أولئك الذين كانوا يعودون بعد الإيمان والهجرة إلى المدينة، إلى مكة أو البادية. وحسب الآيات القرآنية والروايات، فان هذه العودة إلى الوراء، اعتبرت من الكبائر.

2. Canaan.

استخدموا الحديد أيضا... ويرتبط تاريخ الكنعانيين بتاريخ «مصر» إلى حد كبير...

إن صناعة الألوان لدى الكنعانيين لا سيما اللون الأحمر والأرجوانى، والتى اقترنت باسمهم، انتعشت انتعاشا كبيرا.

واعتبر الكنعانيون، أول من اخترع حروف الكتابة. وقد اقتبس الفينيقيون ولاحقا العبرانيون، ألفباء الكتابة منهم. إن تلك الكمية من الأدب الكنعانى الذى وصل إلينا، معظمها من الشعر.

وكانت الديانة الكنعانية، سامية متعددة الآلهة، وكان لها بالغ الأثر على الفكر الدينى للعبرانيين، بعد دخولهم إلى «كنعان»... وكل مدينة من المدن الكنعانية، كان لها إلهها الخاص بها؛ بيد أن هؤلاء الآلهة، كانوا فى الغالب بين الآلهة الذين يعبدون من الجميع...

وكان بعل، أفضل آلهة الكنعانيين ومركز مجموعة أخرى من الآلهة. إن كلمة بعل، فى الأصل، إسم عام (وليس خاصا)، وتعنى السيد والرب. ولهذا السبب، كانت تطلق على الآلهة المختلفة؛ بيد أن بعل الأكبر، كان إله الطوفان والبرق والمطر والعواصف.

وثمة آلهة كنعانية أخرى، اشتقت أسماؤها من ملك. وقد استخدم هذا الإسم بين العمونيين، كاسم خاص لهم، على هيئة «ملكوم»... وكان الكنعانيون، يقدمون الانسان فضلا عن الحيوان، كقربان. وكانت هذه القرابين تقدم إلى الآلهة فى الكوارث الطبيعية المريرة والكبيرة، كأكبر وأشرف القرابين... والعادة الاخرى التى كانت سائدة بين الكنعانيين وتؤشر إلى مستواهم الدينى المتدنى، هى ممارسة الزنا فى طقوسهم الدينية. وكانت هذه الممارسة، تشكل جزء من عبادتهم المتعلقة بالخصوبة والتكاثر...

وقد أخذ العبرانيون، الحضارة المادية من الكنعانيين، وكما أنهم ساروا

على خطاهم فى الكثير من العبادات والآداب والتقاليد والطقوس الدينية، فانهم اقتبسوا منهم الثقافة والحضارة. كما تعلم العبرانيون، الزراعة فى «كنعان» وتحدثوا باللغة الكنعانية. وكان أوائل منشدى الهيكل، من الكنعانيين، والموسيقى التى كانت تعزف فى عصر داوود وسليمان، كانت موسيقى كنعانية. كما تأثر الشعر العبرى، بالشعر الكنعانى...

وكانت المبانى الدينية للعبرانيين، تعود فى أصلها للكنعانيين. وكانت خارطة الهيكل، تشبه خارطة معابد الكنعانيين.

ودخل العبرانيون إلى أرض «كنعان» عن طريق مهاجمتها وكذلك الزواج والتعاون مع الكنعانيين...

وفى الفكر الصهيونى، يُنظر إلى العرب، على أنهم بمنزلة قوم كنعان. وثمة إشارات كثيرة فى كتابات «غوش أمونيم» تعتبر العرب، بانهم كنعانيون ويبوسيون[١] وعمالقة، يجب إبادتهم. ومن هنا، تزداد أهمية يوشع بن نون، الذى يذكره تلامذة مدارس اسرائيل بخير.

إنه بطل عبرانى تولى قيادة عمليات إبادة الكنعانيين...[٢]

ويروي «الكتاب المقدس» في «سفر اللاويين» أن الله أمر النبي **موسى**عليه السلام بقتل عبدة **مولوخ** والمقدمين القرابين له:

وقال الله لـ مشه (موسى) هكذا: قل لبنى ييسرائيل (إسرائيل)، بان يقتل حتما كل من يقدم ذريته (أحد ما) لمولخ (الوثن الخاص) من بين أبناء ييسرائيل والغرباء الذين يعيشون بين قوم ييسرائيل. وأن يقوم عامة الناس، برجمه، وأنا أسلط غضبى على ذلك الشخص وأبيده من بين قومه؛ لانه خصص من ذريته (أحدا) لـ[الوثن] مولخ فى سبيل تدنيس مكانى المقدس والإساءة إلى حرمة إسمى المقدس وإن غض عامة

---

١. طائفة من الكنعانيين.

٢. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٤، صص ١٠٥-١٠٩.

النـاس، الطـرف عن قتل ذلك الرجـل الذى خصص مـن ذريته (أحدا) لمولخ، فانى سأسلط غضبى على ذلك الرجل وأسرته، وأبيده هو وجميع الذيـن يتبعونه لينحرفوا على خطى مولخ، من بين قومه. وإن راجع أحد، مستحضر الأرواح والسـاحر، لينحرف متبعا إياهم. فانى سأسلط غضبى على ذلك الشخص، وأبيده من بين قومه.[١]

إن النصوص التاريخية تشهد، أن طقوس تقديم الانسان كقربان، كانت سائدة منـذ الأزمـان الغابرة، بين الكثير مـن الطوائف والفرق شـبه الدينية. إن المعابد الملطخة بدماء الازتك والقلوب النابضة للقرابين البرئية بيد كهنة حضارات «امريكا الجنوبية"، وتقديم الهندوس، القرابين سنويا للإلهة الأم **كالي شيوا** والعقد الذي كان يصنع من جماجم الانسـان والمعلق برقبة كالي الهندي، هي مصاديق فحسـب لهذه الواقعة الرهيبة؛ لكن اليهود هم من تقدموا دائما على سـائر الشعوب البدوية في هذا المضمار، حتى بعد تلقي الأوامر والكلمات الوحيانية للأنبياء الالهيين.

وذكـرت مصادر التفسـير واللغة، فى وصف صنم بعـل، أنه مصنوع من الذهـب[٢]**، ومجـوف، ومربع الأوجـه، ويبلغ ارتفاعـه ٢٠ ذراعا**[٣] **وثمة ياقوتان فى عينيه**[٤] **كالانسـان الجالس فوق كرسـى، وهو يأكل شيئا، إذ يتحدث الشيطان من باطنه، ليجر الناس إلى الضلال.**[٥]

وليست ثمة معطيات دقيقة عما آل إليه بعل. وأفاد بعض التقارير أنه على الرغم من الكفاح الذى خيض لاسـتئصال عبادته فـى الأزمنة المختلفة، إلا أن عبادته اسـتمرت. وأخيرا فان هذا الصنم، شـأنه شأن سائر أصنام «الجزيرة العربية» دمر مع انتشار الاسلام.[٦]

---

١. «الكتاب المقدّس»، جمعية اليهود الايرانية، سفر اللاويين، قدوشيم، الفصل العشرين: ١-٦.
٢. ويكي فقه، الموسوعة الحوزوية، مفردة بعل؛ نقلا عن «لسان العرب»، ج ١، ص ٤٤٩.
٣. ويكي فقه، الموسوعة الحوزوية، مفردة بعل؛ نقلا عن «روض الجنان»، ج ١٦، ص ٢٢٤.
٤. ويكي فقه، الموسوعة الحوزوية، مفردة بعل؛ نقلا عن «كشف الأسرار»، ج ٨، ص ٢٩٦.
٥. ويكي فقه، الموسوعة الحوزوية، مفردة بعل؛ نقلا عن «التحرير والتنوير»، ج ٢٣، ص ١٦٧.
٦. ويكي فقه، الموسوعة الحوزوية، مفردة بعل؛ نقلا عن «الجاهلية والإسلام»، صص ٢٦٥-٢٦٦.

ويرى معظم المفسرين أن «بني اسرائيل» لجأوا بعد وفاة **حزقيل النبي**عليه السلام، إلى عبادة بعل وأعتبروا أن زوجة أخاب ساهمت في رواجه:

وأصبح أخاب ابن عمرى، ملک اسرائيل فى العام الثامن والثلاثين لسلطنة آسا ملک «يهودا، وحكم اثنين وعشرين عاما فى «سامرة». وقد أذنب وارتكب الخطايا ضد الرب، أكثر من أسلافه. وكأنه لم يكفه سير يربعام ابن نباط، على طريق الخطيئة والمعاصى، حتى تزوج من ايزابل، بنت اتبعل، ملک «صيدون» وخدم صنم بعل وعبده. وقد شيد معبدا ومذبحا لتقديم القرابين لبعل فى سامرة.[1]

وأداروا ظهورهم لجميع تعاليم الرب وأوامره، وصنعوا لأنفسهم عجلين من المعدن، وإلهة اشره، وعبدوا ما كان فى السماء، وخدموا صنم بعل. وكانوا يحرقون صبيانهم وفتياتهم فى النار ويقدمونهم قرابين لأوثانهم، ولجأوا إلى قراءة الطالع والسحر، وباعوا أنفسهم للشر والدناءة أمام الرب وأثاروا حفيظته.[2]

وكان **إرميا النبي**عليه السلام، من الأنبياء الكبار لبني اسرائيل في العصر الذي سقطت فيه «أورشليم» بيد نبوخذ نصر، ووقع بنو اسرائيل، في سبي بابل. وثمة كتاب مستقل أشبه بالمرثاة، يوجد في أسفار «التوراة».

إن انقسام اليهودية إلى الشمالية والجنوبية والحروب المتتالية بينهما ورواج الشرک وعبادة الأوثان بين اليهود والأزمة الاقتصادية، تسببت كلها بزوال قوتهم وانحطاطهم السياسى والثقافى والاجتماعى، وأزالت ازدهار واقتدار عهد سليمان. وفى هذه الحقبة، شهدنا ظهور أنبياء مصلحين تتميز معظم تعاليمهم، بطابع اجتماعى وأخلاقى وثقافى. وقام هؤلاء الأنبياء بموعظة الناس، وكذلک تنبؤ الأحداث المأساوية

١. «الكتاب المقدّس»، أوّل الملوك، الباب ١٦: ٣٠-٣٤.
٢. «الكتاب المقدّس»، ثاني الملوك، ١٧: ١٦-١٨.

المستقبلية لليهود، على هيئة عذاب الهى، وبذلك أنذروهم من العواقب السيئة لأعمالهم وتصرفاتهم... ويعد اشعيا النبى، الأول فى هذه السلسلة من الأنبياء.

وقد وبخ ملوك وأعاظم اليهود وعامة الناس بسبب انتهاكهم أحكام يوم السبت وعبادة إله الشمس والخطايا الاخرى.

رسالة إرميا، رسالة انتقاد الله، لأمة مذنبة.[1]

وتبيانا لسبب غضب الله على «بني اسرائيل»، يقول **إرميا النبي**عليه السلام:

يقول الله: إنه سيحول «أورشليم» إلى خربة، وسيجعلها وكرا لأبناء آوى. وسيجعل مدن يهودا خاوية على عروشها وخالية من السكان وسيدمرها. سألت: إلهى! لم يجب تحويل هذه البلاد إلى صحراء قاحلة وحارقة؛ بحيث لا يجرؤ أحد عبورها؟ أى انسان حكيم قادر على فهم هذا الموضوع؟ لمن أوضحت هذا الأمر حتى يوضحه للناس؟

وقال الله ردا على ذلك: «لقد تمرد قومى على التعاليم التى أبلغتهم إياها، ولم يعملوا بما أبلغتهم به؛ بل وبدلا من ذلك، انحازوا لرغباتهم وميولهم النفسانية وعبدوا وفقا لتعاليم أجدادهم، أوثان بعل. ولهذا السبب، سأعطيهم طعاما مرا وأشربهم ماء ساما. وسأفرقهم بين الأمم التى لا يعرفونها هم ولا أجدادهم؛ وحتى سألاحقهم هناك، بسيف الهلاك لكى يبادوا بالمرة».[2]

إن أحد أهم المهام الرئيسية لـ«بني اسرائيل» تمثل في مواكبة النبي **موسى**عليه السلام ومتابعته والهجرة من مصر إلى أرض «كنعان» والجهاد ضد الأمم المقيمة في هذه المنطقة، الأمم التي كانت تعيش في ذروة عبادة الأوثان والفسوق والفجور؛ بحيث ورد في أحد أسفار «العهد العتيق":

---

١. **ديورانت، ويليام جيمز**، «قصة الحضارة»، ج ١، صص ٣٥٠-٣٧٢.

٢. «الكتاب المقدّس»، إرميا، ٩: ١١-١٦.

قال الله لموسى:

«قل لقوم إسرائيل: عندما عبرتم نهر الأردن ووصلتم إلى أرض كنعان، كان يجب أن تطردوا جميع سكانها، وأن تبيدوا جميع أوثانهم وتماثيلهم، وتهدموا المعابد الكائنة فى أعلى الجبال، حيث كانوا يعبدون أوثانهم...»[١]

لكن بني اسرائيل التقطوا الجزء المتعلق بالتملك والاستيلاء وتخلوا عن الجزء المهم في معية النبي **موسى**عليه السلام والديانة الموسوية الإلهية. وبالتالي، فانهم الذين تدفقوا وفقا لتعاليم الله لمواكبة النبي موسىعليه السلام لتحويل الكنعانيين والعمالقة المصابين بعبادة الأوثان والمنغمسين في الفسوق والفجور والملذات والسحر، إلى يهود وموسويين، تحولوا هم في الصورة والسيرة إلى كنعانيين، ورضخوا لجميع صفاتهم الرذيلة والدنيئة وآمنوا بها. ومن هذه الصفات الدنيئة يمكن الإشارة إلى عبادة **مولوخ** وتنفيذ طقوس تقديم القرابين لهذا الوثن الشيطاني والتطبع بطبع التمرد والحكم الشمولي، والذي تناقلوه جيلا بعد جيل إلى أن وصلوا إلى العصر الحاضر.

وقد حزن ذلك النبى [إرميا] وغضب لمشاهدته قومه وهم يعبدون بعل ومولك [مولوخ].[٢]

وكانت أقلية ملفتة من الناس، يسجدون للأحجار المقدسة، أو يعبدون بعل وأستارته، أو يستنجدون على طريقة البابليين، بالغيب أو يقيمون أصناما ويولوعون البخور لها أو يعبدون العجل الذهبى، أو يقيمون فى الهيكل، اجتماعات واحتفالات عبادة الأوثان، أو يرغمون أبنائهم على المرور كقرابين عبر النار...[٣]

وكانت أستارتة[٤] **فى الأساطير «الفينيقية» إلهة الإخصاب والجمال**

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ص ١٢١.

٢. **ديورانت، ويليام جيمز**، «قصة الحضارة، الشرق، مهد الحضارة»، ج ١، صص ٣٦٥-٣٦٧.

٣. المصدر السابق.

4. āstārte.

والغرام الجنسى ومتطابقة مع إيشتر[1] البابلية، واعتبروها لاحقا إلهة القمر بسبب توحدها مع الآلهة الاخرى.[2]

واللافت أن العبرانيين، كلفوا بتهديم المعابد المنتشرة في أعالي الجبال وأماكن استقرار الأوثان؛ بيد أنهم استساغوا عبادة الأوثان، لدرجة أنهم بادروا إلى إعادة بناء وتأهيل وتطوير الأديرة ومعابد الأوثان.

وتعد اليوم مدينة «صفد» في «الجليل» واحدة من المدن الأربع المقدسة لليهود، أكبر معقل للكابالليين اليهود.

إن «صفد»[3] مأخوذة من الكلمة الكنعانية «صفت» بمعنى العطاء والكرم، هو إسم مدينة فى الجليل. وتقع فى أعلى جبل يبلغ ارتفاعه ألفين و ٧٨٠ قدما عن سطح البحر، وواحدة من المدن الأربع المقدسة لليهود (مع القدس والخليل وطبريا)...

وتحولت صفد فى القرن السادس عشر للميلاد إلى مركز دينى. وكان يوسف كارو[4] مؤلّف «شولحان عاروخ»[5] وإسحاق لوريا[6] و تلميذه حَييم فيتال[7] وهم من أعاظم شخصيات تعاليم القبالة [الكابالا] يعيشون فى هذه المدينة. وأصبحت بذلك صفد، مركزا للتعاليم والدراسات القبالية.[8]

إن القبالة[9] هو التصوف اليهودي بعينه، ويستند إلى التنسك غير الإلهي والغامض وطبعا المدنس بالمعتقدات الخرافية والسحرية.

إن الكابالليين اليهود المقيمين فى صفد، يسعون من خلال القيام بالطقوس

---

1. Ishtar.

٢. **معصومي، علي رضا**، «موسوعة الأساطير والديانات القديمة في العالم»، طهران، سورة مهر للنشر، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ .ش.

3. Safed.
4. Yosef Caro.
5. Shulchan Aruch.
6. Isaac Luria.
7. Hayyim Vital.

٨. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ص ١٢٨.

9. Kabbalah.

الخاصة، لمواجهة المؤمنين وتقويض قوتهم فى البلدان الاسلامية، وذلك دعما للصهيونية الدولية والأيادى العابدة للشيطان فى الأديرة الصهيونية ومحافل الماسونية العالمية.

وكان ربّـى إسـحاق لوريا، أب التصوّف الكابالائـى اليهودى (١٥٣٤–١٥٧٢م.) والمنظـر الجديـد للقبالية، ينتمى إلى أسـرة يهودية شـهيرة، تنتشـر فروعها فى الكثير من الدول الأوروبية والإسلامية. وكان أخيه، مردخاى، مقاول ضرائب ثرى فى «فرنسا».

وذهب إسـحاق وهو يافع إلى «مصر» وأقام لمدة فى جزيرة بالقرب من «القاهـرة»، كانت تعود لعمه وأب زوجته. وفى هذه الحقبة، تحول لوريا إلـى منظر للقبالية وأحد القادة الرئيسـيين لهذه الطائفـة... وكان أنصار لوريا، ينادونه، مسـيح بن يوسـف، الذى يمهد الطريق لظهور المسـيح الرئيسى، المسيح بن داوود (السلطان الموعود لليهود).[١]

متروبوليس العصرية وعبادة مولوخ

ويمكن تصنيف «متروبوليس» ضمن أحد الأعمال الأولية للسـينما، في باب أفلام آخر الزمان والمنقذ.

إن اهتمـام وتأكيد كاتبة سـيناريو فيلم متروبوليس، السـيدة **تيافون هاربو**[٢] – التي هـي بالمصادفة زوجة مخـرج الفيلم، فريتز لانغ – علـى موضوع التنبؤات والمكاشـفات والظهور القريب للمنقذ، يظهر ويكشف حرصهما وربما انتمائهما للبروتسـتانتية الألمانية؛ القضية التي تحولت في السـنوات اللاحقة إلى وسـيلة لصناعة العديد من الأفلام في «هوليوود» بدعم وتوجه من الإيفانجيليين البروتستان الامريكييـن؛ رغم أن فريتز لانغ، كان قد قال حول نفسـه بعد الهجرة إلى امريكا

١. وللمزيد من المعلومات، أنظر: **شولم، غرشوم غوهارد**، «التوجهات والمدارسة الرئيسية للعرفان اليهودي»، ترجمة **علي رضا فهيم**، قم، إصدارات جامعة الأديان والمذاهب، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ .ش.

2. Thea von Harbou.

والبدء بصناعة الأفلام:

قد كنت الشئ الذى ينبذ ويكره دائما فى هوليوود؛ أى كونى من أنصار الكمالية. لا أحد يحب نصير الكمالية. تعرفون أن العمل معه صعب للغاية؛ لانه يعرف ماذا يريد على وجه الدقة![١]

إن النزعة المستقبلية[٢] في هذا العمل، تكشف النقاب عن توجهات الكاتب والمخرج.

وفي الجزء السفلي من «متروبوليس» تعد **ماريا**، مبشر العمال الذين يتمنون الحرية والخلاص من تحت العجلات الحديدية والقاسية لـ«متروبوليس». وتدعوهم للصبر وقرب عصر ظهور المنقذ، وتشرح مدينة «بابل» والآلهة البابليين في العصر القديم، لتميط اللثام عن النسبة والعلاقة بين متروبوليس وماكنتها الآكلة للحوم البشر، **مولوخ**، الإله القديم للبابليين واليهود.

وقام **فريتز لانغ**، بتصميم وعرض هذه الماكنة العملاقة التي تطلب أثناء الغضب على رعايها وعبيدها (عمال متروبوليس) القرابين، على هيئة مولوخ.

ويعد «برج بابل» أحد أبرز الرموز القائمة في متروبوليس.

وقد بيّن «سفر التكوين» في الفصل الحادي عشر، قصة بناء مدينة بابل وبرجها بعد انحسار طوفان **نوح**عليه السلام وانتشار الناس في سهل بابل الشاسع، واعتبر النزعة الشمولية للنمروديين البابليين، السبب في تدمير مدينة بابل وبرجها، وتبعثر وتفرق الناس في أقاصي المعمورة.

وكانت بابل، هذه المدينة العريقة في «بين النهرين» تقع على مسافة ٨٨ كيلومترا جنوبي بغداد؛ أول مدينة شيدت بعد نحو مائة عام على الطوفان الكبير (عصر النبي نوحعليه السلام). ويشير «الكتاب المقدس» في سفر التكوين، إلى بناء برج مرتفع في هذه البلاد، على يد جماعة من المتمردين النمروديين.

---

١. مأخوذ من كتابات حول فريتز لانغ في فيسبوك بعنوان «اسطورة من مهد الاكسبرسيونيسم» في ٢٠ ابريل ٢٠١٤م.

2. Futurism.

وكانـــت «بابل» في ذروة تحللها الخلقي، ونقل مؤرخون بمن فيهم **هيرودوت**، أن تقليد البغاء المقدس وقتل النســـاء في هذه المدينة، كان سائدا؛ فضلا عن أن سكان بابل، كانوا يتبعون الأوهام والتخرفات ويؤمنون بالسحر والتنبؤات والكهانة.

واشـــتهرت بابل لـــدى الكتاب المســـلمين، بانها مدينة الســـحر والنبيذ[١]

واعتبـــرت فـــى الأحاديث الاســـلامية بانها مدينة ملعونـــة ومكان نزول عذابين أو ثلاثة عذابات.[٢]

وأفـــرد **ويل ديورانت** في الجـــزء الأول من «قصة التاريخ» فصـــلا لتاريخ بابل وحضارتها. وأورد فيه:

إن أى حضـــارة لا تشـــبه حضـــارة بابـــل من حيـــث التمســـك بالأوهام والخرافات... وكما يبدو فى الظاهر، فان الدين لم يكن له أثر فى الطبقات العليـــا فى أواخـــر العصر البابلـــى؛ لان بابل امتلأت بالفســـوق والفجور وغرقت فى وحل الظلم والجور وتحولت إلى نموذج سئ للغاية للانهيار الأخلاقى واللهاث وراء الملذات فى العالم القديم؛ وحتى أن الاســـكندر الـــذى لم يكف حتى آخر أيام حياته عن احتســـاء الخمور، اســـتغرب من الأخلاق التى كانت تســـود أهالى بابل. إن أســـوأ العادات والتقاليد التى كانت تلفت فى بابل انتباه أى شـــخص أجنبـــى يزورها، هى التى وصفها هيرودوت كما يلى:

يتوجب على كل امرأة بابلية، أن تجلس خلال فترة عمرها، مرة واحدة فى معبد الزهرة وتجامع رجلا أجنبيا.

وكان تقليد «البغاء المقدس» ســـائدا فـــى بابل ... وكان البابليون يبيحون عادة العلاقة الجنســـية قبل الـــزواج إلى حد كبير. إن البغاء المقدس، كان شكلا من أشكال البغاء ولم يكن يعنى التحلل الخلقى بل كان يتم فى ظل

---

١. «أعلام القرآن»، ص ٢٤٣-٢٤٤.

٢. «وسائل الشيعة»، ج ٥، صص ١٨٠-١٨١.

المعتقدات الدينية وكوسيلة لنيل رضا الآلهة. وفى الهند القديمة، كانت ثمة معابد، تنذر النساء فيها، نفسها من أجل ذلك.[١]

وقد وردت مفردة «بابل» مرة واحدة في «القرآن» بوصفها مدينة، كان **هاروت وماروت**، يعلمان الناس السحر فيها.

«واتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكنَّ الشَّياطينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَ مارُوت...»[٢]

وقد اقتبس **فريتز لانغ**، بدهاء، نسخة «متروبوليس» العصرية، من بابل القديمة؛ بتلك المواصفات التي وردت في المصادر التوراتية والتاريخية القديمة؛ مدينة زاخرة بالقساوة وعديمة الرحمة وخلو الانسان من حقيقة الوجود والكرامة الانسانية، وتحول العمال الذين ينتمون للطبقات الدنيا لمتروبوليس إلى روبوتات عديمة الروح وطبعا قرابين يقدمون لـ**مولوخ**.

وفضلا عن ذلك، فان فريتز لانغ، سعى من خلال استخدام الرموز المختلفة لإظهار أن أولئك الذين أقامو دعائم متروبوليس، وحملوا سكانها المظلومين ما لا طاقة لهم احتماله، هم سكنة الأديرة وأقبية السحر والشعوذة، وكهنة العصر الجديد، والماسونيون والأعضاء السريون للمحافل التي يُعبد فيها الشيطان.

إن معرفة هذا السرّ الدفين لمحافل **إلوميناتي**[٣] الخفية وإماطة اللثام عنه من خلال إظهار الغريم وأخ مالك «متروبوليس» في دير «صهيون»، وهو أشبه بالكوخ المظلم والضيق في ضواحي المدينة العصرية، يميز هذا العمل عن سائر أعمال السينمائيين الغربيين.

---

١. **ديورانت، ويليام جيمز**، «قصة الحضارة»، ج ١، صص ٢٨٧-٢٨٩.

٢. سورة البقرة، الآية ١٠٢.

٣. ولمزيد من التعرف على الماسونية العالمية وإلوميناتي، راجع الجزء الثامن من مجموعة «قبيلة اللعنة»، بعنوان «إلوميناتي: ثلاث عشرة عائلة تائجة، ثلاثة عشر نهجا داميا»، لهذا المؤلف. وقد صدرت هذه المجموعة عن دار هلال للنشر.

وكأن الشـــيطان وأشياعه، قاموا من خلال الســـحر وانتزاع القلوب من صدور سكان «بابل» العصرية، بمسخهم وطمس هويتهم، وتحويلهم إلى روبوتات آلية، تخضع لهيمنتهم وسلطانهم.

إن **ماريا**، هي المبشـــرة، التي تنتظر قدوم المنقذ وإعادة القلوب المنزوعة إلى الصدور الخاوية لســـكان الطبقات الدنيا من متروبوليـــس، لتتوفر بذلك، إمكانية إعادة إحيائهم وتخليصهم من طلاسم الماسونية العالمية وقيودها السحرية.

وتبرز على الباب والمســـالك الملتوية والمتداخلة لكوخ «متروبوليس»، شارة النجمة الخماسية.

إن شـــارة النجمة الخماســـية المقلوبة، هي شـــارة قديمة، استخدمت طيلة التاريخ، من قبل أنصار الفرق الغامضة، في الطقوس السحرية ولاستحضار الأرواح الشيطانية.

وكانت النجمة الخماســـية المقلوبة، رمزا قيما لدى أتباع وأنصار تعاليم عبادة الشمس، وطلســـم ضد الشيطان، وكانت ذات يوم، رمزا لمدينة «أورشليم". وفي المقابل، فان النجمة الخماســـية المقلوبة (رأس النجمة مقلوبا إلى الأســـفل) هي رمز شيطاني وشرير، امتزج بالسحر الأسود. رمز استخدمه عبدة الشيطان واستعمل أثناء استحضار الأرواح الشيطانية.

إن هذه النجمة مؤشر على العناصر الأربعة وهي: الماء والنار والتراب والهواء، وروح شـــيطانية تحيط بها وتشـــاهد على بوابات مقر سكنة أديرة «متروبوليس»، **روتوانغ**، وكأنها تحمي الروح الشيطانية لهذه المدينة عديمة الرحمة والشفقة.

إن ازدهار وتفتق شجرة المحبة في صدر **فردر**، الابن الشاب **لفردرسون** (مدير متروبوليس)، يشـــكل بدايـــة لبابل العصرية هذه. إنه بصدد لقـــاء **ماريا**، ينفذ إلى المحفل الخفي لطلاب المحبة والنجاة؛ الواقعة التي تركت تصدعاتها على جدران متروبوليس ودقت جرس موتها.

وكأن رمـــز **الحـــب والمحبة** هذا، هـــو القلب ذاته المنزوع من صدور ســـكنة

متروبوليس، والذي بوسعه نفخ روح جديدة في الجسد الكئيب لسكان الطبقة الدنيا للمدينة وقرابين عتبة **مولوخ**؛ بيد أن ساكن دير صهيون (روتوانغ) يلجأ إلى السحر بهدف الانتقام من منافسه في الغرام (الماسونية)، ليقذف بشرّ ماريا الزائفة (دجال آخر الزمان) على جميع سكان الطبقات العليا والدنيا لمتروبوليس.

إن ماريا الزائفة، هي تلك البغي البابلية، التي تحث في هيئة ماريا الواعظة، العمال غير المدركين والمولعين والمنتظرين، على نسف قلب متروبوليس، من جهة، وتعمل على إغراء الرجال اللاهثين وراء شهواتهم والمترفين في متروبوليس، على إلهائهم بها وتجعلهم يدخلون في صراع محموم مع بعضهم البعض، من جهة أخرى، أما ماريا الحقيقية، فهي واقعة في قبضة طلسم راهب دير صهيون وأسيرة الغرف المتشابكة والمتداخلة، وفقدت تأثيرها وأداءها. وتفتح في ظل الإغراء الذي تمارسه عاهرة «بابل» العصرية، الأبواب السبعة للكبائر في وجه سكان المدينة.

ويستند **فريتز لانغ** في إنتاج مشاهد البغي البابلية (ماريا الزائفة) إلى الفصل السابع عشر من المكاشفات، حلم مومس العالم الشهيرة. ونقرأ في هذا الفصل من المكاشفة:

وعندها جاءت واحدة من تلك الملائكة السبع التى كانت قد تساقطت أجنحتها على الأرض، إلى وقالت: تعال معى لأريك، ماذا سيحل بتلك العاهرة الشهيرة التى تتربع على مياه العالم؛ لأن ملوك العالم زنوا بها، وثملت أمم الدنيا من خمر زناها.

إن روح الرب، قد احتوتنى وأخذتنى الملائكة إلى الصحراء. وهناك رأيت امرأة تمتطى حيوانا أحمر اللون. وكان الحيوان، يملك سبعة رؤوس وقرنين، وكتبت على جسده، شعارات كفر مسيئة للرب. وكانت ثياب المرأة حمراء وأرجوانية ومجوهراتها من الذهب والأحجار الكريمة والدر، وبيدها كأس ذهبية مليئة بالفساد والزنا. وكتب على جبينها هذا

الإسم الغامض: بابل الكبرى، أم البغايا والفساد فى العالم.[١]

واستنادا إلى هذه القرائن، وكما يشاهد في أرجاء الفيلم والرموز المستخدمة من **قبل فريتز لانغ**، قلت أن «متروبوليس» هي رمز «بابل» القديمة، **ماريا الزائفة والبغي البابلية.**

ومن وجهة نظر لانغ، فان القلب الضائع لسكان متروبوليس، انتفض بالاستعانة بماريا الواعظة والمتنبئة، ضد السحرة من عبدة الشيطان بدير «صهيون»، وبعد إحراق الدجال الكذاب، برسم إحراق السحرة في العصور الوسطى، يميط اللثام عن الوجه الزائف للساحرة ويكشف النقاب للجميع عن طبيعتها غير الانسانية وغير الإلهية.

وبعد صراع مرير ومقتل ساحر دير صهيون في الكنيسة المحررة، تلتحق ماريا بحشود أهالي المدينة، لتسهم في ظل ربط أيدي العمال والعقل المدبر لمتروبوليس، في عودة الهدوء والاستقرار إلى المدينة.

وتحصل هذه الواقعة والترابط، عند عتبة الكنيسة الكبرى للمدينة وأمام مرأى حشود من العمال الذين تنفخ روح جديدة في أجسامهم ويجري دم جديد في عروقهم ويخرجون من كونهم روبوتات، بعد ما كانوا في المشهد الأول لبداية الفيلم، جميعا مكتئبين وحزينين.

وتتوجه ماريا إلى **فردر**، ابن مالك متروبوليس بالقول:

إن الرأس (الفكر والدماغ) والأيدى، تريد أن ترتبط معا...؛ لكنها لا تملك قلبا لذلك.

أيها المنقذ، أظهر الطريق لكل واحد منهم!

والمنقذ، يجب أن يملك قلبا بين الرأس والأيدى!

وكأن **فريتز لانغ**، يعتبر تهميش القلب والحب، سببا لغلبة الشيطان، **مولوخ** وإرساء نظام الماكية عديم الرحمة وطمس ومسخ الانسان في العالم العصري،

١. «المكاشفات»، الفصل ١٧: ١-٥.

ويرى في عودة الحب، سببا لسقوط **إبليس** وموت السحر.

ويتحدث الفصل الثامن عشر من «المكاشفات» عن نهاية «بابل»:

وبعد هذه الأحلام، رأيت ملكا آخر، هبط بصلاحيات تامة من السماء إلى الأرض. وكان هذا الملك، يتألق لدرجة أنه أضاء الأرض برمتها. وصرخ بصوت عال:

لقد دمرت بابل الكبرى! دمرت نهائيا!، لقد بابت بابل، مكمنا للغيلان والشياطين والأرواح الشريرة؛ لان جميع الأمم ثملت من نبيذ زناها المشؤوم. وقد مارس ملوك العالم الترف والبذخ والملذات والشهوات هناك، وأصبح تجار العالم، أثرياء بسبب حياتها التى يسودها البذخ والترف.

وفى هذه الأثناء، سمعت من السماء صوتا آخر يقول:

يا قوم! تخلوا عن هذه المدينة ولا تدنسوا أنفسكم بخطاياها؛ وبغير ذلك، فانكم ستنالون العقاب ذاته؛ لان معاصيها وذنوبها تراكمت حتى بلغت الأفلاك. وعليه، فان الرب جاهز لمعاقبتها على جرائمها.[١]

وفي الفصل التاسع عشر من المكاشفات، يعلو صوت ونشيد الشاكرين إلى السماء لجهة النجاة والعزة والإكرام الإلهي.

ويظهر الفيلم في آخر مشهد منه وأثناء ربط الدماغ والقلب والأيدي، الطريق للخروج من ديستوبيا «متروبوليس".

وقد أظهر فريتز لانغ من خلال إنتاج متروبوليس أنه يتقدم لزهاء مائة عام على عامة المخرجين والفنانين، بل على عامة مفكري الثقافة والسياسة في عصرنا الحاضر. إن ما نشهده اليوم من علاقات سياسية واجتماعية واقتصادية لعصر ما بعد الحداثة والعصرنة، كان قد شاهده هو في مرآة إبداعه الذهني.

إن قصة متروبوليس هى قصة مدينة فى المستقبل، بحدود عام ٢٠٢٦م.

١. «المكاشفات»، الفصل ١٨: ١-٥.

واليــوم حيث العام ٢٠٢٠م.، تعيش شــعوب العالــم مدينة بابل العصرية (العالــم التكنولوجــى الغربى) ومتورطة بها. إن الدجــال الكذاب للثقافة والفن وسكنة دير إلومیناتی والماسونية العالمية، يقصدون من وراء إثارة فوضى عارمة علــى الصعيد العالمى، رفع راية النظــام العالمى الجديد، وهو ما أشرت إليه سلفا.

اَدَلُّ الدّلِيلِ عَلَى اِمكَانِ الشّيءِ وُقُوعُه.

المدينة الفاضلة واليوتوبيا والإنسان

إن مجمل قضية كتاب اليوتوبيا والديستوبيا، المتشوقين والحريصين على تحقق ضرب من المدينة الفاضلة أو اليوطوبيا على وجه المعمورة، وحتى الجماعة التي أسهمت في إرساء المدن الفاسدة، يعود إلى التعريف الذي تقدمه كل جماعة حول الإنسان ومكانته في الكون والوجود. إن نشأة عامة المجالات الثقافية والحضارية للأعصار السالفة والعصور المستقبلية، معطوفة أيضا على هذا التعريف عن الانسان ومعرفة موقع الإنسان.

إن المدينة الفاضلة لـ**أفلاطون** ومدينة «متروبوليس» الفاسدة تتكون من جماعة من الأناس المتأثرين بمشروع ونظام مرسومين على يد حكيم وفيلسوف أو جماعة نمرودية ذات خصال شيطانية، وتتحول من الفكر إلى أرض الواقع.

إن مثلث معرفة **الإنسان وخالق الكون والطبيعة**، في أي مجال نظري، يضع عالما أمام ذهن الانسان ولسانه، ويتخذ طابعا خارجيا محسوسا وملموسا إن توافرت الإمكانية اللازمة لتحقيقه على أرض الواقع، وتنشأ من هنا، المجالات الثقافية والحضارية. إن البشرية، تسير في عالم الإمكان، وتملك وفقا للسن الإلهية المجعولة في هذا العالم المادي، إمكانية إرساء حالات عديدة لصورة الحياة، فضلا عن أن المقدرات السماوية، تتكون بطبيعة الحال عن طريق هذه **السنن الإلهية الثابتة والعمل الفردي والجماعي** لسكان الأرض؛ وإلا، فان الله لا يريد سوى

الخير لبني آدم.

وروى **داود الرقي** عن **أبي عبد الله**عليه السلام قال:

كان أبو جعفرعليه السلام **يقول:**

«نعم الأرض الشّام وبئس القوم أهلها اليوم وبئس البلاد مصر أما إنّها سجن من سخط الله عليه من بنى إسرائيل ولم يكن دخل بنو إسرائيل مصر إلّا من سخطة ومعصية منهم لله لأنّ الله عزّ وجلّ قال: «... ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ...» يعنى الشّام فأبوا أن يدخلوها وعصوا فتاهوا فى الأرض أربعين سنة قال وما كان خروجهم من «مصر» بدخولهم الشّام إلّا من بعد توبتهم ورضى الله عنهم...»[1]

إن إنزال الكتب المساوية وإرسال ١٢٤ ألف نبي، لم يحصل إلا لجعل الانسان على مدار متسق مع منظومة الكون، بالتلازم مع نظام الانسان وطهره وهدايته على طريق الخير والصلاح ونيل السعادة الدنيوية والاخروية.

«وَلَقَدْ بَعَثْنا فى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ»[2]

وقد ابتهل النبي **إبراهيم خليل اللّه**عليه السلام إلى الله تعالى من أجل الناس:

«رَبَّنا وَابْعَثْ فيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»[3]

إن الله تعالى، هو الهادي، وأن الإنبياء هم الداعين، وفي هذا الخضم، فان الانسان هو الذي يختار طريق الهداية أو الضلال.

«الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فى التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتى كانَتْ

---

١. **قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله**، «قصص الأنبياء»، مشهد، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .ق.، ص ١٨٦.
٢. سورة النحل، الآية ٣٦.
٣. سورة البقرة، الآية ١٢٩.

عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا به وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون»[١]

إن المدن الفاسدة الموصوفة في جميع الأعمال الثقافية والفنية والديستوبيا التي تحققت في الأرض، ليست سوى الظهور المادي والمحسوس للفكر والتطبيق الفردي والجماعي لـ«أطفال الانسان»[٢] في «متروبوليس» وتحول المدينة الطيبة والطاهرة إلى «مزرعة الحيوان» وفي النهاية، تحقق معرض توحش البشرية وقدرتها على إبادة ذاتها في فيلم «التصادم».

إن الفنانين، أكانوا كتابا أو مخرجين سينمائيين، يعملون أحيانا على تصوير المجتمعات؛ في الزمن الذي يعايشونه وتارة بنظرة ثاقبة وقلب واعٍ ومدرك، ويتنبأون مستقبل المجتمعات؛ في الطريق والمسار الذي يسلكونه.

إن جهد الكاتب في الفصول السابقة لهذا الكتاب، انصب على إظهار موطئ قدم **مصممي مدينة فاسدة مساحتها الكرة الأرضية** لسكان المعمورة. مدينة فاسدة ومشحونة بالضياع والاستبداد بحيث أن جميع الرجال والنساء الذين يقطنونها، هم غلمان وجوار؛ أولئك الذين يمضون كل سنوات حياتهم ويبلغون الشيخوخة والوهن، على أمل **العودة** والتحرر؛ لا ينعمون بحق الحياة وتهاووا وسقطوا إلى مستوى أداة للذة والمتعة واللهو والقصف لحكام مدينة يعتريها الظلام والعتمة اللتين افرزهما الحكام الذين أخفوا أنفسهم وراء الستار والكواليس، وشيدوا هواجس إبليسهم على أساسيات الديستوبيا والواقع المرير لسكان الأرض. وماذا يفرق إن أطلقنا عليها إسم «متروبوليس» و «١٩٨٤» و «العالم الجديد الشجاع» و «جلعاد»[٣] أم «نيويورك» و «لندن» و «باريس» و «اسطنبول»؛ لان كلها انصهرت وهضمت في متروبوليس النظام العالمي الجديد.

ويشير **فريتز لانغ** من خلال عرض «دير صهيون» و**مولوخ** آكل لحوم البشر في

---

١. سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

٢. عنوان آخر لفيلم Children of Men (٢٠٠٦م.)، للمخرج المكسيكي، **ألفونسو كوارون** (Alfonso Cuarón).

3. Gilead.

«متروبوليس» عام ١٨٢٧م.، بـ«البنان» إلى تلك النقطة التي ألقت **مارغرت أتوود**[١] الضوء عليها عام ١٩٨٥م. من خلال تأليف «حكاية الجارية»،[٢] وجسدتها بالعلم الرسمي لجمهورية جلعاد.

إن جمهورية جلعاد، لمارغرت أتوود، شمولية ومستبدة وسوداء وتضم سكانا من العقائم، بحيث أن «لندن» في فيلم «أطفال الانسان» للمخرج المكسيكي **ألفونسو كارون**، تنطوي على أوجه شبه كثيرة مع الكثير من الرموز والعلائم التي تشاهد في الأعمال المذكورة آنفا، وهي تزيد من صحة هذا الظن وتشير بالجملة إلى منشأ ومصدر واحد: المحافل الخفية للماسونية العالمية وإلوميناتي.

إن العبادة والتدين، الأسرة والإنجاب، الطهر والعفاف، الجغرافيا الثقافية المقدسة، العشق والحب، التقيد بالحق والحياة الحرة على وجه البسيطة، وبالتالي، الهوية الإلهية والانسانية، هي أكثر المفاهم والمضامين المجهولة وغير المحبذة، الموجودة والمشتركة في جميع أعمال ديستوبيا آخر الزمان. وكأن إرساء وإقامة دعائم الأنظمة الشمولية التي تكفر بالله، والمستبدة والشيطانية، تقام على أساس إمحاء وإزالة جميع المفاهيم السامية المذكورة عن الذهن واللسان ومشهد الحياة الفردية والجماعية لعباد الله؛ لانه طالما لا ينفصل الانسان عن تلك المفاهيم النبيلة والسامية، فانه لا يصل إلى ضرب من التشابه والتواضع والعبودية والتعبد المطلق على عتبة كهنة معبد **مولوخ ولوسيفر**، أي الأشرار عبدة الشيطان (إلوميناتي والماسونية العالمية) ولا يستلذ به أبناء الشيطان بالتبني.

وهذا الوضع، يذكر بالتحقق المادي والخارجي للقسم الذي أداه إبليس اللعين، في فجر خلق الانسان، وأعلن بتمرد تام على إله الكون والوجود:

«**فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين**»[٣]

---

١. وقد أصدرت مارغرت أتوود، رواية «حكاية الجارية» لأدب الديستوبيا عام ١٩٨٥م.، في مجال الخيال العلمي. وتدور أحداث الرواية في مدينة «كامبريدج» في «ماساتشوستس» بالولايات المتحدة الامريكية.

2. The Handmaid›s Tale.

٣. سورة ص، الآية ٨٢.

الغوييم،[1] أغيار غير مقدسين

وأثنـــاء التحقيق والبحث عن ســـبب الحقد الدفين، لأشـــرار اليهود، طيلة التاريخ حول الانسان والأديان، نواجه تعريفا عن «الإنسان» وتبويب الإناس إلى صنفين؛ يهـــودي وغير يهودي؛ وهو ضرب من إضفـــاء الأصالة على العرق الذي يقول به اليهود لأنفسهم ويصرون عليه.

وفـــي هذه الرؤية الخاصـــة بعلم الوجود لليهود والمتأثـــرة بالإلهيات التلمودية المحرفـــة، فان مفردة **الإنســـان** قد أطلقـــت على الفرد اليهودي فحســـب، وغير اليهودي، مهما يكن، ومن أي مذهب ونهج كان، فهو **غريب** وبالطبع غير انسان وجدير باستغلاله، كالحيوانات.

إن إضفاء الأصالة والاحتكار عند تعريف الانســـان لدى اليهود، أدى إلى أن يبقى الســـكان اليهود، في الحد الأدنى من التعداد، مقارنة بأتباع سائر الديانات والمذاهـــب، وأن تتحـــول معاداة الغير إلى خصلة ثابتة وعادة ثانوية وأن تترســـخ وتبقى.

إن **التوجه الحلولي الإفراطي**، بمعنى أن الشعب المختار، الذي حل فيه الله، قد أضفى الأصالة على هذا الإنطباع، وأوحى لليهود، الشعور بكرامة فوق بشرية، لكي يجد لهذا السبب، الإستثناء والإختيار، معنى ومفهوما حقيقيين وليس اعتباريين.

---

1. Goyim.

إن **القدسية** هي في الإنطباعات التقليدية، من جعل الله المتعال، وتضفى بشكل خاص ولأسباب خفية، على بعض الأماكن والأشخاص والأشياء وحتى المواقيت. إن اليهود ومن خلال الرجوع إلى بعض الثناء والتكريم اللذين حصلا في الدورة الأولى من عصر النبي **موسى كليم الله**عليه السلام، نسبوا إلى أنفسهم نوعا من القدسية والطهر الذاتي؛ في حين أن كل ذلك الثناء والتكريم، قد جاء أولا، بازاء التنفيذ الصادق والمخلص للمهام الموكلة من قبل الله، وثانيا أن تلك المهمة وعلى إثر الخروج من الجدارة والكفاءة بسبب الفسوق والفجور، قد تحولت وتبدلت، ونسخت بالضرورة تلك التعاريف، كما أن كل ذلك، لا ينسحب على وجود ضرب من الاستثناء الذاتي بين الانسان اليهودي وغير اليهودي. إن اليهود ومن خلال تعميم هذه التعاريف والثناء المشروط، طوال الزمن والاستناد إلى بعض التفاسير التلمودية للروايات التوراتية، يفترضون أنهم استثنائيين ومقدسين، وغيرهم مدنسين وملوثين ونجاسة غير قابلين للشفقة.

إن هذه الرؤية اليهودية الحاخامية لعلم الوجود، تحولت طيلة التاريخ إلى أداة للتوجهات الصهيونية نحو الانسان واليهود.

وتقول «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» في تعريف ووصف **الأغيار** من وجهة نظر اليهود:

إن الأغيار، هى المرادف لكلمة «غوييم» العبرية ومفردها «غوى» وتعنى الشعب والأمة. وكانت هذه المفردة تستخدم بداية لليهود وغير اليهود؛ لكنها استخدمت لاحقا لغير اليهود فقط، ولهذا السبب، اتخذت مفردة الأغيار، مرادفا لها. واتسمت هذه المفردة بطابع توبيخى وملامة، وتنطوى كلمة الغير، على معنى الغريب والأجنبى.

إن هؤلاء الأغيار والأجانب، يصنفون ضمن درجات، أدناها، المشركون وعبدة الأوثان (عوبدى كوخاوى أو المزالوت بمعنى عبدة النجوم) وأرفعها، المسلمون والمسيحيون الذين تخلوا عن عبادة الأوثان.

والشـريحة الوسـطية بين هذين الفريقين، هم «غيريـم» أى الجيران أو الذين أقاموا فى الجوار (مثل السامريون)...

وجاء فى «سفر إشعياء»:[١]

أيا قومى! إن الأغيار سـيخدمونكم. إنهم سـيذهبون بقطعانكم للمراعى وسـيحرثون أراضيكم ويحافظون على بسـاتينكم. ستسمون كهنة الرب وخدمة الرب. وستستولون على كنوز الأمم وستكون ثروتهم، لكم.

وجاء فى «سفر ميخا»:[٢]

يا أهالى «أورشـليم»! انهضوا وقوموا بدرس الحنطة. سـأمنحكم، قرونا من حديد وحوافر من نحاس لتدوسوا على أمم كثيرة.

وقـد اضطلـع الحاخامات اليهـود، بدور بالغ فى تشـديد هـذه الرؤية الانفصالية من خلال الشـريعة الشـفوية [التلمود] التى تؤشر إلى زيادة هيمنـة الحلولية فـى اليهودية. وقد منعوا اسـتنادا إلى «سـفر التثنية"[٣] الزواج بالأقوام السـبعة والمشركين الكنعانيين، وحتى أنهم وسعوا نطاق هذا المنع بطريقة تشـمل بلا اسـتثناء جميع الأغيار من أدنى المستويات إلـى أعلاها. وقد اتسـع نطـاق هذه العقوبات بشـكل شـمل حتى منع تنـاول الطعام الشـرعى مع الأغيار، وحرموا كذلـك الطعام الذى طهاه غيـر اليهودى وفقا لضوابط الطعام الشـرعى اليهـود. ومن جهة أخرى، فان الشـريعة اليهودية، لا تعترف بالـزواج المختلط، أى الزواج بالأغيار الذين ينظر إليهم على أنهم كذابون، ولهذا السـبب، لا تقبل شهادتهم فى المحاكم الشرعية اليهودية، ولا يستطيع اليهودى، المشاركة فى أعيادهم؛ إلا إذا كان عدم المشـاركة يسـبب له متاعب. وقـد ضيق الخناق على النطـاق المفهومى لبعض المفردات من قبيـل «أخاك» و «مات» والتى

١. «الكتاب المقدّس»، سفر إشعياء، ٦١: ٥-٦.
٢. المصدر السابق، سفر ميخا، ٤: ١٣.
٣. المصدر السابق، سفر التثنية، ٧: ٢-٤.

تشمل جميع الأناس، بحيث أصبحت تغطى اليهود وحدهم، على سبيل المثال، إن قيل لا تسرق من أخيك، فالقصد، أخيك اليهودى.
إن هذا الطرد، تحول فى بعض أجزاء التلمود إلى العداء السافر للأغيار؛ بحيث صدر فى بعض أقسامه المتناقضة، أمرا بقتل الأغيار؛ حتى وإن كان ذلك الشخص، أكثر الأناس دماثة فى الأخلاق.[١]

وجاء في «العهد العتيق»، سفر الخروج:

وتوجه الرب من بين الجبل، إلى موسى: أعطى أوامرى إلى «بنى اسرائيل» وقل لهم: لقد رأيتم ماذا فعلت بالمصريين، وكيف حملتكم كالعقاب الذى يحمل صغاره على جناحيه، وأتيت بكم عندى. فان أطعتمونى، وتتمسكوا بعهدى، فانكم ستكونون الشعب الخاص من بين جميع الشعوب. رغم أن العالم باسره هو ملك لى؛ لكنكم ستكونون بالنسبة لى، شعب مقدس، وستخدمونى كالكهنة.[٢]

وبغض النظر عن نسبة التلاعب في نص «الكتاب المقدس» على مدى الألفيات، نرى بين طيات النص الحالي، أن الله، قد اشترط عطاءه وكرمه لـ«بني اسرائيل» بامرين مهمين، **طاعة اللّه المتعال والتمسك بالعهد**. وباذعان هذا الكتاب نفسه وكلام أنبياء بني اسرائيل، فان الإعراض عن هذين الأمرين، أدى إلى طرد هؤلاء القوم من محضر الله وعتبة الأنبياء وتعرضهم للتيه حتى وقت ظهور المنقذ الموعود.

وقد ورد في «سفر التثنية» هذا المضمون بشكل آخر:

اكسروا مذابح الكفار، وحطموا الدعائم التى يعبدونها، ومزقوا التماثيل المخزية، وأحرقوا أوثانهم؛ لانكم قوم مقدسون، خصصتم لله. وقد انتخبكم أنتم من بيد جميع شعوب الأرض، لكتونوا شعبه المختار... أقضوا على

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ٢٥٩.
٢. «العهد العتيق»، سفر الخروج، ١٩: ٣-٦.

جميع الأمم التى يبيدها الله على أيديكم ولا ترحموهم... وفضلا عن ذلك، فان ربكم، أرسل زنابير حمراء وضخمة، ليبيد الرب، ذلك العدد من أعدائكم الذين أخفوا أنفسهم.[١]

إن انطباعات اليهود المتطرفة والحلولية والأحادية، أدت إلى نشأة رؤية صهيونية تجاه العالم والانسان، وضربت بجذورها في التباين والتمييز في جميع طبقات الحياة السياسية والاجتماعية والحقوقية لليهود، أثناء المواجهة مع غير اليهود.

لانه يؤمن بان روح اليهود قد جاءت من العالم القدسى، فيما خرجت أرواح الأغيار من الآبار الشيطانية؛ إن الأغيار طيبو السريرة ودمثو الأخلاق، يملكون أرواحا يهودية، ضلت طريقها ودخلت أجساما غير يهودية. وبالتزامن مع هذا التصور، تزايدت التقاليد والطقوس اليهودية ايضا لتترسخ الدائرة الحلولية والقدسية التى يعيشها اليهودى وتتعمق الهوة التى تفصل اليهود عن الأغيار الذين هم خارج هذه الدائرة.

إن هذا التقسيم الحلولى للناس إلى يهودى مقدس وغير يهودى غير مقدس، هو فى الحقيقة ضرب من الضحالة الفكرية الشديدة؛ لانه يضع اليهودى فوق التاريخ والزمان ويتسبب هذا فى أن يعتبر اليهودى أى شئ مؤامرة ضده أو أداة فى خدمته.

كما أنه يحول الأغيار إلى موضوع يصبح أكثر تجردا من قضية اليهودى فى الأدب النازى أو قضية السود فى الأدب العنصرى للبيض؛ لانه ليس يغطى أقلية واحدة أو أكثر فحسب، بل جميع الناس فى أى زمان ومكان، وبذلك، يتحول جميع الناس، إلى أناس غير طيبين وشريرين، لا يمكن التواصل معهم ويجب بناء جدران عالية تفصلنا عنهم.[٢]

---

١. «العهد العتيق»، سفر التثنية، ٧: ٥–٢٠.

٢. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ٢٦٠.

ويرى الدكتور **إسـرائيل شاحاك**،[١] أستاذ جامعة «القدس» العبرية ورئيس جمعية حقوق الانسان الاسرائيلية، أن النصوص الدينية لا سيما «التلمود» تمثل المصدر الرئيسـي لتفكير الشـعب المختار. ولهذا الباحث، كتاب بعنوان «تاريخ اليهود والديانة اليهودية وماض لثلاثة آلاف عام».

ويقول عن سبب انخراطه في العمل السياسي:

لقد بدأت نشـاطى السياسـى عام ١٩٦٥-١٩٦٦م. مـن خلال احتجاج. لقد رأيت بأم عينى فى «أورشـليم» كيف أن يهوديا متطرفا، لم يسـمح لى بالإفادة من هاتفه يوم السـبت، لإنقاذ حياة جيرانه غير اليهودى الذى أصيب فى الشـارع ولإخبار سيارة إسـعاف. وبدلا من إطلاع الصحافة على هـذا الخبر، طلبـت رأى محكمة أورشـليم الخاصـة بالحاخامات بهذا الخصوص. سـألت أعضاء هذه المحكمـة الذين هم من الحاخامات المعينين من الحكومة الاسـرائيلية، هل يتماشى هذا النمط من السلوك، مع تفسيرهم للديانة اليهودية؟

أجابونى أن اليهودى المشار إليه، تصرف بطريقة صحيحة وحتى إيمانية، وأحالونـى إلى أحـد قوانين «التلمـود» التى جمعت فـى قرننا. أبلغت صحيفـة «هاآرتص» العبرية بهذا الخبر. أحدث الخبر تفاعلا وأثار ضجة وفضيحة، وكانت نتائجه بالنسبة لى، سلبية أكثر منها إيجابية.

ولم يعد النظر فى هذا الحكم، أى من السـلطات الحاخامية الإسـرائيلية

---

١. **إسـرائيل شاحاك** (Israel Shahak) (١٩٣٣-٢٠٠١م.) بروفيسور اسرائيلي، من أصول بولندية ومن الناجين من الهولوكوسـت. عرف مفكرا ليراليا ونصيرا لحقوق الانسـان. عمل محاضرا فـي الكيمياء في الجامعة العبرية في القدس. وكان في الفترة من ١٩٧٠ إلى ١٩٩٠م.، رئيسـا لإحدى الجمعيات الاسـرائيلية المعنية. عرف عنه نقده الصريح للحكومة الاسـرائيلية والمجتمع الاسـرائيلي على وجه العموم. وبعد كلمة **ديفيد بن غوريون** (David Ben-Gurion) أعرب للمرة الأولى عن قلقه من التوجهات الاسرائيلية. وعندما قال ديفيد بن غوريون، أن اسرائيل حاربت في حرب «السويس» عام ١٩٥٦م.، من أجل ملك **داود** و**سليمان**عليهما السلام، بدأ نشاطه السياسي ضد اليهودية الكلاسيكية...

وبعد حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧م.، أسس شاحاك الجمعية الاسرائيلية لحقوق الانسان. وتشكلت هذه الجمعية من اليهود والعرب المحتجين على السياسات الاسرائيلية المناهضة للفلسطينيين. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.)

ولا سلطات دياسبورا [اليهود الذين يعيشون فى دولة غير إسرائيل]: إن يهوديا ما، لا يجب أن ينقض يوم السبت من أجل إنقاذ حياة أحد من الأغيار [غير يهودى]. وعليه، وفى ضوء المعطيات التى حصلت عليها فى شبابى، باشرت بدراسة قوانين «التلمود» حول العلاقة بين اليهود وغير اليهود، واتضح لى أنه لا يمكن فهم، لا الصهيونية ولا سياسة دولة إسرائيل منذ بدايتها ولا السلوكيات التى يتبعها حماة إسرائيل فى باقى مناطق العالم، من دون الأخذ بالإعتبار النفوذ المعمق لهذه القوانين والنظرة العالمية التى تستحدثها وتبينها.[١]

وفي ظل هذا الانطباع، توصل إسرائيل شاحاك، من خلال البحث والدراسة في المصادر اليهودية، إلى مصاديق مختلفة للقوانين والمقررات الموضوعة حول غير اليهود، وتناولها في أعماله؛ بما في ذلك أورد ما يلي:

القتل

إن حكم قتل اليهودى يختلف فى قوانين دولة إسرائيل القائمة على القوانين التلمودية وتفسير ابن‌ميمون[٢] لها، عن حكم قتل غير اليهودى. وإن قتل أحد يهوديا، فانه يكون قد ارتكب ذنبا كبيرا، ويجب معاقبته. وإن تسبب يهودى، بقتل يهودى آخر بشكل غير مباشر، فلن يعاقب دنيويا، بل يكون مذنبا أمام الله؛ لكن إن كان المقتول غير يهودى، فان قتله يهودى، بصورة مباشرة، فانه يكون مذنبا أمام الله فحسب، ولا يعاقب دنيويا، وإن قتله بشكل غير مباشر، فانه لم يرتكب ذنبا حتى؛ على سبيل

---

١. **شاحاك، إسرائيل**، «تاريخ اليهود والديانة اليهودية»، ترجمة الدكتور **مجيد شريف**، طهران، إصدارات جابخش، ١٣٧٦هـ .ش.، صص ٣٠-٣٢.

٢. **ابن ميمون، موسى بن ميمون إسرائيل القرطبي** (٥٣٠-٦٠١هـ .ق./ ١١٣٥-١٢٠٤م.) عالم وفيلسوف وطبيب يهودي نال مرتبة رفيعة في الفقه والشرائع اليهودية بحيث أن اليهود قالوا فيه: من موسى عليه السلام إلى موسى (ابن ميمون) لم يظهر أحد يشبه موسى. (ويكي فقه، الموسوعة الحوزوية)

المثال، إن كان غير يهودى، سقط فى حفرة، فان الفرد اليهودى، بوسعه رفع السلم عنه. وإن كان القاتل غير يهودى، فيجب إعدامه، سواء كان المقتول يهوديا أم غير يهودى؛ لكن إن كان المقتول غير يهودى، وينتمى القاتل لليهودية، فانه لن يعدم.

إنقاذ الحياة

إن إنقاذ حياة يهودى، من أهم الواجبات الشرعية؛ لكن يمنع، إنقاذ حياة غير يهودى. إن القاعدة العامة ل»التلمود» مبنية على أن غير اليهود، لا يخرجون من البئر ولا يلقون فيها.

ويقول ابن ميمون: لا يجب أن نتسبب بموت أناس، لسنا فى حرب معهم؛ لكنهم إن كانوا معرضين للحرب، فانه يمنع إنقاذهم. ولا يحق لطبيب يهودى، معالجة غير يهودى، وإن أرغم على القيام بذلك، فانه يجب أن يحصل على أجر لقاء عمله.

الجرائم الجنسية

إن ارتكاب الزنا، حرام فى اليهودية؛ لكن ووفقا للتعاليم التلمودية، فثمة فارق بين أن يزنى رجل يهودى بامرأة يهودية، وأن يزنى نفسه بامرأة غير يهودية. وحسب هذا الكتاب، فان غير اليهوديات، غانيات، وحتى أن اغتصاب رجل يهودى، لامرأة غير يهودية متزوجة، لا يعد زنا، ولا يعاقب عليه وحتى يتم فى الكثير من الحالات معاقبة المرأة غير اليهودية.

التمييز في القضايا المالية

ولا يجوز منح هدية لغير اليهودى. إن أخذ فائدة المال من اليهودى، حرام؛ لكنه واجب من غير اليهودى. وإن وجد يهودى، مالا ويرجح أن

يكون صاحبه يهوديا، يجب عليه بذل الجهد للعثور على صاحبه، لكن إن كان صاحبه غير يهودى، فيمكنه الاستيلاء على المال.

إن ممارسة الغش ضد يهودى فى صفقة ما، يعد ذنبا كبيرا؛ لكن يجوز المشاركة بشكل مباشر فى هكذا صفقة مع غير اليهود.

ويمنع الإحتيال على اليهود؛ لكن هذا المصطلح، لا يستخدم بشأن غير اليهود. وحتى السرقة التى تعد، حراما بالمطلق، تجوز فى ظروف ما، تجاه أموال غير اليهود.[١]

ولا يمكن اعتبار **إسرائيل شاحاك**، مرتدا في الديانة الموسوية، بل يجب اعتباره مرتدا وناقدا للديانة اليهودية الصهيونية. إنه وباقي الباحثين الذي عكفوا على دراسة النصوص الدينية المتوافرة والمقبولة لدى اليهود، وتأملوا في الكثير من المضامين الواردة فيها، توصلوا رغما عنهم إلى هذا المبدأ من أنه لا يجب البحث عن مصدر ومنشأ ممارسات الأغلبية اليهودية وعلى وجه خاص، الصهاينة، في توجهاتهم السياسية والاجتماعية، بل بين طيات النصوص واللاهوت التلمودي المحرف.

وعندما يفتح باب التحريف والإتهام، على مصراعيه بين قوم ما، بحيث ينسب إلى نبي كـ**هارون**عليه السلام، صناعة الأوثان وعبادتها، فما بالك ببقية الأشخاص.

وقال هارون: اجلبوا لى أقراط الذهب التى هى فى آذان نسائكم وبناتكم وصبانكم. لذلك فان القوم، أعطوا هارون، أقراطهم، وأخذ هارون الأقراط الذهبية وصهرها وصبها فى قالب كان قد صنعه وصنع تمثالا يشبه العجل. وعندما شاهد قوم إسرائيل العجل، صرخوا: يا بنى إسرائيل! إن هذا هو ذلك الرب الذى أخرجكم من مصر.

ومع مشاهدته هذا المشهد، شيد هارون، مذبحا قبالة ذلك العجل وقال:

---

١. **شاحاك، إسرائيل**، «تاريخ اليهود والديانة اليهودية»، صص ١٩٠-٢٢٤.

سنحتفل للرب غدا.[١]

إن القوم الذين يحيزون لأنبياء عظام بمن فيهم النبي **نوح**عليه السلام، شـرب الخمر، ويرونه إنه يفقد صوابه أثناء الثمالة، أكثر من أي وقت!

وانشـغل نوح بالزراعـة وأقام مزرعة كرم. وفى اليوم الذى شـرب فيه خمرا كثيرا، نام وهو ثمل فى خيمته عاريا...[٢]

فانهم تمتعوا بالطاقة اللازمة للانحراف عن التعاليم الحقيقية والسير في الدرك الأسفل من حب الذات والاستبداد.

وعلى الرغم من أن «التلمود»[٣] كان التفسـير الوحيد لـ«العهد العتيق» والذي انبثق من سنوات الأسر البابلي؛ لكنه اكتسب مع الوقت، مقاما ومنزلة أرفع وأسمى في النظرية والتطبيق اليهوديين.

وبعد ظهور المسـيحية، اسـتولت أسطورة الشريعة الشـفهية على ذهن ووجدان اليهود بالكامل. وكانوا ينظرون بداية إلى التملود بوصفه الكتاب الثانى (بعد التوراة)؛ لكن وبعد فترة، لقب التلمود، بالتوارة الشـفهية؛ أى أصبح على قدم المسـاواة مع توراة موسى ولم يكن بمقدور أى يهودى معارضته. وتدريجيا، زادت قدسية التلمود، بحيث أصبح أكثر قدسية من التوراة؛ إذ قال أحد الحاخامات:

يا بنى! كن أحرص على التقيد بكلام الكتبة [أى الحاخامات الذين كتبوا التلمـود] من التقيد بالتوراة؛ لان أحكام التوراة تتضمن الأوامر والنواهى فحسـب؛ لكـن إن تجاهل أحد، واحدا من أحـكام الكتبة، فانه يكون قد اشترى العقوبة الإلهية لنفسه.

كما قيل فى هذا الخصوص: إن من يتخلى عن التلمود، وينشغل بالتوارة، لا خلاص له؛ لان كلام علماء التلمود، خير من الشئ الذى جاء فى شريعة

---

١. «سفر الخروج»، الباب ٣٢: ٢-٥.

٢. «العهد العتيق»، سفر التكوين، الباب ٩: ٢٠-٢٢.

3. Talmud.

موسى وأرفع من كلام الأنبياء.[١]

ومن هنا أقول: إن اليهودية التلمودية الجارية، هي ديانة من صنع الحاخامات وبديل للديانة التوراتية لـ**موسى كليم الله**عليه السلام. أداة يستخدمها أشرار اليهود لفرض الهيمنة والشمولية على جميع الناجين اليهود وغير اليهود؛ وطبعا باسم التعاليم الدينية والموسوية.

إن هوس العظمة التلمودى زاخر بتعليمات ضد غير اليهود؛ (خاصة سفر عفودة زارا أو عبادة الأوثان) والتى تؤمن بان اليهود وحدهم يدخلون الجنة. أن يكون الله قد خلق غير اليهود فى هيئة انسان هو بسبب أن يقوموا على خدمة اليهود الذين خلق لأجلهم الكون كله ومن غير الصائب أن يكون كائن، فى هيئته الحيوانية، فى خدمة أمير وملك. وفى المحاكم القضائية، لا تقبل شهادة غير يهودى – ماعدا حالات طفيفة – وإن تعرض شخص، لأذى، فالمهم هو أن يتضح هل هذا الشخص يهودى أم غير يهودى؟ إن هذا التمييز قد جرى حتى فى التعاملات التجارية. وفى قضايا الطهارة، فان غير اليهود يعتبرون أنجاسا، بصورة عامة...

وجاء فى التلمود: من غير الصائب بيع شئ فى طريقه للفساد ليهودى؛ لكن لا مانع من بيعه لغير يهودى. كما يحرم على الطبيب اليهودى أن يعالج مريضا غير يهودى. (إلا فى حالات صد أذى الأغيار).[٢]

ولا يجب الشك بان تعاليم «التوارة» الحقيقية والشريعة الموسوية، وبسبب انتسابها للوحي الإلهي والديانة الحقيقية للرسل العظام، هي في الظاهر والباطن في تعارض جاد مع التعاليم التلمودية، وأن أتباع النبي موسى عليه السلام لا يقبلون سوى طريق **العدل والعفة والتوحيد والتخلي عن المعاصي والظلم وعبادة الأوثان.** إن المؤلف، ومن منطلق الإنصاف، يكن الإحترام لليهود الذين يؤمنون بنهج النبي موسى كليم الله عليه السلام.

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ١٤٢.
٢. المصدر السابق، صص ١٤٣-١٤٤.

الديستوبيا، مدينة للأغيار

إن **إسـرائيل شاحاك**، خجل ومقر بفعل السـواد الأعظم من اليهود المعاصرين له، يعد شـهادة صادقة على كل ما تقترفه الصهيونية الدولية اليوم في «فلسطين» المحتلة وسائر بقاع الأرض.[١]

وأتوجـه إلى القراء الذين هم يهود مثلـى. أنا منزعج للغاية، عندما أرى أن السواد الأعظم من الشعب اليهودى، يعيشون فى حالة من الإقلاع عن الدين والـردة، وبدلا من عبادة الله وتحقيق روح العدالة وبدلا من الأخذ بعيـن الاعتبار كلمات «لا تحب للأخرين، ما تكرهه»، فان هذه الأغلبية، ليس تتصرف على النقيض من ذلک فحسب، بل تبحث عن ملاذ فى أكثر النظم القبلية وعبادة السلطة، وحشية؛ لكنهم لا يدرون أنهم جالسون على غصن ويقطعونه...

إنـى أفعل ما أريـد، لأنى أعـرف أن واجبى، يتمثل فى قـول الحقيقة، وأناضل من أجل العدالة التى يجب أن تسـود العالم باسـره؛ لكن يبدو فـى نظر أغلبية أخوتى اليهود الذين يعبدون دولة إسـرائيل المادية بدلا من الله، مثلما كان أجدادنا يعبدون العجل، أن هذه المسـألة ليست بتلک الأهمية. لذلک أقول لهم: أن تعاسة أخرى ستطالكم قريبا، بسبب اتباعكم الرياء وازدواجية المعايير، وبسبب دعمكم العنصرية والظلم.[٢]

والمؤسـف أن تعامل اليهودية الصهيونية في داخل الأرض المحتلة وخارجها مع غير اليهود أكانوا مسـلمين ومسيحيين أم سائر سكان أرض الله الرحبة، تؤكد صحة قول إسرائيل شـاحاك، والنظرة العالمية التي تسود أغلبية اليهود. وأليس أن حصة كبيرة وغير قابلة للإنكار من اقتصاد وسياسة وثقافة العالم الغربي وعلى وجه

---

١. وأخذت في كتابة هذه الصفحات، بنظر الاعتبار مقالة «الشـعب اليهـودي، من كونه مختارا إلى العنصرية» تأليف عبد الرحيم سـليماني، والتي نشـرت في مجلة «هفت آسـمان (السماوات السـبع)»، العدد٢٢، السنة ١٣٨٣هـ .ش.

٢. **شاحاك، إسرائيل**، «تاريخ اليهود والديانة اليهودية»، ص ٣٢.

الخصوص، الولايات المتحـــدة الامريكية وحتى المنظمات الدولية، هي بتصرف اليهود وتدار تحت قيادة اليهود (الماســـونية العالمية)، وأن أحكامهم وتوجهاتهم الشمولية تطبق في جميع الساحات والحقول المادية والثقافية؟

ومن هذه الرؤية، يمكن مشـــاهدة مســـتقبل الانسان والأديان في دولة، ينوي الغرباء على حقيقة الديانة والانسانية، إرساء أركانها، ومهدوا وهيأوا لها على مدى القرون الماضية.

وآمل أن يكون القارئ الكريم، قد أدرك من خلال فحوى صفحات ومستندات هذا الكتاب، قصد المؤلف من أنه:

أولا، بمعزل عـــن كل ضوضاء الحياة الجارية، فان ثمة تيارا، ينوي من خلال هندسة تاريخ المستقبل، توجيه العلاقات والتعاملات العامة لسكان المعمورة، عن طريق الدول الاستكبارية والامبريالية ومواكبة المنظمات الدولية لها؛

ثانيا، إن هؤلاء المهندسين، لا تتناســـب استراتيجياتهم وسياساتهم التنفيذية البتة مع حقيقة الانسان والديانة الحقيقية والإلهية السماوية؛

ثالثا، إن هذه الحكومة الآخذة بالتبلور والتشكل على الصعيد العالمي، تدخل في الأفق البعيد في تعارض ومواجهة مع الحكومة العالمية لحضرة المصلح العام، موعود الأمم، وأن تلك الفئة، على علم تام بهذه المواجهة الخاصة بآخر الزمان؛ لكنها تحســـب، أنها تتمتع بـــالإرادة والاختيار والإمكانيـــة اللازمة لخوض هذه المواجهة والتغلب على الإرادة الإلهية؛

رابعـــا، إن الإلهيات وعلم الوجود غير الإلهـــي، يدعمان هذا التوجه والعمل. الإنطباع الذي يضـــرب بجذوره في التعاليم القديمة لكهنة معبد الســـحر (مصر وبابل القديمتان)؛

خامســـا، إن المنطقـــة الثقافيـــة والحضارية، هي خلاصـــة ونتيجة توجهات ومحاولات ذلك التيار الذي يصبو إلى تشكيل الأمة الشيطانية الموحدة ويأمل أن يصل في آخر مرحلة إلى الدولة العالمية.

وليس من الصعوبة، رسم صورة عن وضع الانسان والأديان، (خارج ما سجله ودونه كتاب الديستوبيا بمدد قوة خيالهم) في الدولة العالمية للأغيار والغرباء عن الحقيقة الإلهية للانسان والأديان. إن وضع اليهود الساكنين في فلسطين المحتلة في المجتمع اليهودي الاسرائيلي، يظهر الوضع والظروف التي سيمر بها جميع سكان المعمورة، بعد تأسيس الدولة العالمية وإرساء ما يسمى النظام العالمي الجديد.

إن «متروبوليس» هو المصداق الذي يمكن الإشارة إليه حول هذا النظام العالمي الماسوني.

وكان **إسرائيل شاحاك**، يهوديا إسرائيليا، يعيش كمواطن في الدولة اليهودية، ونال درجة الأستاذ بجامعة «القدس»، وتولى رئاسة جمعية حقوق الانسان الاسرائيلية. وحاول من خلال كتابة مقالات وتقديم إحاطات تشهيرية على مدى السنتين ١٩٧٤-١٩٧٥م.، إظهار أن مجمل هيكلية النظام الصهيوني قائم على أساس العنصرية، وأن هذا التوجه، يغطي جميع مجالات الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية وحتى الصحية والسكن للسيادة اليهودية، وأن أي غير يهودي، ليس بمأمن من هذا التوجه وتداعياته العملية في حياته اليومية. إنه يشير بتعمد إلى ضرب من الإمبراطورية ويقول:

> **وفى هذه البلاد، مثلها مثل أى إمبراطورية أخرى طوال التاريخ وفى أى بقعة من الأرض، ثمة صنفان من الناس: مواطنو الإمبراطورية ذاتها، ومواطنو المستعمرات، بما فيها الجولان والضفة الغربية وغزة وسيناء، والتى تندرج إجمالا ضمن الصنف الثانى. وتخصص لجميع المواطنين الأصليين لإمبراطورية إسرائيل، مزايا شخصية، لا يتمتع بها سكان المستعمرات المختلفة... إنى أنوى بابسط العبارات والمفردات، وصف الكوارث التى يمكن إنزالها على رؤوس سكان مستعمرات الإمبراطورية الاسرائيلية، أو الكوارث التى تحل بهم، يوميا وشهريا.**

ولا يمكن الإبقاء على مواطنى «إمبراطورية إسـرائيل» فى المعتقل، من دون قرار صادر عن قاض مدنى؛ بيد أن أهالى المستعمرات، يتم سجنهم بقرار مـن ضابط بالجيش، ومن دون أن يـروا المتهم حتى لمرة واحدة. إن القـرار يعتمد لفترة طويلة، ويمدد تلقائيا. ويتم الإبقاء على الناس فى المعتقل، لسـتة أشـهر وسـنة واحدة أو حتى مدة أطول؛ بينما نعرف أن ظروف المعتقل، هى أسوأ بكثير من السجن العادى.

ومكث نعيم الشعب، أحد أهالى «القدس» الشرقية، فى الإعتقال الإدارى، لمدة ٣٨ شـهرا إلى أن استسلم فى النهاية، ووافق بمحض إرادته وطلبه الشخصى! بالطرد من البلاد.

إن دولـة إسـرائيل تعكف فى «القدس» على إنشـاء مبان عملاقة؛ لكن لمن؟ كلا، إن الرد على هذا التساؤل ليس بالأمر السهل! إن هذه المبانى، ليسـت لمواطنى هذا البلد، ليسـت لكلهم؛ بل تشـيد فقط وفقط لليهود. أى أن شـخصا من أهالى القدس، لن يحظى إطلاقا بالجدارة للسكن فى إحدى هذه الشـقق؛ إن كان على سـبيل المثال، أو عـن طريق الصدفة، مؤمنا بعيسى المسـيح عليه السلام أو النبى محمد ﷺ ويتصرف وفق معتقداته، أى أنه يقدم نفسـه على أنه مؤمن بدين المسـيح عليه السلام أو محمد ﷺ. إن حق السكن الشخصى فى معظم البيوت الحديثة، يتوقف على عنصر المرء نفسـه. فان كان قـادرا على إثبات أن أمه أو جدتـه أو جده وأم جدته، كانوا كلهـم يهودا، فانه يتم الاعتراف به كيهودى، ويحصل على شـقة؛ لكن إن كانت ثمة حلقة ضعيفة فى هذه السلسـلة، فانه سـيحرم من هذا الحق... وخلاصة القول: إنه لن يملك حق الحياة.

إن الأرض التـى تعود لغير اليهود، هى غيـر طاهرة، أى أنها متورطة أو غير وطنية. ولا تعنى مفردة «الوطنى»، فى اسـرائيل، غير الاسرائيلى، بل المقصـود هو أنها متعلقة بيهودى. ومع شـراء أو انتزاع ملكية أى قطعة

أرض متعلقة بغير اليهود، فان هذه القطعة من التراب، تتطهر.
وإن تـم إحـداث حى أو مدينـة للمهاجرين (طبعا علـى الأراضى التى تم تطهيرهـا = التى تمت مصادرتها من غير اليهـود وتحولت يهودية)، فان جميع سـكانها، سيحصلون على بيوت مشـيدة وجاهزة، تتمتع بالماء والكهربـاء ومـا إلى ذلك؛ فى حيـن أن الكثير من القـرى القديمة غير اليهوديـة، مازالت محرومة من الماء والكهربـاء الحكوميين، وحتى ثمة حالات، تمر فيها كيبلات الكهرباء التابعة لحى للمهاجرين اليهود الجدد، بجـوار إحدى القرى العربية القديمة (أو باللغة الرسـمية الحكومية، غير اليهوديـة)؛ لكنه محظـور عليها امتلاك حصة من تلـك الكهرباء، وأن سكان هذه الفئة من القرى، يمضون الليل فى جنح الظلام...

حق امتلاك المأوى

إن معظم الأراضى الاسـرائيلية متعلقة ب»المؤسسـة الوطنية اليهودية» (ب.م.ى)، أو أن تشـرف عليهـا. وهذه واحدة من المؤسسـات الهيكلية للحركة الصهيونية، التى تقر بطريقة وأخرى، باعتماد السياسات العنصرية. إن هذه المؤسسـة، حظرت إقامة إو تأسـيس مكان الرزق وحتى أحيانا عمل غير اليهود على أراضيها. وذلك لكونهم غير يهود فحسـب... وفى ظل اتباع هذا الأسـلوب، تم تشييد مدن كاملة فى اسرائيل تحت مسمى «قد طهرت من دنس العرب» وكلها قانونية. ومن الأفضل القول أن هذه المدن «قد طهرت من دنس الأغيار (غوييم).»
ويحق لسـارق أو قاتـل يهودى، أن ينتقل بعد إتمامـه فترة عقوبته إلى «كارميـل» [المدينة التى تعـد محظورة على غير اليهـود]. إن الغوى[1] (غير اليهودى) والدرزى والشركسـى والبدوى أو الشـخص المسيحى

1. Goy.

ممن خدموا فـى الجيش أيضا، وأصيبوا بجـراح وأصبحوا الان معاقين، محظـور عليهم العيش فى «كارميل»؛ لانهم ولدوا من أم «غير ملائمة» [غير يهودية].

حقّ العمل

وقد بـدأت وزارة الزراعة ودائرة المهاجريـن «الوكالة اليهودية»[1] فى الآونة الأخيرة، دعاية واسـعة النطاق لاستئصال المرض المعدى المتمثل بتأجيـر الأراضـى والبسـاتين للمزارعيـن والبدو العرب فـى «الجليل الغربى». وقال مدير قسم الجليل فى الوكالة اليهودية، آهارون ناخمانى[2] أن دائرته أرسلت تعميما لجميع أحياء المهاجرين، حذرت فيها من تأجير الأراضى والبسـاتين الوطنية، بهدف جنى المحصول على يد المزارعين المستأجرين الموسميين، وهذا الإجراء يتعارض وقانون ومقررات الدوائر وحركة توطين المهاجرين...

انتبهوا! بما أنى يهودى، فيجوز لى اسـتئجار بسـاتين لجنى المحصول؛ لكن هذا العمل، محظور على الشخص العربى؛ لسبب واحد، لانه عربى.

حقّ المساواة

إن وزارة السكن الاسرائيلية، تضم قسمين. القسم الأكثر أهمية، وكما نراه فى «رفية» يتبع سياسـة عنصرية هدفها، الرفاهية، لكن لليهود فحسـب. وفضـلا عن ذلك، فان ثمة قسـما اخر فـى هذه الوزارة يدعى «قسـم سـكن الأقليات». إن هذا القسم يسـتحق حقا هذه التسمية؛ لانه يتعاطى مع غير اليهـود فقط...، وعندما تكون وزارة السـكن، منهمكة باحداث

1. Jewish Agency.
2. Aharon Nahmani.

المجمعات الشققية الخاصة باليهود، يعمل قسم سكن الأقليات على عكس هذا الإتجاه بالضبط. إن عمل هذه الدائرة، يتمثل فى تقليص عدد المسلمين... إن دولة إسرائيل لا تبدى حرصا حتى على بناء منزل لإنسان لكونه إنسانا أو لعائلة فقيرة وكبيرة العدد، باعتبار أن السكن، هو أحد الاحتياجات الانسانية. إن هذه الدولة وعلى خلفية أهدافها الصهيونية، بما فيها تهويد «الجليل»، تعتمد بالتزامن، سياستين متناقضتين:

المزيد من تقديم الدعم لليهود من جهة، وممارسة التمييز والاضطهاد ضد غير اليهود من جهة أخرى.

وفى مجال الصحة، فانها تتصرف بهذه الطريقة أيضا.[١]

إن ما أوردناه كشاهد، هو مصاديق تنبع من المنشأ والفكر والعمل الإيماني بالشريعة التلمودية والتي تطبقها الدولة اليهودية الاسرائيلية في نطاق فلسطين المحتلة الصغير والضيق ضد غير اليهود. وهذا الأسلوب، يطبق في جغرافيا أوسع من قبل أمريكا والدول الأوروبية والمنظمات العالمية الخاضعة للمحافل الخفية للماسونية اليهودية العالمية حول مسلمي ومستضعفي العالم.

وخلال الحقبة التي تلت الحربين العالميتين الأولى والثانية، تزايد نطاق حضور وعمل المحافل الخفية الماسونية وإلوميناتي في الجغرافيا السياسية والاجتماعية والاقتصادية لسكان العالم تدريجيا وبصورة رسمية، وكما أسلفت، فقد تقلصت صلاحيات الأمم والشعوب، وازدادت في المقابل، صلاحيات تلك المحافل والمنظمات العالمية. ولهذا السبب، وبرأي المؤلف، فان المنظمات العالمية، تعمل بمنزلة الممثل مطلق الصلاحية للمحافل الخفية للمضي قدما مرحليا بمشروع «متروبوليس العالمية» تحت عنوان «النظام العالمي الجديد» الخادع.

---

١. **شاحاك، إسرائيل**، «الصهيونية والعنصرية المكشوفة»، ترجمة **أصغر تفنك ساز**، إصفهان، پرسش للنشر، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ .ش.، صص ١٩٥-٢٢١.

الفصل الثاني

الدولة الكريمة؛ ليست يوتوبيا!

الكمالية؛ سمة مغروسة في البشر

إن الكمالية، هي سمة وصفة مغروسة في بني البشر، وأن لجل خلق الله، تعريفا خاصا بهم وذلك حسب اتساع نطاق وجودهم ونضجهم الجسدي والنفسي وبالتالي نسبة معرفتهم تجاه ذاتهم. وعليه فان «الكمال» يندرج ضمن المقولات المشككة والذي ينطوي على مراتب عديدة.

إن الرحلة الطويلة لأبناء آدم في الأرض والجهود والمساعي ومجئ ورحيل الحضارات والثقافات، مؤشر على وجود هذا الطلب والرجاء لدى البشر؛ وإلا لما كان يحصل على مرّ القرون والعصور، أي تغير وتبدل وتحول في الساحة الملكية وأي تحول وتنزل في الساحة المعنوية والروحية للانسان، ولكان الانسان يبقى ثابتا كالحيوان على الدوام، وكل هذا طبعا، من مستلزمات ومتطلبات الروح المجردة والهوية الحقيقية للانسان. وبناء على ذلك، فقد بذل الانسان جهدا في مسارين، فان توافرت له إمكانية وأتيح له مجال، أرسى وشيد على وجه البسيطة، ما كان يصبو إليه، ومتى ما كان مقيدا وعاجزا عن البناء المنشود، استعان بقوة الخيال، ليحول ذلك إلى أعمال فنية وثقافية. إن الأعمال الثقافية والفنية الراقية، هي حصيلة هذا الوجه من الحياة وأن جميع الأجيال في جميع العصور، عاشت على هذا الأمل وأمضت السنين والشهور لإيجاد مراتب من العالم المنشود في العالم الخارجي والملموس والانتفاع من ثمراته. أكان ذلك نافعا للجسم أو

منشودا للساحة النفسانية والروحانية العليا.

إن أصحاب المعرفة ليسوا غافلين عن أن العالم الملكي بكل عرضه وطوله وإمكانه، لا يتمتع بالطاقة والسعة والموهبة الكاملة والتامة لإظهار وإبراز غاية الكمال وتمام الكمال الذي تنشده روح الانسان؛ لان الروح المجردة من المادة، تتمنى التحليق لبلوغ مراتب أسمى وأعلى من المُلك والمَلك، لتبلغ ناصية السماوات السبع وتجتازها؛ وبالأحرى، ترى نفسها دائما أنها منعزلة عن دائرة الوجود وطير فردوس، حبيس القفص الضيق للعالم الملكي، وتسعى جاهدة للوصول من التراب إلى الأفلاك ومنها إلى مكان لا يستوعبه الخيال.

إن مصممي وكتاب المدينة الفاضلة، أكانوا من وسط الفلاسفة والحكماء وكتاب اليوتوبيا أو المثقفين المصابين بايديولوجيا العصر الحديث، وكل حسب انطباعه عن العالم والانسان، اعتبروا تلك المدينة، بانها المرجوة والمنشودة ورسموا ملامحها على الورق ووضعوا تصميما لها؛ مثلما أن الحضارات هي حصيلة جهود خالقيها وبانيها للمجتمع البشري عسى أن تستتب فيها حياة كاملة وسليمة وعامرة بالفضيلة. إن مفكرين ذائعي الصيت في شرق العالم وغربه، بمن فيه **أفلاطون** في الغرب **والفارابي** في الشرق، كانوا مصممين للمدينة الفاضلة، واعتبروا نيل السعادة،[1] رهنا بتحققها.

إن المدينة الفاضلة لأفلاطون هي أقدم وأشهر نموذج لكمال الانسان وتساميه لدى الفلاسفة اليونان، والتي رسمت ملامحها في كتاب «الجمهورية»، وفي العالم الاسلامي، بيّن الفارابي في كتاب «أفكار أهل المدينة الفاضلة» خصائص المدينة الاسلامية الفاضلة.

وكان هذان الرجلان العظيمان، من الحكماء الذين ظنوا أنه يجب تنشئة وتربية المجتمع بطريقة يولد فيه وينهض منه أناس كأفلاطون والفارابي وأمثالهم، وفيما

١. **الفارابي، أبو نصر محمّد**، «أفكار أهل المدينة الفاضلة»، ترجمة **جعفر سجّادي**، طهران، طهورى للنشر، صص ٢٢٧-٢٢٨.

عــدا ذلك، اعتبــروا تلك المدينة بأنها مدينة جاهلة وفاســقة وضالّة. كما عرض **الخواجة نصير الدين الطوســي وابن سينا واغوستين**، نماذج ومقاربات لإرشاد البشرية نحو الخير الأفضل والعاقبة الحسنى.

إن صفة «الفاضلة» للمدينة، تؤشر إلى **تطلع الحكماء** للمجتمع المنشود.

والنقطــة اللافتة التي تســتحق التوقف عندها، هي أن جــزء طفيفا فقط من أوصاف وخصائص مدينة الحكماء، قد تحقق في الأرض، وبقيت البقية، حبيسة أوراق الكتب، وعلى العكس، وطالما تســعفنا الذاكرة واللسان، فان مدنا فاسدة أرســيت وبنيت في هذا العالم، والتهمت أبنــاء آدم، وحرمتهم من **الخير الأفضل والسعادة والعاقبة الحسنى**.

ومن بين شــعراء أهل الحكمة، ثمة رجال رسموا في كلامهم الشاعري، صورة عن المدن الفاضلة والطيبة؛ بمن فيهم **عبد الرحمن جامي**، صاحب كتاب «كتاب الحكمة اســكندري» و**نظامي جنجوي** صاحب «اسكندر نامة"، ورسم كل منهما للإيرانيين، آفاقا عن المدينة الرائعة والفاضلة.

وقــد أولى مبدعو أي من المدن الفاضلة، اهتماما لثلاثة أركان أساســية هي: **الشــعب والقانون والحاكم**. ولا شك أن سكان المدينة، هم الناس وأن المدينة تبنى وتقام من أجل الناس، وأن حماية نظام المدينة وسكانها، رهن بالحاكم والقوانين التــي يلتزم بها الحاكم لترتيب وتنظيم العلاقات والتعاملات، لكي تحظى المدينة بمصداقيــة فاضلة ومثالية وأن ينعم الناس بالصحة والأمــن والإيمان، وينالوا فيها السعادة والكمال.

ويسلم **أفلاطون** جمهوريته المثالية للحكام الفلاسفة والحكماء، ليكفلوا سعادة المجتمع البشري. **والفارابي** بصدد الإتيان بالحكام الحكماء والحصفاء؛ وأن يتربع رئيس مرشد وعلى الإطلاق، على قمة هرم الإمارة والملك.

وساهم أوغسطين[1] **الفيلسوف والمتكلم المسيحى وخالق المدينة الفاضلة**

1. Augustin.

«مدينة الله» مساهمة بالغة فى بلورة ونشأة لاهوت العصور الوسطى باوروبا المسيحية، وكان بسبب مركزه الدينى، يتمنى إنشاء مدينة تُرسى دعائمها على التعالم الدينية المسيحية والكتاب المقدس. ولذلك، فان كل انسان أيا كانت لغته وعرقه وإثنيته، يعيش فى مدينة أوغسطين، حول محور الإيمان بالله الواحد الأحد ومحور الأحكام والقوانين المشتركة النابعة من الديانة المسيحية.[١]

إن حاكم مدينة الله، هو «المسيح»[٢] **وأن الكنيسة الكاثوليكية تمثل النموذج المتفوق للمدينة الفاضلة**[٣] **وأن تحققها على أرض الواقع، رهن بالظهور الثانى للسيد المسيح عليه السلام. إن كلا من مهندسى هذه المدينة والبلدان الأفضل والمميزة، بينوا خصائص وميزات وصفات لحكام ورؤساء المدينة المنشودة.**

إن أيا من هاتين المدينتين الفاضلتين للحكماء ويوتوبيا شبه الاشتراكية لمثقفي العصر الحديث، لم تنل إمكانية التحقق على أرض الواقع. وبدء من المدينة الفاضلة **لأفلاطون** وصولا إلى «١٩٨٤» **جورج أورويل**، يتحدث الجميع عن ما هو مفقود ولا إمكانية لحدوثه في الأرض، ويفتقد أصلا للجهوزية اللازمة للتحقق فعلا. فهل يعود ذلك إلى عدم الإقبال الذاتي للناس أم إلى فقدان معرفة المصممين بالمطلب الملموس والحقيقي للانسان؟

بعبارة أخرى، هل أن هؤلاء الناس هم الذين لم يروا نفسهم ومطلبهم الحقيقي في هذه المشاريع وتخلوا عنها وتجاهلوها بالتالي، أم أن ابتعاد المصممين عن كل ما له علاقة بحقيقة العالم والإنسان، أدى إلى أن لا توضع مشاريعهم وخططهم، موضع التنفيذ؟

---

١. **مجتهدي، كريم**، «الفلسفة في العصور الوسطى»، مجموعة مقالات، طهران، دار أمير كبير للنشر، ص ٥٦.
٢. **امايور، أرماند**، «أوغسطين»، ترجمة **سيّد علي حقّى**، قم، مؤسّسة كيهان، كيهان انديشه، العدد ٣٤، ص ١٤٠.
٣. **إيلخاني، محمّد**، «تاريخ الفلسفه في العصور الوسطى وعصر النهضة» طهران، مؤسسة دراسة وتأليف كتب العلوم الانسانية للجامعات، ١٣٨٩هـ .ش.، ص ١١٧.

التاريخ الحديث للغرب واليوتوبيا!

إن كتابة اليوتوبيا، كانت من أعراض العصر الحاضر وتاريخ الغرب الحديث، وتعد حسب **الدكتور رضا داوري أردكاني، جزء من الشؤون الضرورية للحضارة الغربية.** حلم العودة إلى الجنة الموعودة في عصر يُركز فيه الانسان جل تفكيره ورؤيته على الأرض وهو يعيش في غفلة تامة عن الحقائق المستورة وسرّ الكون؛ بعيدا عن فكر الموت وبمعزل عن التفكير بالموت والإيمان بالمعاد للأديان التوحيدية. ولذلك، ليست ثمة نسبة بين السماء المعنوية القدسية واليوتوبيا الخيالية المرسومة على يد كتابها ومصمميها.

إن تجاهل الساحات الحقيقية لوجود الانسان واعتبارها تقتصر على ساحة الحواس المادية والهواجس النفسانية وانقطاع الآدمي عن العلم والانباعات الوحيانية، هو من متطلبات المدن الفاضلة للفلاسفة المتقدمين وكتاب اليوتوبيا المتأخرين. فلا الفيلسوف ولا كاتب اليوتوبيا، جعلا الكلام الوحياني مستندا يستندان إليه ومرجعا يلوذان به. فأحدهما يبحث عن حقيقة الكون والوجود مستمدا قوته من المجاهدة العقلانية والاخر يعتبر نفسه الحجة الوجيهة ومرجعا للتشخيص في ظل الزهد عن العقبى.

والقاسم المشترك لكلاهما، هو فقدان التعريف عن المسيرة التكاملية والضرورية للانسان طبعا.

إن كاتب يوتوبيا العصر الحديث، يسير من الظاهر إلى الظاهر ويضفي الأصالة على هواجس الانسان وحيوانيته، لكي لا يتحدث عن الحق والباطل وضرورة السير من الباطل إلى الحق.

إن الحق المسلم به والحجة الوجيهة لكاتب اليوتوبيا (حسب الفكر الانسانوي) هو الانسان المنقطع عن الكلام القدسي الوحياني.

وحتى العصر الحاضر، لم يتحقق أي من المدن الفاضلة التي ينشدها الفلاسفة واليوتوبيا شبه الاشتراكية للتنويريين على أرض الواقع. وكأن كلاهما، تحولا إلى أداة لاستشفاء خاطر الفلاسفة والمتنورين من الألم والمعاناة التي يشعرون بها.

إن العلم والتجربة الانسانية لنيل السعادة، وما أنتجاه من الوقوع في أفخاخ الصراعات والنوائب، أفضيا اليوم إلى أزمات ومآزق شاملة على الصعيد الدولي.

ويؤتى على ذكر كل هذه العبارات التي تنطوي بحد ذاتها على الساحات المختلفة للغفلة والأنانية، بعنوان هوس العظمة؛ الأمر الذي تجسد في **الإرادة المعطوفة على السلطة**، تماما في العصر الحاضر ولدى الانسان المعاصر. ومتى سيستفيق الانسان وينهض، ليتحدث عن فحوى الوجود، متوجها إلى السماء ليقول:

يا من تلبى وتقضى دائما حاجاتنا

لقد ضيعنا وتهنا الطريق مرة أخرى

الله أعلم!

إن الدولة الكريمة التي تعد بها الأديان التوحيدية والتي ستتحقق مع ظهور صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، ليست مدينة فاضلة ويوتوبيا؛ لان هذه الدولة ليست مبنية على الإرادة المعطوفة على القوة الانسانية النابع تفكيرها من الذات النفسانية؛ بل على العكس، تقام بإذن الله؛ وعلى يد انسان رفيع يمكن تعريفه في عبارة الإرادة المعطوفة على الحق. المظهر التام والأتم للعبودية، وعليه، فانه يحظى بمجمل الدعم السماوي. ويقول **حافظ الشيرازي:**

الوجه الطيب وكمال الفن وطاهر السمعة والشرف
لذلك فاهم همة العالمين، تسنده

إن تزلــزل الثقافات والحضارات المصنوعة على يد الانســان والفترة القصيرة لحكم الملوك والأباطرة، هما حصيلة انقضاض أناس، شهدوا في حياتهم تقلبات بين جزر ثم مد وصعود ثم هبوط. الانقضاض والجولان الذي يرفدهما فقط ضرب من الإدعاء النفساني.

إن النظــام الذي يعرضه الفلاســفة المخططون للمدينــة الفاضلة والمتنورون المنظــرون لليوتوبيا، هو نظام أرضي يفرزة الحلــم الذهني الذي يتأتى في غياب مشروع سماوي ومنقذ إلهي؛ في الزمن الفاني والمكان الفاني ولا صلة له بالزمان والمكان الباقيين.

إن الدولة المهدوية، تحصل في إدامة نظام كوني يقل نظيره، تشــطب وتزيل كل الفوضــى والاضطــراب الناتجين عن تدخل الشــيطان وإبليس من على وجه الأرض.

وقد بذل إبليس قصارى جهده لقطع التواصل بين الانســان والســماء، لكي يزول توافق الانســان واتحاده مع منطلق الفيض الإلهي وأن يجعل أبناء آدم، من خــلال إلهائهم التام بالزمــان والمكان الفانيين، يغرقون فــي الفوضى في جميع الميادين الباطنية والخارجية؛ ولذلك، كلما ابتعد الانسان من السماء والسماويين كلما هبط عن المراتب التوحيدية والنســب القلبية الإلهية، وأصبح أرضيا وناسوتيا من الرأس إلى القدمين.

إن الدولــة المهدوية، تحصل من خلال الاتصال والنســبة مع حضرة ولي الله الأعظمعجل‌الله‌فرجه بوصفه خليفة الله على الإطلاق. ونقرأ في الأدعية:

«أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّماءِ...؟»[1]

إن الانفصام عن حبل الله المتين والسبب المتصل بين عالم الغيب والشهود،

---

١. جانب من دعاء الندبة

يفصل أبناء آدم عن الحبل المحافظ ويتركهم في حيرة من أمرهم مضطربين متورطين بالشيطان. إن واقعة الظهور الشريفة، تشبه الحبل الذي يلقى للعالق في بئر معتمة وضالة، ليتمسك به ويصعد معه إلى الساحة النورانية للأرض.

إن ما يميز الدولة المهدوية عن جميع المدن الفاضلة واليوتوبياهات، هو توافر حبل التواصل مع العالم النوراني المارواني. وبالأحرى، فان هذا يؤدي إلى العودة إلى أعمق الساحات المغفولة من الساحات الوجودية للآدمي. إن عباد الله ومع العودة إلى مركزهم الحقيقي في التراتيبية الإلهية والتوحيدية، يلتقوا حقيقتهم. الهوية الحقيقية المنسية التي تحول الغفلة والغياب عنها، الانسان إلى غريب ضال وتائه في الكون والوجود البراح.

ويتصل الانسان عن طريق ولاية ولي الله، بمعدن الحقائق السمتورة، ويصل من خلال الانتساب إليها إلى النورانية التي تفوق الخيال. وكأنه خرج من ظلام دامس إلى وضح النهار.

إن القرب الروحي والنوري منقطع النظير الذي يحصل عن طريق الاتصال باذن الله بـ«أشرقت الأرض والسماء»، يزيل الستائر التي تقف عائقا أمام مرأى الانسان وبصره وقلبه.

إن ما يبدو في جميع اليوتوبياهات، هو البراغماتية الإيديولوجية التنويرية والمليئة بالهيجان والخلجان والتي تضفي الأصالة على الدنيا والجنة على الأرض المبنية على يد الانسان، وتحرمه مما هو قائم في عرض السماء.

وفيما يتصل بولي الله والعهد معه، تتغير جميع المناسبات والتعاملات الفردية والجماعية. بدء من أكثر العلاقات الانسانية شخصانية بما فيها الحياة الزوجية وصولا إلى أضخم الشؤون السياسية المتصلة بنظام الحكم.

إن الدعوة التي تطلقها الديانات التوحيدية لا سيما في الفكر الولائي الشيعي، هي دعوة إلى التوحيد وسلوك المراتب التوحيدية؛ الإتحاد بمعنى التوحد واجتذاب واستقطاب جميع الصفات الكمالية التي تتجسد بالتمام والكمال في وجود ولي

الله، الإمام المعصوم. إن هذا السلوك وحتى الوصول إلى أعلى المراتب التوحيدية يحصل عن طريق ولي الله على الإطلاق والمصطفى والمجتبى المعصوم والمتصل بحضرة الحق.

ولذلك، فـــان الوفاء والمودة في الولي المعصـــوم والمنصوب من قبل حضرة الحق، في المجتمع المهدوي، تزيل جميع العقبات التي تعترض ســـلوك المراتب التوحيدية العليا وتســـهم في تحقق وحدة القلوب مع ولي الله تمشـــيا مع النظام الإلهي والكوني ويعود الانســـان مواكبة لمنظمة الكون منقطعة النظير إلى حضرة الحق.

والمؤســـف أن شعوب جميع الثقافات والحضارات غير الإلهية واتحادا منهم مع مسببي الفرقة والتشتت ابتعدوا خلال جميع الألفات عن حقيقتهم، وانزلقوا في براثن الارتباك والاضطراب.

طلب الكمال؛ طلب الروح

وحاولنا في الأقسام السابقة، تبيان أن الميل إلى الكمالات أكان في العالم الظاهر أو العالم الباطن، أسهم في أن يتجنب الانسان الركود والسكون، في سعي منه لإيجاد التغيير والتبديل في العالم المحيط به، وأن يعمل في كل زمان من خلال هندسة وإعادة بناء وتأهيل العالم المحيط به وإدخال التغيرات، على استحداث وجه أخر للحياة في الميدان الثقافي والحضاري.

إن حصة من هذه الميول والتمنيات التي هي نابعة أصلا من ما في الضمير وباطن وجود الآدمي، تبلورت في هيئة مشاريع للمدن الفاضلة واليوتوبيا. الأولى من قبل الفلاسفة والثانية من قبل التنويريين المنظرين. وكلتا المجموعتين، كانت تنادي بالنظام؛ بما يتطابق مع ما جسدته على صفحات الذهن واعتبرته ضالة البشرية. وكل هذا هو حصيلة الأحلام الذهنية للفلاسفة وصناع اليوتوبيا. يستند إلى تعريفهم عن الانسان والعالم وتحديدهم لشأن ومنزلة الانسان، ضمن منظومة الكون التي ينشدونها.

إن دراسة مدى تطابق النظام المقترح والمنشود لهذين الفريقين مع المنظومة الكونية غير المتناهية، التي تنطوي على جميع ما سوى الله، تستحق التأمل والإمعان فيها، ولا يخفى طبعا أن الانسان يعد جزء من جميع الكائنات المنتشرة في هذه المنظومة، وبسبب امتلاكه قوة العقل والاختيار، بما يفوق الجمادات

والنباتـــات والحيوانات والملايين والمليارات من الكائنات الاخرى المنتشـــرة في الوجود، قادر على التلاعب في الطبيعة وأن هذه القدرة يمكن لها أيضا أن تسبب بانـــدلا ع أزمة واضطراب في النظـــام الجاري وحدوث المشـــاكل والاضطرابات الناتجة عن التلاعب والعبث له ذاته في المرحلة الأولى ولسائر الكائنات المنتشرة في عرض السماوات والأرض في المرحلة الثانية.

إن كلتا الفئتين من المشروعات المقدمة، تخفيان بباطنهما نظرة عالمية وعلم وجود خاصين وكذلك انطباع عن الانســـان والمجتمع وخالق الوجود. ومع ذلك، فان اســـتناد كلتا الفئتين — المدينة الفاضلة واليوتوبيا- إلى الانطباعات الشخصية البحتة والانســـانية المتورطة في حصر عالم الإمكان وفقدان الإشراف على جميع الســـاحات الوجودية للعالم والانســـان، يجعلها تصاب: بالنقص وعدم الشمولية والتغير وعدم الاعتماد على القســـط والعـــدل وغياب التعميم وبالتالي الحصر في الحياة الدنيوية، وربما لهذا الســـبب فان المشروعات المقدمة، لا تملك إمكانية التحقق في العالم الخارج أو أنها تظهر في ناحية وزمان محدودين فحســـب ومن ثم تنحسر ويطويها النسيان، كما أن عدم التناغم مع قانون الطبيعة والنظام الكوني فوق البشري، يؤدي إلى بروز مآزق وأزمات في العلاقات الفردية والجماعية للبشر، وفي الكثير من الحالات، إلى اندلا ع الأزمات في مجال الحياة الطبيعية لســـائر الكائنات أيضا.

وعندما يشـــار إلى القسط والعدل المنشودين في الدولة المهدوية، فالمقصود هو ملاحظة موقع كل من الكائنات الصغيرة والكبيرة في موقعها الحقيقي؛ بحيث لا يؤدي ذلـــك إلى بروز الاضطراب والارتباك لدى ســـائر الكائنات المقيمة في مدينة وعالم ما.

وجلي أن الانسان، مستقل عن سائر الكائنات المقيمة في عالم الإمكان، لا يعيش كالكائات المرئية والجلية على الأقل، بما فيها الحيوانات والنباتات وســـائر الكائنـــات، وأي حركة وقرار له يؤثر على الاخرين ويدفعهم لإبداء ردة فعل إيجابا

أو سلبا.

إن تقليل شأن جميع الكائنات إلى أشياء قابلة للتصرف وفاقدة للروح، وبالأحرى، تعميم النظرة الميكانيكية والشيئية البحتة على الكائنات عديمة الروح وصاحبة الروح، هو انطباع غير حصيف يشاهد فقط لدى سكان التاريخ الغربي الحديث – العصر الحديث–، وأن جزء كبيرا من الأزمات البيئية و... هو حصيلة هذا الانطباع الضحل عن الكون والوجود.

إن الليبرالية الديمقراطية تعد بعد الاشتراكية، آخر اليوتوبيا المقترحة والتي تحققت طبعا في التاريخ المعاصر، بيد أنها وعلى خلفية مجمل مكامن الضعف آنفة الذكر الكامنة في حدور الأزمات والمآزق، أخذت تسير نحو الضياع والزوال ووصل رنين جرس تلاشيها إلى أسماع العديد من المفكرين في غرب العالم وشرقه.

وفي فجر الخلق، بنى **إبليس** حجر الإنتقام من الله، على أساس إغواء درة تاج الخليقة وأعلن:

«**فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين**»[1]

إن هذا التباعد حصل على هيئة انفصال علاقة الانسان ببارئ الكون وعطف اهتمام ونسبة أبناء آدم على النشأة الشيطانية؛ الزاوية التي حولت الانسان على مرّ الزمان وتلقبات التاريخ، من الانسان «العبد» والمتناغم مع النظام الكوني وقانون الوجود إلى فرد «معترض» ومتمرد، ومهدت لانتشار الفساد في الأرض.

إن الطغيان والتمرد، والإستغناء والاستكبار واللهاث وراء الرفاهية وغياب التزكية وتهذيب النفس، تعد من أهم علامات خروج قطار الانسان عن السكة التي وضعها الله وأوصى بها الأنبياء الإلهيين العظام.

إن أولى مهمة للنبي **موسى**عليه السلام تمثلت في الذهاب إلى فرعون وعلاج طغيانه:

---

۱. سوره ص، الآية ۸۲.

«اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى»[١]

ومن ماذا يجب أن يزكى فرعون؟ من الطغيان، والاستغناء والاستكبار. إن جل ظلم وجور فرعون بحق سائر سكنة «مصر» نابع من هذا التوجه الشيطاني، فإن لم يزكى منه، فانه لن يستقر على السكة التي وضعها الله المتعال.

ويأتي الطغيان من جذر **طغو وطغى**، بمعنى جاوز الحد المقبول.[٢]

وتأسيسا على المصادر اللغوية والتفسيرية، فان المعنى المصطلح للطغيان، هو تجاوز الانسان وتمرده على الحدود الإلهية المقررة والناجم عن الجهل والغفلة والأنانية وهوى النفس.

وثمة آيات عديدة في «القرآن الكريم» تشير إلى الأسباب التي تسهم في بروز الطغيان:

– الشعور بالاستغناء عن حضرة الحق، وعن الهداية الإلهية والقادة السماويين والتمتع المالي:

«كَلاَّ إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى»[٣]

– الشعور بالعلو والتفوق؛ الأمر الذي أصيب به عامة السلاطين والخلفاء وأصحاب الجاه والمال، وعدم الإيمان بالموت والمعاد والقيامة:

«وَإِنَّ الَّذيـن لا يُؤْمنُونَ بالْآخرَة عَن الصِّراط لَناكبُونَ * وَلَوْ رَحِمْناهُمْ وَكَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ»[٤]

إن عواقف العصيان والطغيان، كثيرة، وأن هذه الواقعة أي الآفات وسوء البلاء، الناتجة عن الطغيان، تحصل وفقا للسنة الإلهية، وأن قسما كبيرا منها، هو حصيلة ردات الفعل الطبيعية للمنظومة الإلهية.

إن ما مرّ به فرعون وقوم ثمود وعاد ولوط، وبعدهم سائر الطغاة، وما سيمرون

---

١. سورة النازعات، الآيتان ١٧–١٨.
٢. **مصطفوي، حسن**، «التحقيق فى كلمات القرآن الكريم»، ج ٧، ص ٨٢.
٣. سورة العلق، الآيتان ٦–٧.
٤. سورة المؤمنون، الآيتان ٧٤–٧٥.

به بعد الان، ليس سوى ما ورد على لسان «القرآن»:

«أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بعاد * إِرَمَ ذات الْعماد * الَّتى لَمْ يُخْلَقْ مثْلُها فى الْبلاد * وَثَمُودَ الَّذينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْواد * وَفِرْعَوْنَ ذى الْأَوْتاد * الَّذينَ طَغَوْا فى الْبلاد * فَأَكْثَرُوا فيهَا الْفَسادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذاب * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصاد»[1]

إن خلائق الله كثيرة؛ في حين أن الكثير منهم، يختفون عن أعين الآدميين. وليس الملائك والجن وحدهم الذين بقوا خافين عن أعين الانسان. إن السنن والقوانين الثابتة هي بمنزلة القوة الجاذبة الجارية في العالم الفيزيقي هي حقيقية وفاعلة وثابتة وتؤثر على البشر من دون الأخذ بنظر الاعتبار لون بشرتهم وعرقهم وممتلكاتهم وفقرهم، وتفعل فعلتها.

«وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصيبَة فَبِما كَسَبَتْ أَيْديكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثير»[2]

ويقول الله تعالى في الآية المباركة من «سورة الروم»:

«ظَهَرَ الْفَسادُ فى الْبَرِّ والْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذيقَهُمْ بَعْضَ الَّذى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون»[3]

وبعبارة أخرى، فان جزء من ردة الفعل وبروز السنن، هو عامل لتذكير الانسان وعودته عن الخطأ.

إن استغناء مصممي وجهي الحضارات، عن الحجج الإلهية واكتفائهم بالتصورات الانسانية، ينطوي حسب الآيات القرآنية في حد ذاته على، نطفة الأزمات والمآزق والفناء والزوال؛ بحيث أن جميع الدول التي أقامها وجربها الانسان، على مدى القرون والألفيات والعصور، كان مآلها الفناء والضياع.

---

١. سورة الفجر، الآيات ٦-١٤.
٢. سورة الشورى، الآية ٣٠.
٣. سورة الروم، الآية ٤١.

إبليس، مؤسّس جولة الباطل

وتشير الروايات العلوية في تقديم وإحصاء مجئ ورحيل الأمراء والحكام ونظرا إلى الأسس النظرية والفكرية للمؤسسين إلى شكلين:

للحقّ دولة. للباطل جولة.[١]

وينقل **سليم بن قيس الهلالي** عن **سلمان الفارسي** أن رسول الله ﷺ قال **لعلي بن أبي طالب** عليه السلام:

«ليس للمؤمن أن يذلّ نفسه.» قلت: وما إذلاله لنفسه؟ قال ﷺ «يتعرّض من البلاء لما لا يقوى عليه ولا يقوم به.»[٢]

وقد فسر الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، كلام رسول الله هذا وقال:

«قال رسول الله ﷺ: «إنّ التّقيّة من دين الله، ولا دين لمن لا تقيّة له. والله لو لا التّقيّة ما عبد الله فى الأرض فى دولة إبليس.» فقال له رجل: وما دولة إبليس؟ قال: «إذا ولى النّاس إمام ضلالة فهى دولة إبليس على آدم، وإذا وليهم إمام هدى فهى دولة آدم على إبليس.» ثمّ همس إلى عمّار ومحمّد بن أبى بكر همسةً وأنا أسمع، فقال: «ما زلتم منذ قبض نبيّكم فى دولة إبليس بترككم إيّاى واتّباعكم غيرى.»[٣]

إن **إبليس** وفي ضوء معرفته بجهوزية غير المتقين للتعرض للإغواء، جعلهم يقبلون منصب إمارة وإمامة الضلال؛ وهي الواقعة التي انطوت بسبب شأن الإمارة والحكم، في حد ذاتها على ضلال حشد غفير من عباد الله. ويعتبر الإمام علي عليه السلام أن ترياق الإغواء الشيطاني يتمثل في التقية أي تجنب إعلان قبول الإمارة والحكم؛ الأمر الذي إن كان قد حصل، وإن كان الناس يمشون بتقوى في الأرض، لما كانت تقام كل دول إبليس هذه والعصور الثقافية والحضارية المليئة

---

١. **الليثي الواسطي، علي بن محمّد**، «عيون الحكم والمواعظ»، قم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ .ش.، ص ٤٠٣.)

٢. **الهلالي، سليم بن قيس**، «كتاب سليم بن قيس الهلالي»، قم، الهادي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ .ق.، ج ٢، صص ٨٩٥-٨٩٦.)

٣. **الهلالي، سليم بن قيس**، «كتاب سليم بن قيس الهلالي»، ج ٢، ص ٨٩٦.

بالضلال، طيلة التاريخ.

إن ما كان يقصده إبليس بشكل رئيسي من رفع راية إمامة الضلال، هو الحد من عبادة الله وجعل الخلائق في ضلال.

حال المؤمن في جولة الباطل

لذلك فان تيارين من الإمارة والحكم، ظهرا طيلة التاريخ الطويل لوجود الانسان على وجه الأرض: «دولة الحق» و «جولة الباطل».

والجولــة في اللغة هي الجولان إذ يقال جال التراب جولا وجولة وجولانا، أي ارتفع. إن الاستعراض الجاهلي للذات يحول دون رؤية ساحة المعركة والحقائق.

إن الفــارس الذي يثير الغبار والتراب في الميدان بغرض اســتعراض العضلات والقوة وإرعاب المنافس، يكون في حالة جولان. إن من يلقي بنفســه من خلال عدم التقوى، إلى خارج حصار ضبط النفس والتقية، فانه يعرض نفســه والاخرين على شــاكلته، للهلاك والزوال. وللشاعر **مولوي**، وصف شاعري بديع يعتبر فيه أن الذي يزعم الجولان هو بمنزلة متبجح ومتبختر يلقي بنفسه إلى التهلكة:

إن ارتديت أنت سلاح الأبطال
فان روحک ترحل، لانک لست أهلا له
اجعل النفس درعا، وارم السيف أيها الصبى
ومن كان فاقدا للرأس، سيحظى بالرأس من هذا الملک
إن سلاحک هذا، هو حيلتک ومكرک
وتكاثر منک كما أنه يؤذى نفسک ويخدشها
وبما أنک لم تجن أى فائدة من هذه الحيل
فاترک حيلتک، لتأتى الدول
لان هذه العلوم ليست مباركة وميمونة لک
تخل عن ذاتک واترک الشؤم

وقالت الملائكة: «لا علم لنا»
يا إلهى غير ما علَّمْتنا[1]

وحســب **مولانا**، فان المتبجح الذي يجول، يحتــال؛ بينما هو يفتقد للخبرة اللازمة للصولة والســطلطان بل يســتأهل أن يجهر الجهل، ويلملم نفسه ليتحول إلى بطل حقيقي يصول ويتحرك في الميدان.

ويقــول مولوي في الدفتر الخامس فــي نقل حكاية **عياضي** وفي وصف صولة وسطوة الرجال الأبطال:

إن هذا هو الجهاد الأكبر وذاك الأصغر
وكلاهما من عمل ومهمة رستم وحيدر
وليس عمل ومهمة من لا يملك العقل والذكاء
ويهرب ويفر ما أن تحرك ذنب فأر
وذاك يجب أن يكون كالانسان
البعيد عن المعركة والسنان[2]

وليــت أن ينظر أولئك الذيــن تطأ أقدامهم أرض المعركــة والجولان قبل أن يجمعــوا المعاني الظاهرة والباطنــة، أن ينظروا إلى ذاتهم ويفهموا في الواقع، أنهم فيما يزعمون الصولة والســطلطان، بانهم يخشــون حركة ذنب فأر، وحينها، لما كانــوا يتحولون إلى أداة ووســيلة بيد الظالمين ولا يلقوا بانفســهم والاخرين إثر وساوس الشيطان، إلى التهلكة.

عن **أبى الصّبّاح** قال:

كنت عند أبى عبد الله عليه السلام فشــكا إليه رجل فقال: عقّنى ولدى وإخوتى وجفانى إخوانى. فقال أبو عبد الله عليه السلام:
«إنّ للحــقّ دولةً و للباطــل دولةً وكلّ واحد منهما ذليل فى دولة صاحبه

١. **مولــوي**، «المثنوي المعنوي»، الدفتر الثاني، القســم ٩١ – قصة الرامــي وخوفه من الفارس الذي كان يجول في الغابة.
٢. المصدر السابق، الدفتر الخامس، القسم ١٦٢: حكاية عياضي.

وإنّ أدنى ما يصيب المؤمن فى دولة الباطل أن يعقّه ولده وإخوته ويجفوه إخوانه وما من مؤمن يصيب رفاهيةً فى دولة الباطل إلّا ابتلى فى بدنه أو ماله أو أهله حتّى يخلّصه الله تعالى من السّعة الّتى كان أصابها فى دولة الباطل ليؤخّر به حظّه فى دولة الحقّ فاصبروا و أبشروا.»[1]

ويعلن الإمام عليه السلام أن الله تعالى لم يخص المؤمن في دولة الباطل، نصيبا من التمتع والرفاهية؛ سوى أن يبتلى في مقابل أي تمتع ورفاهية، بألم ومعاناة. لذلك يتعين على المؤمنين التحلي بالصبر ويبشر أحدهم الاخر بحلول موسم دولة الحق؛ وهو الوعد الصادق ولا شك في تحققه.

١. **الكوفي أهوازي، حسين بن سعيد**، «المؤمن»، قم، مؤسّسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ١٤٠٤هـ .ق.، ص ٢٣.

الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، مؤسّس دولة الحق وآخر الدول

ولكل دولة صاحب ومرجع وأن تداول الدول والحكم بين الناس، هو من السنن الإلهية الثابتة؛ بحيث قال تعالى:

«وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمين»[1]

وبالأحرى، فان هناك تداول الدول والابتلاء والامتحان و«سنة قياس المتبجح» لكي يتم في خضم مجئ ورحيل الدول وأنظمة الحكم، فصل الصفوف وتحديد من هم أصحاب الإيمان الثابتين والراسخين؛ مثلما أن الله تعالى، لم يعف أي انسان من الابتلاء والامتحان؛ حتى الأنبياء العظام.

ويقول **الإمام الصادق** عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة:

عن **زرارة** عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله **«وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ»** قال عليه السلام:

«ما زال مذ خلق الله آدم دولة لله ودولة لإبليس، فأين دولة الله أما هو إلا قائم واحد.»[2]

إن تأسيس دولة الحق، يأتي بعد تجربة جميع دول المتبجحين والمدعين. إن

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

٢. **العيّاشي، محمّد بن مسعود**، «تفسير العيّاشي»، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ .ق.، ج ١، ص ١٩٩.

السببين المتمثلين في وجود المتبجح والمدعي وكذلك إذن ورخصة الله تعالى، أديا إلى إرجاء هذه الدولة. إن انحصار دولة الحق بيد رجل من ذرية الرسالة والإمامة، مؤشر على تلوث وتدنس جميع الدول القائمة والتي تم تداولها بين الناس منذ اليوم الأول من الخلق وحتى يوم الظهور. إن امتزاج الحق والباطل، هو أقل تصور عن الدول التي كانت قائمة في جميع العصور والدهور؛ بحيث قال **الإمام الباقر**عليه السلام:

عن أبى جعفرعليه السلام **قال:**

«دولتنا آخر الدّول ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلّا ملّكوا قبلنا لئلّا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملّكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء وهو قول الله عزّ وجل: «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتّقِينَ»[1]

وتعلن هذه الرواية أن تأسيس دولة الحق يقتصر على ذرية الوحي، وترى أن الشرط اللازم لذلك، يكمن في التواصل بلا وسيط مع حضرة الحق، وتقول ان سر عجز الاخرين عن إقامة دولة العدل والحق، يعود إلى عدم تواصل المدعين ونسبتهم بحقيقة العدل؛

ومن جهة أخرى، تعتبر الأية الكريمة «**الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**»[2] أن دولة الحق تضع نهاية لمجئ ورحيل الدول على الأرض.

وقال الإمام محمد الباقرعليه السلام في تفسير الآية الكريمة «**جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِل**»:[3]

«إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل.»[4]

وبالأحرى، فان كلام المعصومعليه السلام، يعلن خلود وبقاء دولة الحق إلى الأبد

---

١. **الطوسي، محمّد بن الحسن**، «الغيبة»، كتاب الغيبة للحجة، قم، دار المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .ق.، صص ٤٧٢-٤٧٣.

٢. سورة الأعراف، الآية ١٢٨؛ سورة هود، الآية ٤٩؛ سورة القصص، الآية ٨٣؛ سورة طه، الآية ١٣٢.

٣. سورة الاسراء، الآية ٨١.

٤. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ٨، ص ٢٨٧، ح ٤٣٢.

وإلى قيام الساعة؛ لان جميع المتشدقين، يكونون قد أظهروا واستعرضوا ذاتهم إلى ما قبل ذلك، ومع موت مؤسس جولة الباطل أي **الشيطان**، يزول معه مجال جولان الأغيار.

وقال **الإمام الصادق**عليه السلام:

«دولته آخر الدّول وخير الدّول.»[1]

وقال الإمام في رواية أخرى:

«ليس بعد دولة القائم لأحد دولة...»[2]

إن كون الإمام قائما بين أهل البيتعليهم السلام، كما أن النبي **آدم**عليه السلام قام في فجر الخليقة، وفي أول لمحة بصر بالنظر إلى ذرية الوحي وإليه في العرش، معطوف على مقام الإمام ومهمته في حمل الراية المحمدية وتأسيس الدولة الأحمدية في آخر الزمان وإثمار حكمة خلق الكون في مجال جعل خليفة الله في الوجود والكون.

وقال **الإمام علي أمير المؤمنين**عليه السلام في وصفه:

«يظهر [عند ذلک] صاحب الراية المحمّدية والدولة الأحمدية القائم بالسيف الحال الصادق فی المقال يمهد الأرض ويحيی السنّة والفرض...»[3]

ويظهر صاحب الراية المحمدية والدولة الأحمدية، حضرة خليفة الله وولي الله الأعظمعجل الله تعالى فرجه الشريف؛ بملك أعظم من ملك النبي **سليمان**عليه السلام، وسلطان أعظم من سلطانه.

«إنَ ملكنا أعظم من ملک سليمان بن داود و سلطاننا أعظم من سلطانه...»[4]

---

١. **سليمان، كامل**، «يوم الخلاص في ظل القائم المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف»، ج ١، ص ٣٤٣.

٢. **المفيد، محمّد بن محمّد**، «الإرشاد في معرفة حجج اللّه على العباد»، ج ٢، ص ٣٨٧.

٣. **اليزدي الحائري، علي**، «إلزام الناصب فی إثبات الحجة الغائبعجل الله تعالى فرجه الشريف» بيروت، مؤسّسة الأعلمي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .ق.، ج ٢، ص ١٩٧؛ **القندوزي، سليمان ابراهيم**، «ينابيع المودّة لذوي القربى»، قم، مؤسسة الأوقاف والشؤون الخيرية، دار الأسوة للطباعة والنشر، ج ٣، ص ٢٠٨.

٤. استرآبادي، علي، «تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة»، قم، مؤسسة النشر الإسلامی، الطبعة

عودة محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله في هيئة محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله

وقد وردت العبارة والخطاب السماوي «رحمة للعالمين» بشأن شخصيتين كبيرتين من بين الأنبياء والأوصياء.

«وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمين»[١]

إن هذه الآية المباركة أزالت الانحصار العرقي والقبلي والانحصار الزمني والمكاني عن مهمة ورسالة خاتم الأنبياء.

وثمة الكثير من الأنبياء باوصاف عديدة ومهام مختلفة تختلف حسب اختلاف الظروف التاريخية والزمانية والمكانية، ورغم أن كلا منهم، أسهم تكوينا في نشر وتعميم الرحمة الإلهية على الشعوب، بيد أن النبي **محمد بن عبد الله** صلى الله عليه وآله اعتبر المظهر التام والأتم والمثل الأعلى لاسم الرحمة. إن وصف النبي الأعظم، ليس شكليا واعتباريا؛ بل يحكي حقيقة وجود ذلك المختار الإلهي.

وقد قال النبي الأكرم في الكشف عن حقيقة وجوده وملته:

«أنا أفضل النّبين قدرا وأعمّهم خطرا وأوضحهم خبرا وأعلاهم مستقرا وأكرمهم أمّة وأجزلهم رحمة وأحفظهم ذمّة وأزكاهم ملّة.»[٢]

وقال **الإمام علي أمير المؤمنين** عليه السلام في وصف النبي الكريم صلى الله عليه وآله:

«اختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة الضّياء وذؤابة العلياء وسرّة البطحاء ومصابيح الظّلمة وينابيع الحكمة. طبيب دوّار بطبّه قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه يضع ذلک حيث الحاجة إليه من قلوب عمى وآذان صمّ وألسنة بكم متتبّع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة...»[٣]

إن هذه الأوصاف هي بمنزلة شرح وبسط الآية المباركة «رحمة للعالمين» في

---

١. سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

٢. **أبو معاش، سعيد**، «علي أمير المومنين عليه السلام نفس الرسول الامين صلى الله عليه وآله»، بيروت، الأميرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ .ق.، ج ١، ص ٧١.

٣. «نهج البلاغة» (صبحي صالح)، الخطبة ١٠٨.

«القرآن الكريم» حول النبي الأكرمﷺ.

إن عدم الكلل والملل في العطاء، والشفاء والمراهم، ووهب الحكمة والعلم والمعرفة وتبديد كل الظلمات عن وجه الأرض وساحات روح الانسان، هي من الخصائص الذاتية لنبي الرحمة والمصطفى. إنه بعث بكتاب ودين متكامل، وأقرب كائن من الأولين والآخرين إلى ذات البارئ عز وجل، ومضى حتى مقام «**قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى**».[1]

إنه أول صفحة من الدفتر الضخم للدين الخاتم، وآخر صفحته، آخر وصي له. اسمه نفس اسمه وكنيته نفس كنيته، مهدي فاطمة، مؤسس دولة الحق والموصوف بصفة رحمة للعالمين.

وقال رسول اللهﷺ في وصف **الإمام المهدي**عج:

«المهدیّ من ولدی اسمه اسمی و کنیته کنیتی أشبه النّاس بی خلقاً وخلقاً تکون به غیبة وحیرة تضلّ فیها الأمم ثمّ یقبل کالشّهاب الثّاقب یملؤها عدلًا وقسطاً کما ملئت جوراً و ظلماً.»[2]

کما نقل عن النبي الأكرمﷺ قوله:

"القائم من ولدی اسمه اسمی وکنیته کنیتی وشمائله شمائلی وسنّته سنّتی یقیم النّاس علی ملّتی وشریعتی ویدعوهم إلی کتاب ربّی عزّ وجلّ من أطاعه فقد أطاعنی ومن عصاه فقد عصانی ومن أنکره فی غیبته فقد أنکرنی ومن کذّبه فقد کذّبنی ومن صدّقه فقد صدّقنی.»[3]

وكأن **محمد**ﷺ ذاته، حضرة رحمة للعالمين يظهر مرة أخرى في آخر الزمان في هيئة ابنه المهديعج.

«السَّلامُ عَلَيْکَ أَيُّهَا الْعَلَمُ الْمَنْصُوبُ وَالْعِلْمُ الْمَصْبُوبُ وَالْغَوْثُ وَالرَّحْمَةُ

---

١. سورة النجم، الآية ٩.

٢. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدّين وتمام النعمة»، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ .ق.، ج ١، ص ٢٨٦.

٣. المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١١.

الْوَاسِعَة.»[١]

وعن ليث بن طاوس قال:

«المهدى جواد بالمال رحيم بالمساكين شديد على العمّال.»[٢]

وحســـب وصف «حديث اللوح» المهدى إلى **فاطمـــة الزهراء**عليها السلام عند ولادة **الإمام الحسين**عليه السلام:

«... وأكمل ذلک بابنه محمد رحمةً للعالمين...»[٣]

١. من «زيارة آل ياسين».

٢. **الطبري آملي**، «بشارالمصطفى المرتضى»، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ .ق.، ص ٢٠٧.

٣. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ٥٢٨.

تأسيس المدينة وكمال الإنسان

ويعني **الكمـــال** في المصطلح، تفعل جميع المواهب الكامنة في كائن ما. إن أي كائـــن، أكان من الجن والإنس، من الحيوان والنبـــات ينال الكمال الملائم من خلال نيل مقام الإثمار أي ظهور جميع المواهب والطاقات الكامنة لديه.

والسقط هو كل ما يسقط، مثل الثمرة الفجة والناقصة التي تسقط من الشجرة أو الجنين يســـقط من بطن أمه قبل تمامه، وهو ما ينتـــزع إمكانية النمو والنضج والتكاثـــر من الكائنات. لذلك فان نيل الكمـــال وبلوغ أعلى مراتب ظهور وبروز المواهب الكامنة، هو ما تطلبه تكوينا جميع الكائنات المقيمة في عالم الإمكان.

إن ولادة أي كائن، وإبصاره النور في الدنيا، يشكل نقطة البداية للسير والسفر والصيرورة التي تســـتمر حتى تجربة كمال الجســـم والروح وذلك حسب الجهوزية والموهبة الكامنتين لدى أي كائن؛ فالصيرورة تعني التحول والانتقال من حال إلى حال.

إن من يتبنى إرادة قيادة وتوجيه أبناء آدم، يجب أن يلتفت بالضرورة إلى جميع المواهب والســـاحات الوجودية لجميع الكائنات التي يضعها في ظرف مدينة ما بجانب بعضهم البعض، ويأخذ بيدها في نسيج متناغم وبالتعامل معا، نحو النقطة المنشودة المفترضة، ونحو سير الكمال. وعليه، فان معرفة المعمار البارع والفاعل بجميع المواد الإنشائية، وكذلك فاعليها واستخداماتها، ومعرفة طريقة ربط ووصل

جميع المكونات، يساعده على بناء وإقامة صرح رفيع وفاعل وجميل ومتناسب مع الاهداف المحددة.

وكيف يمكن أن يكون كل ذلك شرطا ضروريا في بناء صرح مادي؛ لكنه لا يشكل شرطا ضروريا لبناء الصرح الوجودي للانسان وتوصيله في جميع التعاملات الفردية والجماعية والدنيوية والاخرية إلى مراتب الكمال؟

إن تجاهل أي مكون للساحات الوجودية للكائنات التي تعيش بجانب بعضها البعض في مدينة ما، يؤدي بالضرورة إلى عدم نضوج الكائنات. ولذلك فان الشرط الأول لتأسيس المدينة الطيبة، يكمن في وجود مهندس معماري رفيع المقام ومشرف وملم بجميع الأجزاء والمكونات الوجودية للكائنات، بصفة عامة والانسان بصفة خاصة. وكما يقول الشاعر:

إن الذات التى لا تستمد من بارئ الكون
كيف يمكن لها أن تهب الكون والوجود
إن السحاب الجاف الخاوى من الماء
لا يتصف بصفة الرطوبة والماء
لا يأتى من الممكن إلا العمل
إن وقعت الحاجة إليه
إنه قائم بذاته والعالم قائم به
لا يستقيم أى كائن إن لم يرتبط به
إن حركة هذه السلسلة تأتى منه
وهذه القافلة متوجهة إليه[١]

وعليه، فان من الضروري وجود «الانسان الكامل» لإقامة وبناء «المدينة الكاملة»، لتتوافر بذلك إمكانية وفرصة الإثمار وإيصال الانسان وسائر كائنات

١. **جامي**، «هفت أورنج»، ، الجزء ١٩، العقد الرابع في الاستدلال بظهور آثار وجود الخالق سبحانه ما أعز شأنه وما أجلى برهانه.

عالم الإمكان إلى الكمال.

أريد القول أن جميع المدن المصممة والمقترحة، محكومة بقبول النقصان بسبب الأزمة المعرفية لدى مصمميها في معرفة الحقيقة الوجودية للعالم والانسان والانخراط في الحيرة والتيه في معرفة حضرة الحق ومعرفة الانسان والعالم.

إن الاختلاف في مجال تقديم التعريف حول أي من الأضلاع الثلاثية المذكورة، من قبل المتشدقين بعمارة وبناء المدينة الفاضلة واليوتوبيا، يميط اللثام عن الأزمة المعرفية الكامنة والمؤثرة بطبيعة الحال في أي عرض.

ويعتبر **توماس هوبز**[1] الانسان بانه ذئب الانسان[2] و**هيغل**،[3] علم الانسان بانه فرع من علم الحيوان[4] و**داروين**،[5] الانسان بانه نسيب الحيوان فيما يعتبر علماء المنطق المسلمون، الانسان بانه حيوان ناطق.[6]

وأي تعريف يستعين به مصمم المدينة عن الانسان، ليحدد به مكانة الآدمي في منظومة الوجود ويضع وصفة للسير به على جادة الكون والوجود؟

إن العودة إلى خالق العالم والانسان، والتمسك بالانسان الكامل، بوصفه مربي الانسان ومعمار المدينة، يمثل أهم وأبرز وجه يميز الدولة المهدوية الكريمة عن جميع المدن الفاضلة واليوتوبياهات المقترحة.

الانسان الكامل، مؤسّس الدولة الكريمة والمدينة الطيّبه

أن تأسيس الدولة الكريمة والمدينة الفاضلة في الأرض، هو المقصود والمراد من خلق الانسان والعالم؛ وإلا لما قال الله تعالى:

---

1. Thomas Hobbes.

٢. **حلبي، علي أصغر**، «الانسان في الإسلام والمدارس الغربية»، طهران، أساطير للنشر، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ .ش.، ص ١٠٥.

3. Georg Wilhelm Friedrich Hegel.

٤. **لاندمان، مايكل**، «علم الإنسان الفلسفي»، ترجمة وتأليف **رامبور صدر نبوي**، مشهد، مطبعة طوس، الطبعة الأولى، ١٣٥٠هـ .ش.، ص ١٩٥.

5. Charles Darwin.

٦. **مطهّري، مرتضى**، «مجموعة أعمال»، ج ٣٧، صص ٣١-٣٢.

«إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِيفَة»[١]

إن خليفة حضرة الحق، باعتبار أن الله تعالى قال بشأنه: «**وعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها**»[٢] هو عالم بالأسماء الإلهية وبالتالي، ملم ومحيط بجميع الكائنات الساكنة في عالم الإمكان وسادن وأمين وخليفة الله المتعال في الأرض.

إن مقام الخليفة والأمين والرئيس على ما سوى الله، يتطلب أن يتحلى الخليفة بصفات حضرة الحق بالكامل.

إن هكذا شخصية رفيعة المستوى والمقام والتي تنطوي على جميع صفات الحق، تسمى الإنسان الكامل، وهي بحسب المكانة والموقع، تكفل ثبات العالم حتى نهاية العالم، وعليه، فانه من أجل حفظ العالم ودوامه وثباته، فلا بد من حضور هذا الانسان الكامل في جميع عصور ودهور حياة البشرية على الأرض؛ سواء كان ظاهرا أمام أعين البشرية أم لا. لذلك، فمع رحيل أي انسان كامل، فان إنسانا كاملا اخر، يخلفه حتى آخر دورة حيث أن آخر وصي للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، آخر انسان كامل وحي وحاضر، يمسك بزمام أمور خلق العالم باذن الله، وهذا المقام يكون جاريا له إلى الأبد.

تعال وادخل فی ظلال ذلک العاقل
ولا أحد قادر على تحريكه
وظله فی الأرض يشبه جبل قاف
وروحه كالعنقاء عالية الطواف
وإن قلت صفاته إلى يوم القيامة
فلا تبحث عن برهة ونهاية لها
وقد غطت الشمس فی البشر
افهم والله أعلم بالصواب[٣]

---

١. سورة البقرة، الآية ٣٠.
٢. المصدر السابق، الآية ٣١.
٣. **مولوي**، «مثنوی معنوی»، الدفتر الأول، القسم ١٤٠: وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام.

ويشـبّه **محي الدين بن عربي** فـي «فصوص الحكم» وفي الفص الأول، بعنوان «فص حكمة إلهية في كملة آدمية»، يشـبه الانسان الكامل بمكان نقش خاتم كمال خلقة الله ويقول:

إن الملـك الذى ختـم خزانته بوضع نقش خاتمـه وحفظها، حافظ على العالم من خلال خلق الانسان الكامل.[1]

وعلى رأس سلسـلة مراتب الانسـان الكامل، هو وجود الرسـول الأكرم صلى الله عليه وآله وآخرها، **الإمام المهدي** عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي يرفع في وقت الظهور راية الدولة الكريمة والمدينة الطيبة.

ومن وجهة نظر المسيحيين، فان عيسى المسيح عليه السلام كان مصداق الانسان الكامل فى العالم. ويبين المسـيحيون، الوضع الأولى للانسان على هيئة الله؛ لان روح الله قـد نفخـت فيه ويملك خصائص مثـل العقل والضمير والإرادة.

إن هكـذا انسـان فـى منظورهم، هـو خير مـن كل الكائنـات وذلك بسـبب امتلاكه الصفات الإلهية، ويحظى بالقدسـية... وحسب معتقدات المسيحيين، فان عيسى عليه السلام هو الانسان الوحيد الذى نال هذا المقام على خليفـة امتلاكه ميـزات مثل العصمة والمحبة وإنقـاذ وتخليص الاخرين وكذلك مقام الشفاعة.[2]

علم مفهوم الإنسان الكامل

إن الانسـان الكامل الذي يكنى بألقـاب مثل **قطب العالـم والخليفة والإمام والاكسير الأعظم والعالم والمهدي والقائد والهادي** و...، أعتبر ذلك الانسان المتخلق

---

١. **ابن عربي، محي الدّين**، «فصوص الحكم»، تعليقات **أبو العلي عفيفي**، طهران، الزهراء، ١٣٦٦هـ .ش.

٢. **تيسـن**، «اللاهوت المسيحي»، قم، صص ١٤٧-١٥١؛ **اسـتات، جان**، «أسس المسيحية»، ترجمة **روبرت آسيريان**، طهران، الحياة الأبدية، ص ٥٥.

بالأخلاق الإلهية والعلة الغائية للخلق وسبب إيجاد العالم وبقائه والمتحقق باسم الله الجامع، والوسيط بين الحق والخلق، وخليفة الله بلا منازع والذي تحقق علمه وحقيقته.[١] إن هذا انسان الذي يتحلى بالأقوال الحسنة والأفعال الحسنة والأخلاق الحسنة، أعتبر بانه مرشد وهادي الخلائق في الظاهر والباطن. وهو الذي يجمع بذاته الصفات والأخلاق الإلهية وعارف بالآفات الروحية للبشر وسبل شفائها، ووجد وحدة ذاتيه مع الهوية الذاتية الإلهية المتعالية، وفي النهاية، فهو صفوة وخلاصة الكائنات والأخرون هم طفيليو وجوده.[٢]

إن هكذا انسان شريف ورفيع المستوى، سيكون مؤسس الدولة المهدوية الكريمة ومقيم المدينة العلوية الطيبة. وبالأحرى، فان الدولة المقامة على يد هذا الإمام المعصوم، هي بمنزلة الظهور الخارجي له والمرتبة المستقرة لمقامه على وجه البسيطة. ولذلك، فان تلك الدولة والمدينة، عارية وخالية من عموم الأعراض التي تداهم الانسان المعتاد والناقص.

الإنسان الذي عرّف في منظومة الدولة المهدوية

إن كل ما يتعلق بموضوع تأسيس المدينة الفاضلة واليوتوبيا وبالتالي الدولة المهدوية الكريمة للانسان الكامل، يعود إلى تقديم تعريف عن الانسان وتبيان مكانته في منظومة الكون والوجود. وأي تعريف يقدم عن الانسان — حسب النظرات العالمية وعلماء الكونيات– سيحصل له بتبعها، عالم ومدينة وسير وسفر ووجهة في الأفق البعيد. ومن هنا أقول:

إن باطن أي منطقة ثقافية وحضارية في الأزمة الماضية والحاضرة والمستقبلية، يكمن في تعريف تلك المنطقة وعلم معرفتها الخاص عن الانسان.

---

١. المصدر السابق؛ نقلا عن **مطهّري، مرتضى**، «الإنسان الكامل»، صص ٤–٥.

٢. المصدر السابق؛ نقلا عن **ابن عربى، محي الدين**، «الفتوحات المكّيه»، القاهرة، ا المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥هـ .ق.، ج ١٣، ص ١٢٩؛ **نسفي، عزيز الدين**، «الانسان الكامل»، مقدّمة **هانرى كربن**، المترجم **ضياء الدين دهشيري**، طهران، طهوري للنشر، ١٣٨٦هـ .ش.، صص ٣٥٧ و ٢٦٩.

إن المناطق الثقافية والحضارية في الأرض، أقيمت على يد الانسان ولسكناه، وهي قابلة للتغير والتبديل على يد الانسان ذاته، كما أن حضارة البهائم، هي حصيلة فكر وعمل البهائم وموقعها وملجأها؛ مثلما أن الحضارة التكنولوجية هي نتاج فكر وعمل تكنيك الانسان ونظرته التكنيكية إلى العالم والانسان، وبالتالي، موطن الأناس الذين ينظرون إلى الانسان من هذه النافذة.

وفي منظومة الدولة المهدوية الكريمة؛

إن الانسان المختار، هو أشرف وأكرم جميع الكائنات المقيمة فى عالم الإمكان ويتمتع بموهبة الصيرورة،[١] ما يعنى المقدرة على سلوك المراتب الظاهرية والباطنية لنيل أعلى المراتب وحتى جذب واكتساب مقام خليفة الله فى الأرض، حامل العلم والمعرفة الفطرية[٢] التى تثمر فى ظل توافر الظروف اللازمة وتبلغ مقام الإثمار؛ التقى الورع الذى خميرته ليست من الطين، بل من الفؤاد والروح والنور،[٣] وفى ظل امتلاكه العلم والمعرفة حول ذاته، فانه يتميز عن جميع الكائنات[٤] ومُعرف حسن وقبح الأفعال والأقوال[٥] فى البعد عن الحقارة والدناءة والظلمات والسير من أسفل الدركات إلى أعلى عليين[٦] إنه يحوز الضمير الأخلاقى[٧] والكرامة والحرية الانسانية[٨] واستحقاق كسب جميع النعم الأرضية والسماوية، وأن جميع المخلوقات والنعم، قد خلقت من أجله وتسخر له؛[٩] إنه يبحث عن نيل المراتب التوحيدية السامية ويسجد عند عتبة الله المتعال وقد

---

١. سورة البقرة، الآية ٣٠.
٢. سورة البقرة، الآيتان ٣١-٣٢.
٣. سورة الروم، الآية ٣٠: «.»
٤. سورة القيامة، الآيتان ١٤-١٥.
٥. سورة الشمس، الآيتان ٧-٨.
٦. سورة الفجر، الآيات ٢٨-٣٠.
٧. سورة القيامة، الآيتان ١-٢.
٨. سورة الإسراء، الآية ٧٠.
٩. سورة الجاثية، الآية ١٣.

وطأت قدماه الأرض لهذا الغرض.[١]

إن هـذه المواهـب التي منحها الله، جعلت الانسـان فـي مقام محجة كل الكائنات والوجهة المنشودة لسير وسفر السائرين؛ بحيث أن أي فئة من الكائنات، تسـير في التراتيبية، نحو الكائن الأسـمى والأعلى منها في حيثية الوجود، وتنال مقام الإثمار وتتصل بمحيط مترامي الأطراف يجلب لها البقاء والخلود إلى الأبد. وكما يقول **مولانا:**

إن المدار الذى تسير فيه الجمادات
فان نباته، هو مركز العشق والوداد
وبما أن الحيوان، مركز حول النبات
فان الحيوان، يلتفت إلى الانسان
وبات الانسان، يدور حول مدار العقل
والحق المطلق، والنور القاهر
والحسن المطلق ومنشأ الجميع
وبات قبلة الجميع وملاذ الجميع

قائمة وطيدة على ركن العدالة

إن الدولة الكريمة المقامة من قبل الله سـبحانه وتعالى على يد حضرة خليفة الله، ولي الله الأعظم، وكما وصفت، هي لسكن الانسان المؤمن والموهوب، بكل الخصائص والمواهب المحددة، ومليئة وزاخرة بالعدالة في آخر الزمان.

وقـال **الإمام علي أميـر المؤمنين**عليه السلام الذي كان هو المصداق الأتم للانسـان الكامل:

«بنـا فتح الأمر وبنا يختم، وبنا اسـتنقذ الله الناس فـى أول الزّمان، وبنا

١. سورة التوبة، الآية ٧٠. وسورة الذاريات، الآية ٥٦.

يكون العدل فی آخر الزّمان...»[1]

«إنّ ملكنا أعظم من ملک سليمان بن داود وسلطاننا أعظم من سلطانه...»[2]

ويؤسس حضرة خليفة الله، الدولة الكريمة على دعائم العدالة في كل المجالات والساحات والميادين؛ عندما يكون الظلم والجور قد ملآ جميع الساحات والميادين والمجالات الثقافية والمادية لخلق العالم. إن أهم استراتيجية وهدف للدولة المهدوية يتمثل في محاربة الظلم ونشر العدل.

«يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْرا»[3]

ويتبادر إلى أذهان الناس مع سماعهم مفردتي الظلم والعدل، الشؤون الحقوقية والقانونية للمراجع القضائية، أثناء وقوع النزاعات؛ بيد أن هذين المفهومين هما تبيان لمراتب الظلم والعدل في جميع الساحات والميادين الوجودية لسكان ما سوى الله، ساحات الحياة الفردية والاجتماعية والمجالات الثقافية والمادية للجن والإنس.

وعقب مرور آلاف السنين على تعاقب الثقافات والحضارات غير الإلهية والدول والمدن المقامة على يد أباطرة وسلاطين وخلفاء الظلم وتداول الحق والباطل في جميع الساحات والميادين ومجالات حياة الكائنات، حدثت نقاشات واسعة بين العلماء والمدارس الفلسفية والتفرعات المختلفة للعلوم، حول معنى العدل والظلم.

إن الله سبحانه وتعالى، عادل وحكيم وحاكم وخلق كل عالم الغيب والشهود،

---

١. **ابن طاووس، علي بن موسى**، «التشريف بالمنن في التعريف بالفتن»، قم، مؤسّسة صاحب الأمرﷺ، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ .ق.، ص ٣٢٢.

٢. **استرآبادي، علي**، «تأويل الآيات الظاهرفي فضائل العتر الطاهر»، قم، مؤ النشر الإسلامی، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .ق.، ص ١٦٩.

٣. وتشاهد هذه العبارة في الكثير من الروايات المهدوية في كتب الشيعة وأهل السنّة؛ بما في ذلك: **ابن أبی زينب، محمّد بن ابراهيم**، « للنعماني»، ص ١٨٩؛ **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدين وتمام النعمة»، ج ١، ص ٢٥٧؛ **النيشابوري، حاكم**، «المستدرك على الصحيحين»، ج ٤، ص ٦٠٠، ح ٨٦٧٠.

على أســـاس الحكمة والعدالة، وجعله يستقر في جميع العوالم والمدارات، وجعل الكائنات حسب مواهبها الذاتية، تتمتع بنعمه ولا تحكم إلا بالعدل.

«إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى»[١]

إن العدل هو وضع الشـــئ في محله، بينما الظلـــم، على النقيض منه، تناقل وتداول كل شـــئ في وضع غير حقيقي وجائر، بما يشـــمل جميع شؤون حضور الانسان في الكون.

إن غصـــب الخلافـــة من قبل الحكام والســـلاطين الفاقديـــن للأهلية والحق الإلهي، يعد أحد مصاديق الظلم وإعطاء تعاريف غير حقيقية ومزورة عن الانسان وبداية الكون وغايته.

إن الظلم ينسب إلى العتمة والضلالة والعدم، وينطوي في حد ذاته على موت وزوال النور والهداية.

إن الله تعالـــى، يفوض مهمة إزالة جميع العناصر الجائرة في علاقات وميادين ومجالات حياة البشرية لإمام بوصفه إمام العدل والعدالة ولهذا السبب فانه قائم.

إن الخليفـــة المعصوم والمنصوب من لدن حضرة الحق، هو الظهور الملموس وموقع التجلي التام لاســـم «العدل»، إذ أنه وتنفيـــذا لمهمته الإلهية، يقيم ظاهر وباطن الدولة الكريمة على العدل ويظهر ذلك في جميع الشؤون المادية والثقافية للمدينة الطيبة وعلاقات رعاياه.

«يحييها الله بعدل القائم عند ظهوره بعد موتها بجور أئمّة الضّلال.»[٢]

إن تعاقب الدول وتقلبات الحضارات والثقافات في عصر أئمة الظلم والضلال وانـــدلا ع الأزمات والمـــآزق والعلاقات، من جهة، وعدم تحقـــق العدالة والأمن والتمتـــع الذي ينشـــده طبع عباد الله، يبرهن أن تحقق هذه الضالة التي تندشـــها البشرية طيلة التاريخ، رهن وبانتظار رفع راية الإمام العادل في هيئة خليفة الله.

---

١. سورة النحل، الآية ٩٠.

٢. **ابن أبي زينب، محمّد بن ابراهيم**، «الغيبة للنعماني»، ص ٢٥.

إن سـر تزلزل وعدم اسـتقرار الدول المقامة على يد أنـاس غير علماء وغير معصومين وغير مرخصين، يعود إلى هذا الأمر: **الظلم**.

إن الكون، ليس هذا العالم المادي المشهود وسكان الأرض، ليسوا الكائنات المشـهودة والقابلة للتجربة. فثمة عوالم كثيرة، وسكان العوالم كثر، وكل هذا يؤثر على بعضه البعض ويؤدي إلى التغير والتلون. وفضلا عن ذلك، فان كائن شـرير، ألا وهو **إبليس** وأشـياعه، هم حاضرون ويراقبون ويترصدون القيام بالإغواء وبسط الظلم والفسق والفجور.

فأي حاكم قادر على معرفة جميع هذه العوالم وسكانها وطريقة التعامل وترتيب العلاقات العادلة بينها؟ وأي منهم قادر على التغلب على إبليس وأشياعه وقهرهم، وأي منهم قادر على هداية أبناء آدم في السير والسلوك المعنوي والروحاني لتجربة الفلاح الدنيوي والأخروي؟ الجواب، واضح. لا أحد!

«أيّهـا النّاس أين تذهبون وأين يراد بكـم بنا هدى الله أوّلكم وبنا يختم آخركـم فإن يكن لكم ملك معجّل فإنّ لنا ملكاً مؤجّلا وليس بعد ملكنا ملك لأنّا أهل العاقبة يقول الله عزّ وجلّ – و العاقبة للمتّقين.»[1]

وبهـذا التعريف الذي يقـدم عنه وأجـداده الكرام، بوصفهـم أئمة العدل، فانهسياسة حضرته في الحكم، تقوم على مبدأ القسمة العادلة للإمكانات والثروة.

وقال **الإمام الباقر** عليه السلام وهو يرد على سؤال حول حق الناس على الإمام:

«يقسم بينهم بالسّويّة ويعدل فی الرّعيّة...»[2]

وقد ورد في بعض فقرات الأدعية والزيارات، في مخاطبة حضرة ولي العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف:

«السَّلَامُ عَلَى رَبِيعِ الْأَنَامِ وَ نَضْرَةِ الْأَيَّام.»[3]

إن بسـط الظلم، يزيل بسـاط الربيع الحقيقي من على وجه الأرض، ويخيّم

---

١. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ٤٧١.

٢. المصدر السابق، ص ٤٠٥.

٣. **المجلسي، محمّد باقر**، «زاد المعاد – مفتاح الجنان»، بيروت، موسّسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ .ق.، ص ٥٤١.

شتاء قارس على جميع النباتات والحيوانات والجن والإنس. وعليه، تظهر الأزمات متعددة الأوجه في السماء والأرض. بيد أن بسط العدل، يؤدي إلى إعادة تأهيل الأناس روحا وجسما، وتحور الأرض وتجديد العهد والميثاق مع الإسم الحي واسم عدل الله، أي حضرة ولي العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف. ولذلك، فان الحيوية والنشاط – الناتجان عن بسط العدل – يعودان إلى الطبيعة.

وقال **الإمام الصادق** عليه السلام:

«فتستبشر الأرض بالعدل، وتعطى السّماء قطرها، والشّجر ثمرها، والأرض نباتها، وتتزيّن الأرض لأهلها.»[١]

وبسبب العدالة، ليس تتحول الصورة الخلقية والظاهرة للمخلوقات فحسب، بل الباطن والساحة الخلقية للناس أيضا. وكأن الفساد والفسق الخلقي والخلقي المنتشر في الأرض وساحات الحياة المادية والثقافية للناس، معطوف بشكل خاص على الظلم، ومع مجئ الإمام يحدث تحول في الروح أيضا. ويقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في وصف أناس ذلك العصر:

«فعند ذلك خروج المهدىّ وهو رجل من ولد هذا – وأشار بيده إلى علىّ بن أبى طالب عليه السلام – به يمحق الله الكذب ويذهب الزّمان الكلب وبه يخرج ذلّ الرّقّ من أعناقكم.»[٢]

التجديد؛ السمة البارزة للدولة المهدوية

إن إمام الزمان هو خليفة الله في الأرض، وبموجب هذا المقام، يبادر إلى تربية وتنشئة النفوس وهداية الكائنات على وجه العموم والأناس على وجه الخصوص، ويجعل كل كائن وحسب موهبته واستحقاقه الوجودي، يبلغ مرتبة الكمالات الجديرة.

---

١. **الحلّي، حسن بن سليمان**، «مختصر البصائر»، قم، مؤسّسة النشر الإسلامى، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ .ق.، ص ٤٧٣.
٢. **الطوسي، محمّد بن الحسن**، «الغيبة للطوسي»، ص ١٨٥.

ويقول إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف:

«نحن صنائع ربّنا والخلق بعد صنائعنا.»[1]

إن هذا الكلام، يؤشر في جانب منه إلى إمكانية وساطة هذه الذوات المقدسة في خلق الكائنات؛ بإذن الله وفي جانب اخر، إلى مقام تنشئة هؤلاء لسائر الكائنات.

وهذا لا يعني الشراكة في مسألة الخلق والبرء؛ وفيما يعتبر المسيحيون، **عيسى المسيح** عليه السلام بانه شريك لله وليس كائنا ومخلوقا؛ بيد أن الإمام وفي مظهر الأسماء والصفات في طول أسماء الله، يحوز أعلى مرتبة من الصفات الكمالية؛ بإذن الله وعليه، فانه **«مقلب القلوب والأبصار»** و **«محول الحال والأحوال»**.

إن العلم الكامل والإذن الكامل لحضرة خليفة الله، يتطلبان أن يكون مطلعا على أنباء المحيط ما سوى الله، وأن يكون مؤثرا في أنبائهم بطبيعة الحال. لذلك فان عجل الله تعالى فرجه الشريف يقول:

«فإنّا نحيط علما بأنبائكم ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم.»[2]

ليس عليم بأنباء وأحوال جميع عباد الله ممن يعيشون في خلافته، فردا فردا فحسب، بل أنه يقود ويوجه العالم، ويرفع باشارة الألوف من البلايا عن طريق مؤمنيه وشيعته؛ وألم يقل:

«إنّا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم ولو لا ذلک لنزل بكم اللّأواء واصطلمكم الأعداء فاتّقوا الله جلّ جلاله وظاهرونا على انتياشكم...»[3]

إن شيعة ومحبي أهل البيت عليهم السلام وسائر العباد، تشملهم رعايتهم الخاصة

---

١. **الطوسي، محمّد بن الحسن**، « للطوسي»، ص ٢٨٥؛ **الطبرسي، أحمد بن علي**، «الإحتجاج على أهل اللّجاج»، ج ٢، ص ٤٦٧.

٢. **قطب الدين الراوندي، سعيد**، «الخرائج والجرائح»، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .ق.، ج ٢، ص ٩٠٢؛ **الطبرسي، أحمد بن علي**، «الإحتجاج على أهل اللجاج»، ج ٢، ص ٤٩٧.

٣. **الطبرسي، أحمد بن علي**، «الإحتجاج على أهل اللجاج»، ج ٢، ص ٤٩٧.

ويبلغون الينابيع الرئيسية للنعمة والرحمة شريطة التقوى والتسليم بأوامرهم ونواهيهم.

«فاتّقوا الله وسـلّموا لنـا وردّوا الأمر إلينا فعلينا الإصـدار كما كان منّا الإيراد ولا تحاولوا كشـف ما غطّى عنكم ولا تميلوا عن اليمين وتعدلوا إلى الشّمال واجعلوا قصدكم إلينا بالمودّة على السّنّة الواضحة.»[١]

وهذا الكلام، ينص على ضرورة تنظيم جميع البوصلات والإتجاهات في الجزء والكل، صوب ولي الله الأعظمعجل‌الله‌فرجه، وبما أنه، هو صراط الله وسبيل الله وباب الله، فانه يأخذ بيد مرافقيه وأنصاره إلى ينابيع الرحمة الالهية، ويملأ جسـمهم وروحهم بالغذاء النوارني والسعادة الدنيوية والاخروية.

ويسري هذا الأمر في عصر الغيبة، على كل من يسير في هذا الإتجاه، ويصبح الأمر عامـا في زمن الظهور، لذلك قيل انه في عصر الظهور، ليس تظهر الأرض جميع مواهبها وكنوزها فحسـب، بل وبمقتضى ظروف ذلك العصر، ينال سكان الدولة الكريمة، كمال ومنتهى النعمة والتمتع. وقال **الإمام محمد الباقر**عليه‌السلام:

«إنّه لو قد كان ذلك أعطى الرّجل منكم قوّة أربعين رجلا...»[٢]

ويشمل ذلك زيادة قدرات الجسم والروح والظاهر والباطن.

«وجعلت قلوبكم كزبر الحديد لو قذف بها الجبال لقلعتها.»[٣]

وعن جابر عن أبي جعفرعليه‌السلام قال:

«إنّ الله عـزّ وجلّ يلقى فى قلوب شـيعتنا الرّعب فـإذا قام قائمنا وظهر مهديّنا كان الرّجل أجرأ من ليث وأمضى من سنان.»[٤]

إن اسـتنتاج المؤلف من هذه الروايات، والتحول فـي أحوال المؤمنين، بعد واقعة الظهور الشـريفة، يتمثل في أن المؤمنين يسـلكون تحـت الولاية التصرفية والتكوينيـة للإمام المهديعجل‌الله‌فرجه، المراتب التوحيديـة، ويحوزون مراتب من الولاية

---

١. **الطوسي، محمّد بن الحسن**، «الغيبة للطوسي»، ص ٢٨٦.
٢. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ٨، ص ٢٩٤.
٣. المصدر السابق، ص ٢٩٤.
٤. **الاربلي، علي بن عيسى**، «كشف الغمة فى معرفة الائمّةعليهم‌السلام»، ج ٢، ص ١٣٣.

التكوينية والتصرفية.

وفي عصر الغيبة، كان بعض أولياء الله يملكون في السير والسلوك وسلوك المراتب المعرفية، مدارج ومقامات من الولاية التكوينية – بمقتضى وجهوزية وجودهم بإذن الله وإذن الإمام المعصوم عليه السلام.

وبما أن الكمالات المطلقة وغير المتناهية لله، أي الصفات الجمالية من قبيل العلم والقدرة والحياة والإرادة، حاضرة بشكل تام وأتم عند الإمام المعصوم والمنصوب من ذرية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فان قام انسان في ظل سلوك طريق طاعته، بالسير في مسار الكمالات المعنوية وسلوك الطريق، فانه يصبح صاحب الكمالات الوجودية، ويتحصل بإذن الله على مراتب من العلم والقدرة والإرادة.

إن حديث «قرب النوافل» يشير إلى هذا المعنى. وفي هذا الحديث القدسي، يخاطب الله تعالى، النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

عن **أبان بن تغلب** عن **أبى جعفر** عليه السلام فى حديث:

«إنّ الله جلّ جلاله قال:

«وما يتقرّب إلىّ عبد من عبادى بشىء أحبّ إلىّ ممّا افترضت عليه وإنّه ليتقرّب إلىّ بالنّافلة حتّى أحبّه فإذا أحببته كنت إذا سمعه الّذى يسمع به وبصره الّذى يبصر به ولسانه الّذى ينطق به ويده الّتى يبطش بها إن دعانى أجبته وإن سألنى أعطيته.»[1]

إن أحد آثار كمال النفس، هو التصرف في عالم الطبيعة. بعبارة أخرى، فان العالم المادي والطبيعي، يصبح مطيعا وتحت أمر الانسان، ويؤدي إلى الأعمال الخارقة والكرامات.

إن قدرة وكرامات الأنبياء والأولياء، هي من هذا النمط، وحصيلة كمالاتهم النفسانية.

---

١. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ٢، ص ٣٥٢؛ **الحر العاملي، محمّد بن حسن**، «وسائل الشّيعة»، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .ق.، ج ٤، ص ٧٢.

وفي حديث بسند معتبر عن **الإمام الصادق**عليه السلام قال:

«إنّ قائمنا إذا قام مدّ الله عزّ وجلّ لشيعتنا فى أسماعهم وأبصارهم حتّى لا يكون بينهم وبين القائم بريد يكلّمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو فى مكانه.»[١]

وفي حديث آخر، قال الإمام الصادقعليه السلام:

ابن مسكان قال سمعت أبا عبد اللهعليه السلام **يقول: «إنّ المؤمن فى زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الّذى فى المغرب وكذا الّذى فى المغرب يرى أخاه الّذى فى المشرق.»**[٢]

وعلى النقيض مما يتخيله البعض من منطلق السذاجة من أن زيادة هذه القدرة تقع في التكنولوجيا، بما في ذلك الهواتف الجوالة والأقمار الصناعية، فان من المستبعد والمشين بالنسبة للإمامعليه السلام الواجد للولاية التصرفية بنحو تام، وشيعته ممن أحرزوا مراتب من تلك الولاية، أن يستخدموا مكاسب ومنجزات التكنولوجيا التي هي بصفة عامة نتاج العلم التجريبي للمشركين والمنكرين؛ بل أن كل هذا، مؤشر على الارتقاء الروحي للمؤمنين وطي المراتب الولائية الخاصة والذي يحصل في زمن الظهور. وحتى أن أبصارهم تكون قادرة على إبصار ورؤية كائنات مثل الجن والملائك، وأن المكلفين وقضاة الإمام، يشاهدون أحكامهم بام أعينهم، في كف اليد.

عن **أبى الحسن الرّضا**عليه السلام قال:

«إذا قام القائم، يأمر الله الملائكة بالسّلام على المؤمنين، والجلوس معهم فى مجالسهم، فإذا أراد واحد حاجة أرسل القائم من بعض الملائكة أن يحمله، فيحمله الملك حتّى يأتى القائم، فيقضى حاجته، ثمّ يردّه. ومن المؤمنين من يسير فى السّحاب، ومنهم من يطير مع الملائكة، ومنهم من

١. **الكلينى، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ٨، ص ٢٤١.
٢. **المجلسي، محمّد باقر**، «بحار الأنوار»، ج ٥٢، ص ٣٩١.

يمشـــى مع الملائكة مشيا، ومنهم من يسبق الملائكة، ومنهم من تتحاكم الملائكـــة إليه؛ والمؤمنون أكرم على الله من الملائكة؛ ومنهم من يصيّره القائم قاضيا بين مائة ألف من الملائكة.»[١]

وأليـــس هذا كله، هو زيـــادة المراتب الكمالية وطي مـــدارج الولاية التكوينية والتصرفية والذي يحصل للمؤمنين في ذلك العصر؟

١. **الطبري آملي الصغير، محمّد بن جرير**، «دلائل الإما، قم، بعثت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ .ق.، ص ٤٥٤.

الغائية والصيرورة في الفكر الديني

إن الصيرورة تعني في اللغة، التحول والانتقال من حال إلى حال.

وفي نظام الخلق، فان أي كائن لم يُخلق عبثا؛ إذ يقول الله سبحانه وتعالى:

«أَ فَحَسِبْتُمْ أَنّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ أَنّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ»[1]

نقل **جعفر بن محمّد بن عمارة** عن أبيه قال:

سألت **الصّادق جعفر بن محمّد**عليه السلام فقلت له: **لم خلق الله الخلق؟** فقالعليه السلام:

«إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثا ولم يتركهم سدى بل خلقهم لإظهار قدرته وليكلّفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرّة بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد.»[2]

وفي رواية أخرى عن **مسعدة بن زياد** قال:

قال رجل لجعفر بن محمّد: يا أبا عبد الله إنّا خلقنا للعجب؟ قالعليه السلام

«وما ذاك لله أنت؟»

قال: خلقنا للفناء؟ فقالعليه السلام

«مه يا ابن أخ خلقنا للبقاء وكيف تفنى جنّة لا تبيد ونار لا تخمد ولكن

---

١. سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

٢. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «علل الشرائع»، ج ١، ص ٩.

قل إنّما نتحرّك من دار إلى دار.»[١]

ويبـــدو جليا أن الرجعة إلى الله المتعـــال «**إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُون**»[٢] وتجربة جنة الخلد التي هي عين الطهر والكمال المادي والمعنوي، لا يتحققان من دون اكتســـاب الكمالات اللازمة طيلة الحياة على الأرض؛ وعليه فان أي كائن عاقل ومخير (الجـــنّ والإنس) لا بد له من نيل هذه الكمالات والارتقاء من المقامات الدنيا إلى المقامات والمنازل العليا.

إن هذا الارتقاء والرفعة، يؤشـــران إلى التحول والتغير في العالم الباطن قبل أن يؤشران إلى الرقي والتغير في الصورة الظاهرة للحياة الآدمية.

إن النظرة إلى الآخرة، والتفكير بالمعاد، يعد واحدا من أهم المفاهيم في الفكر الدينـــي والنظرة العالمية الإلهية. وفـــي هذه الرؤية، فان الموت ليس نهاية الطريق؛ بل بداية الحياة الأصيلة، ومنذ أن تطأ قدما الانسان وادي التفكير بالموت ومعرفة الموت، فانه يبدأ الحياة الانســـانية والحقيقية. وبالأحرى، فان الانســـان في هذا الحقل النظري، قد خلق من أجل الموت، وطبعا الموت لا يعني هنا الفناء والعدم.

إن التفكير بالموت، هو صاعقة تكسر الغفلة وتؤدي إلى أن يسترشد الانسان بها للخروج من قشرة الدنيا والانتقال إلى لبها، أي الحياة الخالدة والأبدية.

إن من غرقوا في الحياة في هذا العالم (العالم الفاني)، يعتبرون الموت، رديفا للفناء والعدم، ويتهربون منه؛ بينما مدرسة الأديان التوحيدية، ترى أن الآدمي يتعلم أنه يجب أن يضـــع قدميه منذ اللحظة الأولى من الولادة، في جادة الموت، وأنه فـــي كل لحظة في حالة الموت والرحيل إلى العالم الباقي. العالم الباقي الذي هو فـــي مقابل العالم الفاني، ينطوي على كافة عناصـــر الوجود والبقاء الدائم وانعدام الموت والزوال.

وقد تناول الشـــاعر **مولانا**، في الدفتر الســـادس من «المثنوي المعنوي» هذا

---

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «علل الشرائع»، ج ١، ص ١١.
٢. سورة البقرة، الآية ١٥٦.

المعنى جيدا ويقول:

لقد صدق القول أمير البشر
بان كل من مر على هذه الدنيا
لا يحمل ألم وحسرة وغبن الموت
بل ثمة مائة حسرة للقوة
لم لم أجعل الموت قبلة
ومخزنا لكل دولة وأى ورقة
لقد اتخذت القبلة خطأ طيلة العمر بسبب الحَوَل
تلک الأوهام التى ضاعت فى الأجل
ولم يک تحسر هؤلاء الموتى من الموت
بل لاننا توقفنا داخل تلک الأدوار والنقوش

إن الركـــود والتوقـــف في ميدان الثقافة والمعـــارف التوحيدية، لا معنى له. إن مجمل الكائنات من سكان عالم ما سوى الله (عالم الإمكان)، هم في حالة سير وســـفر طويل إلى الآخر بما يتناسب مع وســـعة وجودهم، أي **الفناء في اللّه**. وما يؤتى في هذا المجال على ذكر **الغاية**، هو الحركة الهادفة للكائنات صوب الوجهة المحددة التي تم تعريفها.

وعندما يجري الحديث عن الغاية والوجهة، فان هذا ينطوي في حد ذاته على كل معنى **الحركة والسير** وبالتالي النقطة النهائية والوصول.

إن موضوع **الموت والمعاد والجنة والجحيم وإرســـال الرســـل وحتى المهدوية وفكرة الموعود**، والذي يتحدث عن النهاية والصيرورة وتجربة الحياة الطيبة بعد العيش في هذا العالم، يمكن تحديده نسبة إلى الغائية؛ بحيث يقول الله تعالى:

«هُوَ الَّذى أَرْسَـــلَ رَسُـــولَهُ بِالْهُدى وَ دينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون»[1]

---

۱. سورة التوبة، الآية ۳۳.

ويُستشف من هذه الآية وسائر الآيات المماثلة بان الجميع في حالة سير وسفر نحو غاية جلية؛ بل على الرغم من مطلب المشركين والمنكرين، فان دين الحق سيظهر للجميع في فصل خاص من الحياة على الأرض، وسيكون ثمة عالم ملئ بالطهر، أمام البشرية.

وهذا الأمر هو حقيقة مقدرة وسنة ثابتة لا تتغير، من أن الأرض وبعد التداول المستمر، سيرثنا الصالحون في نهاية المطاف:

«وَلَقَدْ كَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصَّالِحُون»[١]

وقد اعتبر الله سبحانه وتعالى جعل الأرض بيد الصالحين والمستضعفين بانه «إرادته الخاصة» حيث يقول:

«ونُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِین»[٢]

وهذه الأمر يتناسب بالتمام والكمال مع فطرة البحث عن الكمال لدى الانسان. وبالأحرى، فان الانسان خلق على هذا المدار والمنهج، وهو يسير في خارج ظرف الزمان والمكان، دائما للذهاب والبحث ويطلب دائما الموت والحيوات المتتالية، إلى أن يخلع عنه لباس الحياة في هذا العالم، ويرتدي لباس الحياة الخالدة.

إن مهمة الأنبياء الإلهيين والكتب السماوية تتمثل في ردع ومراقبة وهداية هذا الكائن لكي لا يغرق في خضم الحياة الدنيوية وتقلباتها في الهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية ويضيع الوجهة والغاية، ويخسر كل ما وهبه الله إياه.

ويأتي الكلام الوحياني لله المتعال عن هذا التحول والتغير بعنوان «الصيرورة».

وأن تم انتزاع النزعة للحركة والتغير الذاتي التي جبل الانسان عليها، فانه سيموت في ركود وانفعال تامين.

---

١. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

٢. سورة القصص، الآية ٥.

إن تعاقب وتداول الثقافات والحضـــارات وباطن جميع الحروب والصراعات وروح جميـــع الأعمال الفنية والعاطفية وروح جميع عبادات العُباد والزهاد وســـير وسلوك العارفين، يعود إلى هذا الأمر الذاتي.

بعبـــارة أخرى، فان الانســـان أكان يـــدري أم لا يدري، ومـــن منطلق الرغبة الباطنية، يبحث عن وضع أفضل وكمال أســـمى، لكنه قد يخطأ المسار تارة على إثر الجهل أو الوساوس الشيطانية، ويسير على الطريق الخطأ الذي لا يوصله إلى الغاية المرجوة.

إن مـــن يســـير إلى الله، ينال لقـــاء الله الرحمن الرحيم، ومـــن يدير ظهره فی حركة معاكســـة، على الحق، فانه ينال فی مســـار معكوس لقاء «أشد المعاقبين.[1]

وعلـــى أي حـــال، فان الصيرورة هي تغير تدريجي ينالـــه كائن في ظل العناية والإرشـــاد الربانيين، وينهض مرتبة بمرتبة. وبالنسبة للصيرورة، ذكر لها أيضا معنى الإنتقال من حال إلى حال:

التَنقل من حال إلى حال.[2]

ويكمن كل معنى التحول والتغير في مفردة الصيرورة.

وفي دعاء نهاية الســـنة والانتقال إلى السنة الجديدة، يسأل المؤمنون، الباري عـــز وجل، التحول في حالهم وينشـــدونه تحويل الحال إلـــى أحس الحال حين يقولون:

«يَـــا مُقَلِّـــبَ الْقُلُوبِ وَ الْأَبْصَارِ يَا مُدَبِّرَ اللَّيْلِ وَ النَّهَـــارِ يَا مُحَوِّلَ الْحَوْلِ وَ الْأَحْوَالِ حَوِّلْ حَالَنَا إِلَى أَحْسَنِ الْحَالِ»

ويعتبر المؤمنون، الله تعالى، بانه محول الســـنة والطبيعة وحالات الانســـان، ويرون أن أمر التحول هو شأن خاص بالله المتعال. وعليه، فهم يسألونه أن يحول

---

١. **جوادي آملي، عبدالله**، «صورة وسيرة الإنسان في القرآن»، أسوه للنشر، ص ١٠٠.
٢. **راغب إصفهاني، حسين بن محمّد**، «مفردات ألفاظ القرآن»، ص ٤٩٩.

حالهم إلى أحسن الحال.

إن أحسن الحال بالنسبة للجنّ والإنس، هو الوصول إلى المراتب الكمالية العليا، حسب السعة الوجودية.

إن جميع الكائنات، تطلب من دون أن تظهر، هذا التحول وطي المراتب حتى بلوغ أعلاها، وأن الله تعالى، يمهد السبيل والطريق للتحول والصيرورة ويوفر أسبابهما.

إن الكائنات السفلى وعديمة الإرادة، كالنباتات والحيوانات، تجرب هذه الصيرورة عن طريق الجذب والانصهار في الكائنات الأعلى منها، قبل أن تُباد وتزول.

وتجرب النباتات، المرتبة الأعلى من خلال الانصهار داخل جسم كائن أعلى منها أي الحيوانات، والحيوانات من خلال الجذب والانصهار في الجسد الانساني.

وبالأحرى، ومثلما أن الوصول إلى المقام النباتي، هو أمنية الجمادات ونيل المقام الحيواني، أمنية النباتات، فان بلوغ المقام الآدمي والبشري، هو مطلب وأمنية جميع الحيوانات (تكوينا) ومحجتهم، وأن الانسان، وبعد سلوك جميع المراتب وفي صيرورة تامة، حين يبلغ المقام الانساني السامي، يكون قد أتم سيره وينال كماله حسب وسعة وجوده.

ولذلك نرى أن مقام الانسان الكامل، عُرّف في ولي الله الأعظم(عليه السلام) وقطب وقبلة عالم الإمكان. وفي الحقيقة، فان الانسان الكامل هو ضالة الانسان الناقص وطالب الكمال، وأن طلب الكمال هذا، لا يتعلق بالجسد الحيواني، بل بالروح السامية المستقرة في الجسد الآدمي.

وحسبما يقول **مولانا** في «المثنوي المعنوي»، فان سير وسفر الانسان يبدآن في الدرجة السفلى من الجماد ويستمران حتى **لقاء اللّه والفناء في اللّه**.

مت من الجماد وتحولت إلى اسم

ومت من الاسم والظاهر وتحولت إلى حيوان
ومت من الحيوان وأصبحت آدميا
إذن لم أخش النقصان إن مت
وحملة أخرى، سأموت كبشر
لكي أصبح من الملائك
ويجب أن أبحث وارتقى من موقع الملك
كلّ شيء هالك الّا وجهه
وأصبح ضحية مرة أخرى للملائك
وأصبح ما لم يبدر في الوهم
لذلك أصبح من العدم كالأرجوان
وأقول إنا إليه راجعون

وبئســا للانسان الذي يسلك مسارا عكســيا، فيسير في الدركات عوضا عن طي مدارج ومنازل الصيرورة الســامية، ويتنزل من المقام الانساني بحيث يقال في وصفه:

«وَلَقَدْ ذَرَأْنا لجَهَنَّمَ كَثيراً منَ الْجنِّ وَالْإِنْس لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْـمَعُونَ بِها أُولئِکَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِکَ هُمُ الْغافِلُون»[1]

١. سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

تجربة مقام الإثمار؛ مقام المعرفة للإنسان

إن **مقـام الإثمـار**، هو مقام الظهـور وتفعيل جميع المواهـب الكامنة في الكائن والمخلوق.

وردا على هذا السؤال وهو لِمَ يجب الحديث عن إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؟ أو أنه لماذا جرى الحديث بين الملل والنحل طيلة تاريخ حياة البشرية على الأرض عن الموعود المنتظـر؟ فانه يمكن خوض الموضوع من الأبعاد الثقافية والاجتماعية والنفسـية المختلفة، والمبادرة إلى تبيان وتفسير هذه الواقعة؛ بيد أن النقطة المهمة في طرح هذه الأسـئلة والأجوبة، تكمن في إحالتها إلى **طبيعة وفطرة** جنس البشـر. بعبارة أخرى، بما أن الانتظار هو بشـكل عام توأم لحياة الانسـان ووجوده، وأن انتظار تجربة الكمال عبر مسـار الانسـان الكامل، كامن في وجوده، فاننا وخلال تبيان هذا الموضوع، نواجه أمرا إلهيا يعود إلى نشـأة الروح المنادية بالسمو والشموخ؛ عطيـة إلهية مجردة ونازلة من الله سـبحانه وتعالى على أديم الأرض وفي الهيكل الجسدي للانسان.

وفـي الصورة الظاهرية للحياة، فان ابن آدم، تطأ قدماه الأرض منتظرا؛ ويعيش منتظـرا وينتقل إلى العالم الباقي في حالة انتظـار؛ حتى وإن لم يملك أي درجة مـن الوعي والعلم حول معنى ومفهوم الانتظار. وهذا هو مطلب روحه التي تناديه وتدعوه إلى ساعة أخرى ويوم آخر.

وطيلة التاريخ، دأب الفلاسفة والمتكلمون وسائر المفكرين، دائما على البحث عن **حقيقة** عن الانسان، تشير إلى النفس والروح المجردة عن المادة واعتبرت الانسان بانه قائم بها؛ أمر قدسي يوجد الصفات النبيلة والميلان الذاتي للانسان نحو الجمال والعبادة والكمال و...

إن الأيتين الكريمتين:

«وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ»[١]

و:

«لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فی أَحْسَنِ تَقْويم»[٢]

تشيران إلى كرامة الانسان وموهبته الذاتية؛ تلك التي تستثنيه عن سائر الكائنات المقيمة في عالم الإمكان، وأودعت البذرة النامية والخصبة لمقام خليفة الله، في صميم روحه.

ويقول الله تعالى في القرآن الكريم:

«أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئا»[٣]

وبالأحرى، فانه سبحانه وتعالى يريد أن يقول:

يا أيها الانسان! إنك تولد من بطن أمك وأنت في موهبتك، وتنطلق حسب تلك المواهب والقوة الذاتية، لكي تتحول جملة مواهبك إلى الفعل.

إن الكرامة التي وهبها الله المتعال للانسان، أكانت من حيث الهيكلية الجسدية أو من حيث البنية الوجودية، تهب له إمكانية وموهبة تجعله متفوقا على سائر الكائنات.

إن تكريم الانسان بواسطة امتلاك العقل، خير من العديد من المواهب والنعم، يؤازر الانسان ويرفده في تمييز الصلاح عن الفساد والحق عن الباطل والخير عن الشر وبالتالي الحسن عن القبح، لكي يسلك في الطريق الطويل للحياة، كل

١. سورة الإسراء، الآية ٧.
٢. سورة التين، الآية ٩٥.
٣. سورة النحل، الآية ١٦.

درجات وسلالم السعادة وينال المدارج الكمالية العليا. وعليه، يتحصل السير الإكمالي الظاهري والباطني ويصبح الآدمي حائزا على كمال وجمال مقام خليفة الله.

وتبيانا لتكريم وإعزاز أبناء آدم، قال **الإمام محمد الباقر**عليه السلام:

«إنّ الله لا يكرّم روح الكافر، ولكن كرّم أرواح المؤمنين.»[١]

وجلي بان هذه الكرامة والعزة، موجهة نحو مقام انسانية الانسان وحقيقته؛ وإلا فان العالم الملكي والمصالح الموجودة في عالم المادة، ومهما بلغت من القيمة، لا ينطبق عليها خطاب الكرامة والعزة لبارئ الكون والوجود؛ مثلما أن قوة الدفع والمسبب لتحريك مواهب الانسان وازدهارها، هي حصيلة النفس والذات الطالبة للكمال وغير القابلة للركود والتوقف لدى الانسان قبل أن تكون ناتجة عن المصالح المادية المكونة لجسم الانسان.

إن أسمى سند لهذا الإدعاء، هو الآية المباركة لسورة «الحجر"؛ حيث قال سبحانه وتعالى حول درة تاج الخلق:

«فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيه مِنْ رُوحی فَقَعُوا لَهُ ساجِدين»[٢]

وقال **الإمام الخميني**رحمه الله الراحل في وصف الانسان:

إن الانسان هو كائن خلقه الله تبارک وتعالى إلى الأن، لان جميع السمات الموجودة فی العالم، موجودة لدى الانسان. لكن بصورة كامنة. على هيئة موهبة وهذه المواهب يجب أن تتحول إلى الفعل. وأن تتحقق على أرض الواقع. لذلک فان وجود الانسان، هو خلاصة العالم بأكمله ومجمل الكائنات...[٣]

---

١. **القمي مشهدي، محمّد بن محمّدرضا**، «تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب»، طهران، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ .ش.، ج ٧، ص ٤٥١.)

٢. سورة الحجر، الآية ٢٩؛ سورة ص، الآية ٧٩.

٣. **الموسوي الخميني، روح اللّه**، «معرفة الانسان في فكر الإمام الخميني»، طهران، مؤسّسة تنظيم ونشر أعمال الإمام الخمينيرحمه الله، ١٣٨٦هـ .ش.، ١٣٥٩/١٢/٧.

إن هـذه الطاقة التـي لا حدود لها، جعلت رغبة وطلبا يسـتوليان على روح الانسـان، بحيث أنه يطلب غاية وأعلى مرتبة من كل أمر ينشده. ومن هنا، يعتبر طلـب الكمال، بمنزلة طلب روح وذات وجود الانسـان. وإن سـائر الكائنات، محصورة في دائرة مغلقة ومحدودة وهي تسير وتسافر حسب حب الذات والإلهام الغريزي؛ بيد أن الانسـان يتجه صوب الكمالات في ظل العقل والاختيار وطلب الروح، ويواصل سيره وسفره في هذا الطريق المحفوف بالمخاطر؛ شريطة ألا تعمل زخارف الدنيا والنفس الأمارة – بواسطة الشيطان– على قرصنة العقل والقلب.

ولهذا السـير، لا يوجد حد للتوقف؛ لانه في فجر الخلق، خاطب بارئ هذا الانسان، الحضور وسكان عالم الملكوت وقال:

«**إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلیفَة**»[1]

إن **الجعل**، هو وضع جميع طاقات صيرورة جميع الكائنات، بصفة عامة ولدى الانسـان بصفة خاصـة. الأمر الذي لم تقدر الملائكة علـى فهمه. إن التحقق الملموس والخارجي لهذا الخليفة ومن ثم برء الانسان، يحصل مع هبوط الانسان وسـيره وسفره الطويلين في الأرض لا في البداهة وفي لحظة الولادة في حضرة الله المتعال.

وعلى النقيض من رؤية بعض الفلاسـفة ممن عرفوا الانسان بأنه حيوان ناطق، أي أنهـم يعتبرون المقدرة على النطق، السـمة التي تميز الانسـان عن الحيوان (الحيـوان الذي يتكلم وبالأحرى، يدرك العموميات)، فان الحكماء المسـلمين واسـتنادا إلى الكلام الوحياني (القرآن وأهل البيت(عليهم السلام))، عرفوا الانسـان على أنه **حي متأله**. إن هذا التعريف، تم تبيانه بشـكل خاص في أعمال ومؤلفات الحكيم المتميز **جوادي أملي**:

بما أن القرآن، لا يعتبر المشـرک والكافر، انسـانا كاملا، وما عدا الحياة النباتية والحيوانية والانسانية المصطلحة فی تعريف الانسان بـ«الحيوان

١. سورة البقرة، الآية ٣٠.

الناطـق»، فان ثمة حاجة لفصل الفصول آخـر، لكى يعتبر فرد من وجهة نظر القرآن «انسـانا»، ووفقا للقرآن، فان الحد النهائى للانسان هو الحى المتأله.

إن نوعية الانسـان بناء على هذا التعريف، هو الحـى الذى يجمع الحياة النباتية والحيوانية والانسانية المصطلح الذى يملك النطق ويمكن القول أنه يساوى الحيوان الناطق.[١]

إن مـا يميـز الحى عن الحيـوان، هو بقائه وفنائه؛ أى أن روح الانسـان التى تكون «بعده الرئيسى» حية، مثل الملائكة الذين لا يموتون إطلاقا، ولا يخرجـون من مـدار الوجود؛ رغم أن جسـم الانسـان الذى يكون «بعـده الفرعى»، يـزول ويفنى، وهذه الصفة، تمثل الفارق بين الانسـان والملائكة.[٢]

إن فصل هذا التعريف الذى هو الفصل الأخير لحد الانسان، هو التأله. أى السير نحو الله والمسبوق بالتوحيد والانصهار فى ألوهيته.[٣]

وهذه النظرية تشـير إلى الحقيقة الوجودية للانسـان؛ وقد أشـار الله سبحانه وتعالى في الآية ٢٩ من «سورة الحجر» إلى ذلك:

«**ونَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحى...**»

وتفتح هذه الحقيقة الوجودية، بابا أمام الانسان ليمضي من خلالها قدما إلى أعلى المراتب المعرفية والتوحيدية ويصبح جاهزا لدرك وتجربة أسـمى المراتب من الصفات الكمالية.

إن الرغبـة والميل للوصـول إلى الغد، يمثلان أبسـط رد على الميل الفطري للانتظار الذي نشهد مصاديقه المختلفة بين أبناء البشر. إن الرغبة والتمني للتخرج

---

١. **جوادي آملي، عبدالله**، «تفسير الإنسان بالإنسان»، تنظيم ودراسة **محمّد حسين الهي زاده**، قم، الاسراء، ص ١٥٠.
٢. **جوادي آملي، عبدالله**، «الحياة الحقيقية للانسـان في القرآن الكريم»، تنظيم وبحث غلام علي أمين، اسـراء للنشر، الطبعة الثالثة، صص ١٥-١٦.
٣. **جوادي آملي، عبدالله**، «التفسير الإنسان بالإنسان»، ص ١٥٠.

وامتــلاك منزل وامتــلاك مهنة وتذليل العقبات التي تعتــرض تحقيق النصر والفوز والنجاح و...، ونيل أي من التمنيات والأمنيات، وقبلها، فان ثمة أملا منشــودا، نما وتبلور في ذهن الانســان وقلبه، ويدعوه لغد آخر. الواحد تلو الاخر وإلى ما لا نهاية.

النزعة للخلود والبقاء إلى الأبد

وتــم تقدير نقطة كمالية خاصة ومحددة لكل كائن ومخلوق، ينالها شــريطة توافر الظروف اللازمة لذلك.

وهذه النقطة الكمالية، ثابت وقابلة للتشــخيص بالنسبة لسكان جميع العوالم الجمادية والنباتية والحيوانية والانسانية. إن محجة الجمادات، هي حدها الكمالي والحيــاة النباتية هي غاية كمالها؛ بحيث أن الحياة الحيوانية تمثل كمال النبات، وقبلة وغاية كمالها، كما أن القبلة والمسار الكمالي للحيوان، يفضيان إلى الحياة البشرية؛ الانسان المألوف.

وثمة نقطة كمالية محددة لكل فئة، في أي ساحة وحقل، يستقر فيها في ظل توافر الظروف، ويمر بمقام إثماره.

وتجــرب النباتــات كمالها في العالم النباتي، وتواصل ســير إكمالها في ظل الهضم والجذب في جســم كائن حيواني. وعندما تبلغ الحيوانات، مقام إثمارها، تكــون قد ازدهــرت كل مواهبها الكامنة بباطنها وتصبح قــادرة على الاضطلاع بدورها الخاص على وجه البسيطة والوجود.

ولم يُخلق أي كائن ومخلوق عبثا، وأن جهلنا بمهمة ودور النباتات والحيوانات على وجه الأرض، لا يشــكل سببا لفقدان عامة الكائنات على وجه الأرض لدور تضطلع به.

وأما بالنســبة للإنســان المألوف والمعتاد، فان القبلة، هي الانسان الكامل. إن تجربــة الانســان الكامل هي حرص النفس وضالــة الآدمي، وأن الآدمي ومن

دون أن يـدري، ينزع ويرغب في نيل الوصال بالانسـان الكامـل. إن الكائنات الفاقدة للإحساس، تتجه تكوينا، نحو القبلة المقابلة لها، وبالأحرى، فانها تخضع لتصرف واسـتيلاء القبلة المقابلة لها، وبالتالـي، فان جملة الكائنات، تصبح في تسخير الانسان؛ بحيث يقول الله سبحانه وتعالى:

«وَسَـخَّرَ لَكُمْ ما فِی السَّـماواتِ وَما فِی الْأَرْضِ جَمیعاً مِنْهُ إِنَّ فی ذلِکَ لَآیات لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُون»[1]

ويدعو اللَّه تعالى، العباد إلى الملاحظة والاهتمام بهذه الآية:

«أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَـخَّرَ لَكُمْ ما فِی السَّـماواتِ وَما فِی الْأَرْضِ وَأَسْـبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً»[2]

إن **السر المستتر** لكل هذا الذهاب والمجئ، يعود إلى النزعة والرغبة الفطريتين للبقاء والخلود بشكل دائم؛ محاولة لصد الموت والفناء.

إن الإنسـان، يسقط كقطرة على سطح البحر، ويجعل في ضوء هذا التواصل والترابـط، الخلـود والبقاء من نصيبه، ويصل في سـاحة الانسـان الكامل، إلى السكينة والخلود.

إن الـروح المجردة المنبثقة من حقل قصب الوجود،هي كالطائر الذي يخفق جناحيه ويدعو الانسان إلى المنزل الدائم والخلود الدائم.

إن هذه النزعة إلى البقاء لدى الانسـان، تظهر نفسها في المراتب الدنيا، في الزواج والتناسل وتخليق الأعمال الفنية ومواجهة المرض والوهن والفتور وحتى كتابة ذكرى على ساق شجرة وجدار.

وكأن الجميع يريد، قبل تجربة الموت الذي لا بد منه، ترك أثر وشـئ واسـم وعلامة عنه.

وأي انسان تراجع، في أي مكان في العالم، وفي أي موقع زماني ومكاني وفي

---

١. سورة الجاثية، الآية ١٣.
٢. سورة لقمان، آية ٢٠.

أي منزلة اجتماعية، تجد لديه نزعة واضحة وجلية للبقاء والخلود إلى الأبد، وصدّ ودحر كل ما يمحو اسمه عن وجه الأرض.

وبالنسبة للإنسان، فان الإتصال بالانسان الكامل، يمثل أسمى وأزكى أمنية كامنة في نفسه.

الإنسان ومقام الإثمار

إن نواة وجود الانسان وروحه الطالبة للكمال، تثمر في ضوء العمل الصالح وريها بمياه الإيمان وتنال مقام الإثمار. إن مقام الإثمار، هو مقام آخر مرحلة من كمال أي كائن ومخلوق.

إن النباتات والحيوانات، وبعد تجاوز مراتب النمو، تتحول إلى ثمر؛ في أجمل صورة، أودع الله سبحانه وتعالى، الموهبة اللازمة في نواة وجودها.

وإن تخلف نبات وحيوان، عن السير والحركة لأي سبب كان، ويتلف، فانه يسقط ويدعى ساقط وتالف، أي أنه بقي فجا وغير ناضج، فاقد للون والرائحة والطعم وسائر الصفات الكامنة في نواته الأولية. وفي المقابل، فإن هضم وانصهر أي نبات وحيوان، في المرتبة العليا للكمال الظاهري، في جسم كائن أسمى وأعلى، فان سيره وسفره يستمران عبر مسار كائن أعلى؛ وكما أسلفنا، فان الجمادات تظهر في النباتات، والنباتات في الحيوانات، وجميع الجمادات والنباتات والحيوانات، في الانسان، وبعد أن تهضم وتنصهر في الجسم الانساني، تسير في مسار الإكمال والمقام الأرفع.

إن الآية الكريمة:

«أُولئِکَ کَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَل»[1]

خطاب يوجهه الله تعالى للفئة التي رغم امتلاكها الصورة الانسانية الظاهرة، قد سقطت ونفقت في مقام الحيوان، وتخلفت عن السير والسفر الكمالي ونيل

١. سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

مقام الإثمار.

إن مقام الإثمار بالنسبة للإنسان، هو نيل الصفات الكمالية؛ ذلك الذي ميزه بواسطة الروح الإلهية والإكرام الرباني، عن جميع الكائنات سوى الله وعالم الإمكان.

ولذلك نقول، إن ضخامة جسم الإنسان وزخرفة أعضائه وجوارحه، لا يؤشر إلى نيله هذا المقام الانساني النبيل.

وحسبما يقول القرآن الكريم:

«وَلكنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتنا»[1]

إن النواة الوجودية، تتفتق تدريجيا، على إثر الشريعة والعمل الصالح. وتزيح حُجب العالم الملكي وتواصل رحلتها حتى الوصول إلى الكمالات الروحانية.

الإنس والنسيان

ويقول صاحب «مرصاد العباد» **نجم الدين الرازي**، المعروف **بنجم الدين الداية**، في حكمة تسمية الإنسان بلفظة الانسان:

إن اسم الإنسان كان مشتقا من الإنس النابع أولا من حضرة الحق [الله تعالى]. وقيل: إن الانسان سمى بالإنسان، لانه مستأنس.

وبما أن الله تعالى يخبر منذ الزمن الماضى للإنسان [ذلك الزمان الذى لم يهبط فيه الانسان على وجه الأرض]، فانه يدعوه بالإنسان... أى كان فى حظائر القدس ولم يكن يلتحق بهذا العالم... أى فى عالم الأرواح، وبما أنه التحق بهذا العالم، ونسى ذلك الأنس، فانه أطلق عليه اسمه الآخر المناسب الناسى، وبما أنه يتوجه مخاطبا إياه فانه يدعوه بهذا الاسم: «يا أيها الناس!» أى أيها الناسى!... وقيل: أنه تمت تسمية الناس،

١. سورة الأعراف، الآية ١٧٦.

لسبب أنه ينسى.[١]

وفي وجه اخر، فان درة تاج الخلق هذا، أي الإنسان، هو أهل الأنس والاستئناس، وجاهز من جهة أخرى، للإصابة للنسيان.

وبلغة شاعرية وحس مرهفة، وكأنه طائر يطير بجناحي الأنس والنسيان، ويسلك المراتب. منذ فترة الرضاعة في حقبة، وبسبب الاستئناس بالعالم الجنيني (في رحم الأم)، يبكي بوقت الولادة ويتململ، وفي حقبة أخرى، يستأنس بثدي الأم، فانه يرحل من ذلك العالم الماضي، ويضع كل ذلك في بوتقة النسيان.

وفي سن العامين، وعندما يُفطم عن حليب الأم، يجزع ويفزع، إلى أن يستأنس بوضع جديد على إثر التكرار وممارسة العيش في المرحلة الجديدة وتناول الأطعمة اللذيذة.

إن هذا الأنس والنسيان، يرشدان الانسان بشكل متوال، لكي يجرب الأنس والنسيان بصورهما وأشكالهما المختلفة، ويسلك المسار الإكمالي في العالم الترابي، ويشتد عوده ويتقوى ويجد أن الأوجه المختلفة للأنس والنسيان في الماضي، كانت تتجه نحو العالم المجازي والدنيا الدنيئة، ولم تكن لتلبي طلب روحه؛ لذلك يبرز ضرب من الاحساس والطلب الباطني كشعلة نار يشتد لهيبها لتبدي الاستياء من الوضع القائم والمطالبة بوضع اخر.

الولادة الحقيقية

إن ظهور هذا الطلب والنزعة الباطنية لدى الانسان، تسبب بولادة الانسان ثانية؛ من خلال الإعراض عن كل الأنس والألفة التي تؤسره في عرض الجمادات والنباتات والحيوانات والتمنيات الخاصة بهذه الفئة.

ويقول **مولانا:**

---

١. **الرازي، نجم الدّين**، «مرصاد العباد»، باهتمام **محمّد أمين رياحي**، طهران، الشركة العلمية الثقافية للنشر، ١٣٦٥هـ .ش.، ص ١٠٢.

مت من الجماد وتحولت إلى اسم
ومت من الاسم والظاهر وتحولت إلى حيوان
ومت من الحيوان وأصبحت آدميا
إذن لم أخش النقصان إن مت
وحملة أخرى، سأموت كبشر
لكى أصبح من الملائک
ويجب أن أبحث وارتقى من موقع الملک
كلّ شىء هالک الّا وجهه

وعلى إثــر ماء الإيمان ونور العمل الصالح وغذاء العبادات وعناية بســتانيي بستان الله، والأولياء والأنبياء، تثمر نواة الروح وتسلك الدرجات العلا الواحدة تلو الأخرى، إلى أن تثمر في حضرة الله تعالى في ظل زوال جميع الحجت التي تظهر في خضم الحياة في العالم الترابي.

أما الحيوانات، بما أنها لا تعرف شيئا عن العالم الآخر، تكون جهة من هذا العالم [تسير فى ساحة واحدة]؛ فانها تهتم كلها بمصالحها وتنشغل بشهوة تامة، باستيفاء اللذات الحسية، وهى تنمو سريعا وتصل إلى كمالها.[1]

ويبلغ بالانسان مدى يرفع عقيرته كحافظ حين يقول:

إن فكرى لا ينحنى للدنيا والعقبى
تبارک الله من هذه الهواجس التى تدور فى خلدنا
لا أدرى من هو بباطنى المنهک
فأنا صامت وخامد وهو يصرخ ويهيج

وتحدث هذه الحالة في مرتبة عليا، وتتحصل مرتبة من الكمالات للانســان الذي يغمض عينيه على كل ما حصل له في المراتب السابقة وتبدو حلوة وسائغة تارة. ولا يهوى ولا ينزع إلى الجنة حتى؛ وكأن أي من هذه النغم الدنيوية، لا تلبي

١. **الرازي، نجم الدّين**، «مرصاد العباد»، ص ١٠٧.

مطلبه.

تبارك اللّه؛ أن تحل البركة والنعمة على هذا الطلب والتمني اللذين جبلنا عليهما منذ اليوم الأزلي!

الانحناء لعتبة حضرة الحق والمثول بين يدي هذه العتبة الشريفة.

فناء جميع الصفات الكامنة في العوالم الجمادية والنباتية والحيوانية وحتى البشرية (العالم الفاني) **والبقاء** والمثول في الصفات الإلهية السامية (العالم الباقي).

إن حقيقة هذه الجذبة الباطنية، هي الانتظار الكامن في روح الآدمي. وللصيرورة، تلك الحماسة والميل الباطني للتماشي معه، والتحول إليه والوصول إلى مزرعة قصب الوجود.

وهذا الطائر وهذه الروح التي تصل إلى حقل قصب الوجود، تستقر وتهدأ. وهذا الوصال، يحصل عندما ينجذب الانسان وينصهر في ذلك البحر اللامتناهي للوحدة.

وبعبارة أخرى، فان الصيرورة بمعنى الوصول إلى أعلى درجة من الصفات الكمالية للانسان، تتحقق بمعية انسان إلهي؛ وهو الذي ينال من دون وسيط وبإذن الله، أعلى وأرفع مرتبة من القرب إلى الله، ويوفر بإذن الله، بوصفه واسطة الفيض والتقرب، إمكانية وصول العباد المؤمنين إلى مراتب القرب العليا لحضرة الحق.

وتعتبر الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام، بان الحجج الإلهيين والأئمة المعصومين عليهم السلام هم أهم مصداق لحبل الله المتين و«وسيلة التقرب» إلى الله. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الأئمّة من ولد الحسين عليه السلام من أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله عزّ وجلّ هم العروة الوثقى وهم الوسيلة إلى الله عزّ وجلّ.»[1]

إن كلام رسول الله صلى الله عليه وآله لا ينطوي على توصية، بل اعلان طريق التقرب إلى الله

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «عيون أخبار الرضا عليه السلام»، ج ٢، ص ٥٨.

المتعال وحكمه بشـــأن الأئمةعليهم السلام؛ وبالضرورة عندما صدر الأمر بالتمسك بحبل الله المتين، إذ قال الله تبارك وتعالى:

«**وَاعتَصموا بِحَبلِ الله جَميعًا**»[1]

ويجـــب أن يكون، المصـــداق الملموس لحبل الله والعـــروة الوثقى قائما في العالـــم الخارج وقابـــلا للوصول إليه من قبل الناس، وإلا فـــان الحكم يبدو وكأنه عديم المعنى.

ويروي إبراهيم بن أبي محمود عن **الإمام علي بن موسى الرضا**عليه السلام:

«**نحـــن حجج الله فی خلقه وخلفاؤه فی عباده وأمناؤه علی ســـرّه ونحن كلمة التّقوی والعروة الوثقی ونحن شهداء الله وأعلامه فی بريّته....**»[2]

وفي عصـــر الظهور، يتحصل الاتصال والارتباط بلا وســـيط مع ذلك الحبل المتيـــن والعـــروة الوثقى، الإمام المهديعليه السلام، ويكتســـب جميع ســـكان الدولة الكريمـــة والمدينة الطيبة، مجال وإمكانية القرب إلى الله، بصفة خاصة وســـلوك المراتـــب التوحيدية العليا؛ النعمة التـــي كان قد حرم منها جميع خلق العالم طيلة جميع سنوات استقرار جولات الباطل.

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٢. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدّين وتمام النّعمة»، ج ١، ص ٢٠٢.

الفصل الثالث

حكمة الحوادث والنجاة من الابتلاءات

السنن الإلهية

إن **السنن الإلهية**، قوانين ثابتة لا تتغير، وهي سارية وجارية في جميع ميادين وساحات الحياة المرئية والخفية. إن القوانين الأساسية التكوينية أو التشريعية الخفية وغير المرئية، تسود جميع العلاقات وكل الأمم طيلة التاريخ من أدنى الساجات أي الحياة الفيزيقية إلى أعلى الساحات. وهذه القاعدة تعني أن الانبساط يحصل لكائن صاحب عقل واختيار، أي الإنسان، لكي يتسنى له في ميدان زاخر بمختلف الإمكانات، اختيار الإمكان عن طريق السعي والعمل، بما يتطابق مع نزعته ورغبته النفسانية أو الاقتراح الرباني.

وقد وضع الله تعالى، مكافآت وعقوبات لكل انتخاب، وقد أظهر طريق الحق عن طريق إرسال الأنبياء وإنزال الكتب، ليظهر من خلال ذلك طريق السعادة الدنيوية والأخروية للبشرية.

وهذا هو الانسان وفي ظل كل الإمكانات المحددة واختيار وانبساط اليد المعطاة من قبل الله المتعال، يبذل جهده للسير على واحد من المسارين، مسار الحق أو مسار الباطل، وبالتالي، فانه يجرب الأعراض والتبعات الوضعية الدنيوية والأخروية لكل من اختياراته.

«وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ

ولكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُون»[١]

إن عبـــارة «**لو أن**» تظهر جميع الاختيارات الإلهية الممنوحة للإنســـان، وفي المقابـــل، فان نيل البركة أو اللعنة الناتجة عن أي انتخاب، تعلن كنتيجة في الدنيا والآخرة، وأن النفي والتأييد، بمعنى الأوامر والسنن التي وضعت في صلب الكون تكوينا، ويتم جعلها بواسطة الأنبياء كأحكام إلهية، وكذلك إعلانها، ولا مفر منها.

وبذلـــك، فان المهملين والغافلين والمذنبين، ومتلقـــي اللعنة، وقبل أن يريدوا محاســـبة خالق الكون أو الطبيعة والزمان والمكان، بسبب الصعوبات المتحصلة والعقوبات المطبقة عليهم، فانه يجب عليهم أن يحاسبوا ويوبخوا أنفسهم بسبب الإهمـــال والغفلة أو التمرد والعصيان فـــي النظرية والتطبيق، وأن يعيدوا عدم البركة والحرمان لسبب واحد أو الأسباب الثلاثة آنفة الذكر.

إن الآية المباركة:

«مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا»[٢]

تعلن أن لا وجود للطريق المسدود!

وما عدا التقوى، فان الله تعالى، جعل العودة والاســـتغفار عن الطريق الخاطئ الذي تم سلوكه، كطريق للنجاة والخلاص:

وقال **الإمام الصادق** عليه السلام:

«من أكثر الاستغفار جعل الله له من كلّ همّ فرجا – ومن كلّ ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب.»[٣]

وبالتالي فان العمل الصالح، يفتـــح أبواب الرحمة والبركة، ويغلق أبواب اللعنة أي الحرمان من الرحمة.

«إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا»[٤]

ومَـــن يجعل الدنيا والشـــهوات الدنيوية، إمامه، ويســـعى بكل جهده من

---

١. سورة الأعراف، الآية ٩٦.

٢. سورة الطلاق، الآية ٢.

٣. **ابن فهد الحلي، أحمد بن محمّد**، «عدّ الدّاعي ونجاح الساعي»، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ .ق.، ص ٢٦٥.

٤. سورة مريم، الآية ٩٦.

أجل نيل ذلك، ينال وفقا لتلك السنن الثابتة، حصة من الدنيا بما يتلاءم مع جهده وهمته؛ حتى وإن كانت هذه الشهوة، تستولى على المتدينين الغافلين والمهملين وضعاف الإيمان.

«مَنْ كانَ يُريدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُريدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُورا»[١]

إن التنعم بالدنيا بالنسبة لطالبي الدنيا، ليس خارج عن نطاق إرادة الله المتعال. إن السنن الثابتة والجارية لله في النظام التكويني للعالم، تفسح هذا المجال لكل انسان ليتمتع بقدر الجهد والتمني، بالدنيا أو الآخرة، وأن يتلقى بطبيعة الحال، التبعات الدنيوية والأخروية لذلك التمني والجهد؛ أكان رحمة أو لعنة.

ويقول الله سبحانه وتعالى في «سورة الزخرف»:

«وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحْمنِ لِبُيُوتهِمْ سُقُفاً مِنْ فضَّة وَمَعارجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتهِمْ أَبْواباً وَسُرُراً عَلَيْها يَتَّكِؤُنَ * وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذلِكَ لَمَّا مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقين»[٢]

وعلى الرغم من تصور قصار النظر والهمة، فان التمتع الدنيوي، لا مظهر له عند الله المتعال؛ أي أن الحياة الدنيا، هي لهو ولعب، وتخدع طالبي التسلية واللعب واللهو والترفيه الصبياني.

«اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فى الْأَمْوالِ وَالْأَوْلاد كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاما...»[٣]

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الدّنيا مزرعة الآخرة.»[٤]

---

١. سورة الإسراء، الآية ١٨.

٢. سورة الزخرف، الآيات ٣٣-٣٥.

٣. سورة الحديد، الآية ٢٠.

٤. **ورام بن أبى فراس، مسعود**، «مجموعة ورّام»، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ .ق.، ج ١، ص ١٨٣.

إن اليهود المنكرين الذين تخلفوا عن قافلة النبي **موسى كليم اللّه**عليه السلام، انشغلوا بالدنيا. لقد أعرضوا عن الأحكام والتعاليم السماوية، ولجأوا إلى الفسوق والفجور، وبذلوا قصارى جهدهم وسعيهم وحيلتهم وعقل معاشهم لجلب المنفعة الدنيوية والهيمنة على عباداللّه، واستخدموا حسب السنن المجعولة في الكون، غفلة وضعف عهد المؤمنين بالأديان التوحيدية. وتقدموا خطوة فخطوة إلى الأمام؛ بينما كانوا في أقلية متفرقين ويفتقدون إلى الجغرافيا الترابية في الأرض.

سنة الابتلاء والامتحان

وبينما تعد المنفعة والربح الدنيويين الناتجين عن الجهد والتقيد بالقواعد، من السنن الإلهية والمجعولة في الساحات الفيزيقية والمادية للكون، فان الابتلاء والامتحان، يعدان هم الاخرين، من السنن الإلهية ويضطلعان بدور بناء في نيل السعادة والمكافأة أو الشقاء والعقاب.

وورد **البلاء** في ثلاثة معاني في «القرآن»:[١]

١. الامتحان: «**إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبين**»[٢]

٢. النعمة: «**وَفى ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظيمٌ**»[٣]

وفي ترجمة هذه الآية، يقول **السيد مرتضى علم الهدى:**

روى **أبو بكر الهذلىّ عن الحسن** فى قوله تعالى: «**وَفى ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظيمٌ**»، قال: **نعمة عظيمة؛ إذ أنجاكم من ذلك**؛ وقد روى مثل ذلك عن ابن عبّاس والسّدّىّ ومجاهد وغيرهم.[٤]

٣. المحنة: «**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**»[٥]

والمراد من مفردة الابتلاء فى مصطلح القرآن، ونظرا إلى الجذر اللغوى

---

١. **التفليسي، أبو الفضل حبيش بن إبراهيم**، «وجوه القرآن»، باهتمام **مهدي محقّق**، طهران، إصدارات جامعة طهران، ١٣٧١هـ .ش.، ص ٤٩.

٢. سورة الصافات، الآية ١٠٦.

٣. سورة البقرة، الآية ٤٩.

٤. **علم الهدى، علي بن الحسين**، «أمالي المرتضى»، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.، ج ٢، ص ١٠٩.

٥. سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

للمفردة والذى يتضمن معنى الاستمرار والتكرار، هو عبارة عن مجموعة البرامج المستمرة والمتواصلة السارية بشأن الانسان وأدائه وسلوكه.[1]

إن المفهوم القرآني للامتحان والفتنة هو الشئ ذاته.

إن اليهود وعلى إثر أعمالهم، تعرضوا لابتلاءات دنيوية وأخروية قاسية من جهة ، كما أن أهل الإيمان وعلى إثر بعض أعمالهم، أبتلوا باليهود من جهة أخرى؛ رغم المؤمنين الأبرباء والأتقياء وعلى إثر بعض الابتلاءات، تمتعوا بالمكافآت الأخروية فضلا عن تحصيلهم المدارج والمراتب المعنوية العليا.

وقد صرح القرآن الكريم في آيات بهذه الحقيقة من أن أهم حكم الابتلاء (الامتحان)، هو معرفة الوجه الحقيقي للأشخاص بمعنى ظهور الأهلية والمواهب والخبث والدناءة والكرامات الروحية أو الرذائيل النفسانية.

«وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرينَ وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُم»[2]

إن جملة «حتى نعلم المجاهدين منكم» ليست بمعنى أن الله لا يعرف هذه الفئة؛ بل القصد هو تحقق المعلوم الإلهى وتشخيص هكذا أشخاص؛ أى حتى يتحصل هذا العلم الإلهى على أرض الواقع ويتجسد وتتحدد الصفوف.[3]

وكل هذا، يمثل فرصة يمنحها الله للمعاندين والمنكرين.

سنة الإمهال والاستدراج

إن أحدى السنن الأخرى والقوانين السارية في منظومة الكون وبين الكائنات المخيرة وصاحبة العقل، هي سنة الإمهال والاستدراج، أي إمهال الظالم والمذنب.

إن المسيئين والمذنبين، ليست أمامهم مهلة إلى ما لا نهاية حتى يوم القيامة؛

---

١. **باكزاد، عبد العلي**، «الابتلاء والامتحان في القرآن»، فصلية البحوث القرآنية، ١٣٨٧هـ .ش.، العدد ٥٤ و ٥٥؛ نقلا عن **موسوي نسب، سيّد جعفر**، «ابتلاء وامتحان الانسان في القرآن»، ارزشمند، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ .ش.، ص ١٧.

٢. سورة محمّد، الآية ٣١.

٣. **باكزاد، عبدالعلي**، «الابتلاء والامتحان في القرآن»؛ نقلا عن **مكارم شيرازي، ناصر** «تفسير نمونه»، طهران، دار الكتب الاسلامية، الطبعة الرابعة، ١٣٧٣هـ .ش.، ج ٢١، ص ٤٨٢.

بل ربما ثمة ابتلاءات، تقــرب المؤمنين إلى المراتب العليا، وعلى العكس، تدفع الظالمين إلى منتهى التعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة.

وعلــى إثر الابتلاءات، تنفصل الصفوف ويُعرف من هو الصالح ومن الطالح، وفي ساعة معينة، تطال يد العذاب والجزاء الإلهيين، الظالمين في الدنيا، وتعاقبهم عقابا أليما، وتجعلهم أذلاء.

وفي الروايات الشــيعية، فــان بعض الذنوب هي «ســريعة العقاب»؛ أي أن العقاب الإلهي، يطال المذنبين في هذه الدنيا. ويقول رسول الله ﷺ:

«ثلاثة من الذّنــوب تعجّل عقوبتها ولا تؤخّر إلى الآخرة عقوق الوالدين والبغى على النّاس وكفر الإحسان.»[١]

«وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللهُ النَّاسَ بما كَسَــبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّة وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيرًا»[٢]

وجاء في «القرآن الكريم»:

«وَلِكُلِّ أُمَّة أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُون»[٣]

وقبل دراســة **اليوتوبيا الشيطانية لليهود**، وذكر مصاديق خبث وفكرة آخر يوتوبيا تأسيس الدولة العالمية، أتيت على ذكر هذه المقدمة لتذكير القارئ الكريم بالسنن الإلهية، وحكمة الابتلاء وامتحان البشــر وبالتالي، المهلــة التي منحت لليهود، والأجل الذي ســيحين آجلا أم عاجلا والعذاب الأليم الذي ســيذوقونه على يد رجــال، رجل من قبيلة الإيمان والفــلاح؛ وينالوا عقاب كل الطغيان والظلم الذي مارسوه ضد خلق العالم وجميع المؤمنين.

---

١. **المفيد، محمّد بن محمّد**، «الأمالي»، قم، مؤتمر الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ .ق.، ص ٢٣٧.
٢. سورة فاطر، الآية ٤٥.
٣. سورة الأعراف، الآية ٣٤.

طلب النجاة

إن **النجـــاه** تعني الخلاص والحرية والفلاح، والمُنجي، هو المُنقذ والمُخلص الذي ينقذ الأسير والمُقيد من أسره وقيوده.

ويتبـــارد إلى الذهن من مفردة النجاة، مباشـــرة الفخ والواقع في الفخ والمتورط والأسير. اسمحوا لي القول أن النجاة وطلب الخلاص، كامنان في وجود الانسان. وبالأحرى، فان هذا الطلب، يتولد مع الانسان، ويعيش ويبقى معه. ويكبر ويكبر مع نمو الانسان وترعرعه. وكأنه لا يمكن العيش من دون هذا المطلب، ولا يمكن تقديم تعريف خاص عن الانسان من دون هذا المفهوم.

إن **الانتظـــار والنجـــاة**، متلازمان وتوأمان، من المقولـــة ذات المراتب، كما هو الانتظار الذي يكتســـب المراتب وفق موقع الانســـان وعلمه ونموه ومطالبه، وكل من ينتظر شـــئ ما، فان النجاة تكتسي هي الأخرى مراتب، إن الجائع والظمآن، ينتظـــران الطعام والماء، ويطلبـــان النجاة من الجوع والظمـــأ، كما أن العالق في الصحـــراء القاحلة والقفر عديم المـــاء والنبات، يطلب النجاة والتخلص من القفر والبهائم والحيوانات المفترســـة ...، ومن يقاسي من قيد وسلاسل السجن أو من يعاني من الهواجس النفســـانية والوســـاوس الشـــيطانية، كلهم يمرون بمراتب من الأسر والورطة، ويتحسرون جميعا للمخصلص والمنقذ ويتطلعون إلى قدومه.

ولذلك، فانه يمكن تحديد النجاة والإنقاذ حســـب عدد العالقين والمنكوبين

وتنوع وتعدد الأفخاخ والقيود.

إصغ إلى الناى عندما يقص عليک حکايته
إنه يئن ويشکو من الفراق
وما أن قطعونى وفصلونى عن حقل القصب
فان الرجال والنساء، أخذوا يئنون وينحبون من نفيرى
أريد صدرا مشرحا من الفراق
لکى أحکى وأصف ألم الاشتياق
ومن بقى بعيدا عن أصله وجذوره
فانه يبحث عن عصر زمان وصله[١]

ويشكو الشاعر **مولوي** ويئن من وقوع طير النفس في أسر وقفص الجسم، وينتحب من الانفصال والانعزال عن حقل قصب الوجود ووطن الروح المألوف، ويطلق النفير وصوت الوجع من ألم الاشتياق ويطلب الخلاص والنجاة، ويتطلع لكي يتحرر من هذا القفص وأن يصل ويعود إلى أيام وزمان وصله وديارة.

إن **طلب النجاة** هذا، هو ما يميز الانسان عن سائر الكائنات المحيطة به. إن أيا من الجمادات والنباتات والحيوانات، لا تبحث ضمن هذا المعنى والمفهوم، عن الخلاص والنجاة، وبالأحرى، فان هذا الطلب، ينبع من الروح المجردة والروحانية. إن طلب السمو والشموخ، يظهران نفسهما، في أي لحظة وفي أي جسم، بلون ومظهر ما. وكما يقول الشاعر مولوي:

إن مطلق ذلک الصوت الرخيم، نابع من السلطان
وإن انطلق من حنجرة عبد الله[٢]

وإن نظرنا مليا، فان الكل، في أي موقع ومكان كانوا، يئنون ويتألمون ويستاؤون من الوضع والموقع اللذين هم فيه، ويطلبون الخلاص والتحرر. فواحد يئن ويصرخ

١. **مولوي**، «المثنوي المعنوي»، الدفتر الأول، القسم ١، تمهيد.
٢. المصدر السابق، القسم ٩٧.

من غياهب سجون حاكم جائر، وآخر، يصرخ ألما من سجن الجهل. وكأننا كلنا، علقنا وسقطنا، في **بئر الحاجة**، ونطلب بطلا ينقذنا.

إن خالق الانسان وموفر الخير له، يدعو من منطلق الرحمة والشفقة، مخلوقه للارتقاء إلى عتبته المتصفة بالجلال والجمال، ويجعل من الطلب والرجاء، سلما يرتقيه أبناء آدم، درجة درجة ليحصلوا على المواهب الإلهية، ومن هنا فان كل ما يُطلب وفي أي مرتبة يبدو في عين الآدمي، يشكل ذريعة وفخا يدفعان النفس المتحمسة للمضي قدما إلى الأمام. وبعد كل تجربة، ثمة تجربة أخرى. وبعد كل طلب ومحبة وذوق، ثمة طلب أخر. وإن كان الامر غير ذلك، لكان الركود والتوقف، يجلبان الزوال والضياع للانسان.

إن المنقذ السماوي وفي خضم التقلبات والصعود والهبوط والطلب والتمني يمسك بيد الأناس المتململين والمفزوعين، ليمضي بهم قدما ليتمحص جوهر وجودهم، وينالوا جدارة اعتلاء العرش الملكي، والتخلص من جميع القذارات.

«وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنى آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضيلا»[1]

وكأن الانسان دعي لضيافة ومأدبة رائعة، وحملوه على مراكب تسير نحو عتبة المحبة والعطوفة؛ زاخرة بانواع المشروبات والمأكولات، ليلقى تكريما حافلا ويعتلي موقعا رفيعا ويُبجل ويُكرم.

الإنسان المبتلى بمئة بلاء!

إن التأمل في الآية المباركة:

«لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فى كَبَد»[2]

يبعد تخيل عالم آمن وحافل بالهدوء والاستقرار من ذهن أبناء آدم؛ وكما

١. سورة الإسراء، الآية ٧٠.
٢. سورة البلد، الآية ٤.

يقول الشاعر **حافظ**:

إن العين تأمل الهدوء والراحة من الكون الخاطف
أيها الساقي، أسقني كأسا لكي أستريح قليلا

إن التغير والتلون، هو في صلب العالم، والحياة. ومن يؤسس عليهما، لابد وأن يصاب بالتغير والتلون والتقلبات. وفي غمرة هذا التغير والتحول، تتوافر، أسباب تحول النفس وتجربة الدركات أو الدرجات.

وجاء في معنى مفردة «الكبد»: المشقة والعناء. كما وردت معان أخرى لها. وقال **الإمام علي**عليه السلام في تفسير الآية:

«**دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَة...**»[١]

كما جاء في أبيات شعر منسوبة للإمام عليعليه السلام:

إنّما الدّنيا فناء ليس للدّنيا ثبوت
إنّما الدّنيا كبيت نسجته العنكبوت
ولقد يكفيك منها أيّها الطّالب قوت
ولعمرى عن قليل كلّ من فيها يموت[٢]

وكيف يتيسر للانسان، إزالة معاناة الدنيا وتعبها؟ على وجه التحديد كمن يريد فصل الدسم عن الزيت والرطوبة عن الماء. إن الدنيا، وضعت وطويت أولا ومن الأساس، بالمعاناة والتعب، وهي ليست مكانا للقرار والاستقرار الدائمين، والخلود إلى الراحة والهدوء. أكانت هذه المعاناة حصلت بصورة **طبيعية** عن طريق سلوك المراحل منذ الولادة حتى الموت؛ مثل ألم المخاض أو ناتجة عن **الإصابة** بالمرض والشيخوخة وتحلل قوة الجسم، والعواصف العاتية للعالم الطبيعي والكائنات الدقيقة والمجهرية غير المرئية بما فيها الفيروسات والجراثيم أو حصيلة عمل ألد أعداء الانسان ألا وهو الشيطان وأشياعه الذين يترصدون على الدوام

١. «نهج البلاغة» صبحي صالح، الخطبة ٢٢٦.
٢. **ميبدي، حسين بن معين الدين**، «ديوان أمير المؤمنينعليه السلام»، قم، دار نداء الإسلام للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .ق.، ص ١١٦.

لإغواء الانسان وإيذائه.

وثمة جزء من المعاناة والألم في الدنيا، ناتجان عن عمل الانسان ذاته. ردة الفعل الطبيعية والذاتية للسماء والأرض في وقت مواجهة ظلم أبناء آدم وفسوقهم وفجورهم على وجه الأرض أو جحودهم وكفرانهم للنعمة وتضييع حق الله، وحق الناس وحق النفس.

إن إضاعة أي فئة من الحقوق والحدود، بما في ذلك حق الله بوصفه خالق الكون، على الانسان، والحق الذي يملكه الأنبياء والأولياء، بسبب مقامهم ومنزلتهم بوصفهم نبي ورسول إمام أو الحق الذي يملكه الناس تجاه أحدهم الاخر وهم مكلفون بمراعاته والتقيد به.

وأليس أن روح الانسان وأعضاءه وجوارحه تملك حقا.

وقد أورد **ملك الشعراء بهار** هذه الظروف الزاخرة بالمعاناة والألم على الدوام، في عبارة شاعرية مطلع الغزل المعروف ب"الصراع من أجل البقاء»:

إن الحياة أيها الحبيب، حرب فتجهز لها

الوقت ليس وقت التأمل والتريث، تجهز واستعد على الفور

وكل هذا يحصل بينما، لا يكفي مجمل قدرة الانسان وقوته للتخلص من كل هذه المعاناة. لذلك، فان الانسان الذي يمر من جهة بكل هذه المعاناة والمقاساة متعددة الأوجه الداخلية والخارجية في حياته، يطلب من أعماق روحه، الخلاص والنجاة، ومن جهة أخرى، يتمسك ويتشبث بوسيلة أكثر تأثيرا لتخطي كل هذا الألم والمعاناة والبلاء والابتلاء.

إن **الابتلاء والامتحان**، هما أحد الموضوعات المحورية في «القرآن» وكلام أهل البيت عليهم السلام. وبما أن جميع الناس من أولهم إلى اخرهم، دخلوا في مضمار كبير للسباق، لكي يحتسوا في النهاية، كأس شراب السعادة ويسرحوا ويمرحوا في جنة الرضوان، أو على إثر الفشل والهزيمة، يرغمون على تجرع سم الشقاء والتعاسة. وقد جعل الله سبحانه وتعالى، الابتلاء والامتحان المتتالين، عاملا

للقياس والارتقاء ومنح الامتياز للأناس.

وبعبارة أخرى، فان الابتلاء والامتحان هما من السنن الثابتة التي لم يستثن منها أي من أبناء البشر. إن هذه السنة هي وراء تحول وتقلب أحوال الناس وارتقائهم إلى المراتب المعنوية العليا. وإذا لم يكن الابتلاء وامتحان فكيف يمكن التمييز بين الصالح والطالح؟

«أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون»[١]

كما قال سبحانه وتعالى:

«وَهُوَ الَّذى جَعَلَكُمْ خَلائفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فى ما آتاكُم»[٢]

كذلك قال سبحانه وتعالى:

«إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا»[٣]

ولذلك فان جل الألم والمعاناة والجوع والظمأ ونقص في الأموال والأنفس و... هي أسباب البلاء والامتحان والقياس لدى الله تعالى، وذريعة وفتنة لبلوغ الانسان عتبة القرب إلى حضرة رب العالمين.

وفي غمرة كل هذه الصراعات، فان عين الانسان تبحث عن مستمسك للخلاص والنجاة. وقد أوصى الله سبحانه وتعالى، عباده أن يبحثوا عن مستمسك ووسيلة للنجاة.

البحث عن وسيلة للنجاة

«يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسيلَةَ وَجاهِدُوا فى سَبيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون»[٤]

---

١. سورة العنكبوت، الآية ٢.
٢. سورة الانعام، الآية ١٦٥.
٣. سورة الكهف، الآية ٧.
٤. سورة المائدة، الآية ٣٥.

إن الأعمال والأحكام العبادية والإيمان والتقوى والتوسل والتمسك بالعروة الوثقى ألا وهي أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله؛ هي جملة وسائل ووسائط، يطلب الانسان العالق في بئر البلاء والابتلاء، النجاة من خلال التمسك والإمساك بها، لكي يخرج من بئر الحاجة السوداء إلى أرض الأمان والاستغناء الجلية.

إن «حديث السفينة» الذي ينقله **أبو ذر الغفاري** عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يشير إلى حبل النجاة:

«إنّما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق...»[١]

الكل يطلب النجاة!

إن **طلب النجاة والبحث عن المنقذ**، وكما أسلفنا، هو في صلب وذات وجود الآدمي. أي نيل الحياة الطيبة والسعادة والخلاص من الألم والمكابدة، والذي يمكن اختزال كل ذلك في مفردة **الفلاح**، وبذلك تحول موضوع المنقذ والموعود إلى قاسم مشترك لجميع الأمم والشعوب من الأولين إلى الآخرين.

ولا يمكن مشاهدة أي شعب وأي أمة لا تؤمن بالموعود المنقذ في آخر الزمان، حيث تبلغ الابتلاءات والمعاناة، ذروتها. وكل وحسب مدى معرفته ووعيه، قدم وصفا ومصداقا عن المنقذ وهو يبحث عنه ويسير نحوه.

إن قضية النجاة، تمثل واحدا من أهم تعاليم الكتاب المقدس – أكان «التوارة» و«الإنجيل» – في منظور المفكرين اليهود والمسيحيين في مجالي الكلام والفلسفة؛ كما أن الزرادشتيين، يركزون بشكل خاص على هذا المبدأ العقائدي. وكل يرى أن ثمة عوامل تمهد الطريق لظهور المنقذ.

إن **المهدوية والإيمان بالموعود** بمعنى الإيمان والاعتقاد بالمنقذ الذي يظهر

---

١. **ابن أبي زينب، محمّد بن إبراهيم**، « للنعماني»، ص ٤٤؛ **الهلالي، سليم بن قيس**، «كتاب سليم بن قيس الهلالي»، ج ٢، ص ٥٦٠؛ **الطوسي، محمّد بن الحسن**، «الأمالي»، قم، دار الثّقافة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .ق.، ص ٦٠.

في آخر الزمان لإنقاذ البشـــرية وإرساء السلام والعدالة الشاملتين، يمثل أحد أهم الموضوعات العقائدية الاســـلامية والشـــيعية. وبالأحرى، فـــان فهم حكمة خلق العالم والانســـان وإرســـال الرســـل وإنزال الكتب والخاتمة التي تم تعريفها لسير الانسان وسفره في الأرض، لا يتحقق من دون معرفة **منزلة المهدوية**.

إن إنقاذ البشرية وإقامة **الدولة المهدوية الكريمة** في المنظومة المعرفية الاسلامية، معطوفان على عدة حكم وإرادة الله تعالى في خلق الكون وإرســـال الرسل وإنزال الكتب وجعل الخليفة في الأرض.

ففي فجر الخليقة، وعندما خلق الله تعالى **آدم**عليه السلام قال متوجها إلى الملائكة:

«إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً»[١]

ليعلن إرادته باخراج الناس من الظلمات وهدايتهم إلى النور والصراط المستقيم:

«كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ»[٢]

وقـــد أراد بارئ الكون، إبلاغ الجميع بإضفاء **الكمال على العقول وإتمام مكارم الأخلاق** – عن طريق إرسال الرسل.

وأراد أن يجعـــل الصالحين، وارثين، وأن يعتلي المســـتضعفون أريكة الخلافة والإمامة (في الأرض).

«وَنُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِین؛٣

ويقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أن الهدف من البعثة هو استكمال عقول البشر:

«لا بعث الله نبیّا ولا رســولا حتّى یستکمل العقل ویکون عقله أفضل من جمیع عقول أمّته...»[٤]

---

١. سورة البقرة، الآية ٣٠.
٢. سورة إبراهيم، الآية ١.
٣. سورة القصص، الآية ٥.
٤. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ١٣.

والطريف أنه على الرغم من كل المدن الفاضلة واليوتوبيوهات الافتراضية المقترحة وحتى النزعة نحو المنقذ لدى سائر الشعوب والأمم، فان فكرة الموعود الخاصة بالشيعة، لا تترك الموعود المنقذ بانتظار وقت الظهور وإقامة الدولة المهدوية؛ بل أنها معه في كل لحظة وكل موقع.

النجاة والفطرة

إن روح الانسان تتعرف على المنقذ في وقت التحرر من الهواجس وأغراض العقل المكار، وتدعوه في ذروة الابتلاء والحوادث وتتوسل إليه. وهذا التوسل في أوج البلاء، مؤشر على **العلم الفطري** للانسان حول المنقذ. وإن لم يكن تمت تعبئة هذه الجوهرة في فطرة الانسان، لما كان هناك الطلب والنزعة الباطنية للتعرف عليه؛ وبالتحديد لدى جميع البشرية. إن خطاب «القرآن الكريم» هو خطاب عام:

«قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجانا مِنْ هذه لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرينَ * قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْها وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ»[1]

إن عبارة «تدعونه تضرعا وخفية» تدل على رجوع الانسان إلى فطرته؛ في غاية الابتلاء، حينما تصل العقول إلى طريق مسدود وتُشل عن العمل؛

وثانيا، أن مرتبة من العلم الحضوري المشترك، الموجود في الفطرة الكامنة لجميع الأناس، تدعوهم نحو حضرة الحق.

وكأن **الأمن والاستقرار**، قد أسدلا ستائر الغفلة على الفطرة ويجعلا رجوع الفكر معطوفا على الذات النفسانية بدلا من الحق. ولذلك، وعلى الرغم من تصوراتنا، فان الابتلاء والبلاء، ينطويان بحد ذاتهما على النعمة المستترة المتمثلة **باليقظة**.

١. سورة الأنعام، الآيتان ٦٣-٦٤.

إن **بئر الحاجة**[١] ينطوي في ضيقه وظلمته على جوهر اليقظة والعودة إلى الهوية الحقيقية. وحسبما يقول الشاعر **حافظ:**

أنا الذى فتحت عينى لرؤية الصديق
كيف أشكرك يا من سهلت الأمر لعبدك
المحتاج إلى البلاء، لا ترفع الغبار عن الوجه
لان تراب موطن الحاجة، هو كيمياء المراد
لا تجزع أيها القلب من مشاكل الطريقة
لان رجل الطريق، لا يفكر بالتقلبات والصعود والهبوط

وقد قدم الله المتعال نفسه في «سورة يونس» باكثر الألفاظ خفية أي «هو» من دون الإشـــارة إلى أي اسم وصفة من الأسماء الظاهرة والباطنة، وقال سبحانه وتعالى متوجها إلى الانسان:

«هُوَ الَّذى يُسَـــيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِريـــحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جاءَتْها ريحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَظَنُّـــوا أَنَّهُمْ أُحيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصينَ لَـــهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنا مِنْ هذهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرينَ * فَلَمَّا أَنْجاهُمْ إذا هُمْ يَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»[٢]

ســـأل رجل **الإمام الصّادق**عليه السلام: **يا ابن رســـول الله دلّنى على الله ما هو فقد أكثر المجادلون علىّ وحيّرونى.** فقال [له]:

---

١. مأخوذة من قصة بيجن ومنيجة في الشاهنامة للفردوسي، في وصف تداول الايام وتعاقب الدهر:

مرر العمر معه بفرح	**وانظر إلى تداول الايام وتعاقب الدهر**
فواحد يكون حظه عاليا	**ويُصان من الألم والوجع**
ومن هناك يدوره بين التراب	**في كل مكان، يجعله هكذا**
وذلك الذي يجعله في نعمة وجاه	**يُلقي به في بئر الحاجة**
ويخرج أحدهم من البئر	**ويضع على رأسه تاجا من المجوهرات**
وهكذا تفعل الدنيا بأهلها	**فتارة نعمة وغنجا وتارة ألما ووجعا**

٢. سورة يونس، الآيتان ٢٢-٢٣.

«يا عبد الله هل ركبت سفينة قطّ؟»

– بلى.

– «هل كسرت بك – حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟»

– بلى.

– «فهل تعلّق قلبك هنالك – أنّ شيئا من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك.»

– بلى.

– «فذلك الشّيء هو الله – القادر على الإنجاء حين لا منجى، وعلى الإغاثة حين لا مغيث.»[1]

إن الإمام الصادق ولتعريف الله المنجي، لرجل تعرض للتجاذبات النفسانية والهجمات الشيطانية، وانزلق في وادي الشك والترديد في قبول حضرة الحق، فانه عليه السلام يحيله إلى أقرب عامل باطني وفطري.

وجلي أن **الترديد**، هو مقدمة الردة؛ لكن **العلم الفطري**، يحيل الشخص من دون أي مؤنة ومقدمات إلى الخالق والمنقذ الحاضر في كل مكان وفي كل زمان، ليتضح أنه تعالى أقرب إلى المرء من حبل الوريد.

وفي آية أخرى، يذكّر الله تعالى، الانسان بالفطرة وينبهه إلى أنه يجب أن يكون شاكرا في ضوء هذه المعرفة المتأتية والنجاة الحاصلة في ورطة البلاء.

«وَإِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِى الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكانَ الْإِنْسانُ كَفُورا»[2]

---

١. **الحسن بن علي، الإمام الحادث عشر**، «التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام»، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .ق.، ص ٢٢.

٢. سورة الإسراء، الآية ٦٧.

سنّة النجاة بعد العودة؛ مفتح الأبواب

إن الرجوع إلى الأسباب والوسائل، والحيلة والتدبير وحدة السيف ومفتاح الأقفال والممتلكات والقدرة على الخروج من الاضطرار والاضطراب، كل في مراتب، يحول دون رجوع الانسان إلى **مسبّب الاسباب ومفتّح الابواب ورازق الأنام وراحم المساكين، فيعتبر غير الله مؤثرا ويجعله ذلك يبتلى من دون أن يدري بالشرك الجلي والخفي وينسى كما يقول الفلاسفة أن «لا مؤثّر فى الوجود الّا اللّه»**. ولا فاعل حقيقي سوى الله، وأن الله وحده الذي وهب الوجود للكائنات. وعندما يصل ابن آدم من أعماق وجوده إلى هذه الحقيقة، فان نار الشوق تشب في أرجاء وجوده ويرفع يد التضرع والابتهال إلى حضرة رب الأرباب ويطلب منه النجاة من الابتلاء والبلاء ويعلن بحميمية – كما يقول الفلاسفة:

لا موثّر فى الوجود إلّا الله، ولا عالم فى الوجود إلّا الله، ولا قادر فى الوجود إلّا الله، ولا حيّ فى الوجود إلّا الله، ولا ذات مستقلّة فى الوجود إلّا الله.[1]

ولا مؤثر ولا عالم ولا قادر ولا حي ولا صاحب ذات مستقلة في العالم إلا الله جل وعلا، وأن الله تعالى ومن منطلق اللطف يمسك بيد العباد الباحثين عن الحقيقة، ويرفع بهم على سلالم المعرفة ويمرر بهم من بين الفتن والحوادث إلى أن يقتربوا من حقيقة أنهم يجب أن يوجهوا مركز ثقل اهتمامهم ورؤيتهم نحو حضرة الحق، وأن ينقطعوا عن ما هو غيره؛ وبالأحرى، فانه مع انتهاء جاذبة وطاقة أي من الأسباب والعوامل، والحلاوة وذوق أي صاحب جمال وجلال ممن هم كثر في العالم ويعود الانسان إليهم في جميع التقلبات ويتعلق بهم، يصل الانسان إلى المعاني الرفعية آنفة الذكر. إن الطاقة الوجودية الهائلة واللا متناهية للانسان توفر له إمكانية الطيران والتحليق في الأعالي وتتيح له المجال لكي يواصل بعد أي توقف

١. إشارة إلى إحدى القواعد الفلسفية بمعنى أنه لا توجد في العالم – حسب التوحيد الأفعالي – أي علة فاعلة حقيقية سوى اللّه المتعال.

عند المحبوب والمنشود المحدود والفاني، سيره إلى ما لا نهاية.

إن مضي الزمان يكشف عن إفلاس وحاجة جملة الكائنات إلى أن يجعل الانسان يقف أمام معشوق ومحبوب الأولين والاخرين ويفهم هذه الآية:

«يَا أَيُّهَا النّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ»[١]

وقام النبي **يونس**عليه السلام بالإرشاد بين أمته لسنوات طويلة؛ لكن وبعد مضي ثلاثة وثلاثين عاما، ضاق صدره من قلة المؤمنين (اثنان فقط)، لعن قومه وغادر المدينة بعد أن أعلن وعيد الله. وبقي أحد أصحاب يونس النبيعليه السلام في المدينة مع الناس واهتم بانذارهم. ومع ظهور علائم العذاب، سأل الناس الباري عز وجل، العفو والصفح خوفا من البلاء ونجوا بذلك من العذاب؛ بيد أن يونس لم يكن بينهم. وبعد فترة وظنا منه أن الناس قد فنوا على إثر العذاب، عاد إلى المدينة ورأى أن كل شئ عادي وأن الناس منشغلون بأعمالهم. فغضب النبي يونسعليه السلام مما شاهده ونزل إلى البحر في سفينة غاضبا. وبارادة من الله، اقتر حوت عملاق من السفينة وأدى ذلك إلى ابتلاع النبي يونسعليه السلام. وفي جوف وظلمة بطن الحوت، تمزقت ستائر تصورات يونس، وتوجه إلى الله تعالى متضرعا وتاب. وجاء في القرآن الكريم:

«وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنادى فِى الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذلِكَ نُنْجِى الْمُؤْمِنِينَ»[٢]

ويميط الله سبحانه وتعالى من خلال قصة يونسعليه السلام اللثام عن السنة الجميلة المتمثلة في «الأبواب المفتوحة للطالبين والراجعين» لكي يعلم الجميع أنه عندما يعلق الناس في تلاطم الظلمات (الابتلاء والبلاء وظلمة سبل الخلاص والنجاة) ويرجعوا باخلاص وصدق إلى حضرة مجيب طلب المضطر، فانهم سيحتضنون

١. سورة فاطر، الآية ١٥.
٢. سورة الأنبياء، الآيتان ٨٧-٨٨.

النجـــاة حتما. إن نجاة المؤمن هو نجاة العائد المخلص والصادق والمضطر إلى حضرة الحق؛ عندما لا يجد لنفسه سبيلا وطريقا للنجاة.

إن الظلمات هي تدنس نفس الانســـان بالشرك، وكذلك طريق مسدود معتم لا يشـــاهد نور في نهايته، والوصول إلى النهاية ومشاهدة تحطم جميع التصورات والأوهام.

لقد مزق الأناس المؤمنون، ستارة الخيال
أى أنهم لم ينظروا مناصرا غير الله فى كل مكان
الصراخ فى كل طريق للانسان الترابى
ونثروا الحبوب ونشروا الأفخاخ
اطلب الهمة من باطن الشيخوخ المبكرين صباحا
لانهم طلبوا واحدا من العالمين[١]

ومـــن حيث ندري أو لا ندري، وعلـــى العموم من منطلق الغفلة ومن دون أن نعتبـــر أن لنا تكليفا أمام الله المتعال والذوات المقدســـة، فاننـــا نلجأ إليهم أثناء مواجهة المصاعب والمشـــاكل. وننظر إليهم بنظرة دار الشـــفاء تارة ودار العجزة تارة أخرى، ونلتمسهم؛ لكن ومع زوال الشدة والبلاء، نعود مرة أخرى ومرة أخرى من منطلق الغفلة إلى ما كنا عليه، إلى أن تنزل شدة أخرى ومن ثم صفقة باتجاه واحـــد وظالمة؛ وكأننا نطلب منهم قضاء حوائجنا وحســـب. ويوصي الله تعالى، النبي **عيسى**عليه السلام:

«يَا عِيسَـــى لَا يَغُرَّنَّكَ الْمُتَمَرِّدُ عَلَيَّ بِالْعِصْيَـــانِ يَأْكُلُ رِزْقِي وَيَعْبُدُ غَيْرِي ثُمَّ يَدْعُونِي عِنْدَ الْكَرْبِ فَأُجِيبُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فَعَلَيَّ يَتَمَرَّدُ أَمْ بِسَـــخَطِي يَتَعَرَّضُ فَبِي حَلَفْتُ لَآخُذَنَّهُ أَخْذَةً لَيْسَ لَهُ مِنْهَا مَنْجًى وَلَا دُونِي مَلْجَأٌ أَيْنَ يَهْرُبُ مِنْ سَـــمَائِي وَأَرْضِي يَا عِيسَى قُلْ لِظَلَمَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَدْعُونِي وَالسُّحْتُ تَحْتَ أَضْغَانِكُمْ – وَالْأَصْنَامُ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنِّي آلَيْتُ أَنْ

١. **فروغي بسطامي**, «ديوان الأشعار»، الغزليات, الغزل رقم ٢٢٦.

أُجِيبَ مَنْ دَعَانِي وَأَنْ أَجْعَلَ إِجَابَتِي إِيَّاهُمْ لَعْناً عَلَيْهِمْ حَتَّى يَتَفَرَّقُوا...»[١]

نجاة المضطر والمشمول بالرحمة

وكـــم هي كثيرة الأيدي التي ترتفع نحو الســـماء، وقليلة التي تعود وهي مليئة باستجابة الدعاء.

ولاستجابة الدعاء، وردت شروط مختلفة وآداب عسى أن ينال المحتاج، طلبه وتُقضـــى حاجته. إن أبواب الرحمة والإجابة مفتوحة على الدوام. وقال **الإمام علي أمير المؤمنين**عليه السلام:

«يســـرنى من القرآن كلمة أرجوها لمن أســـرف على نفسه قال: «عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَـاءُ وَرَحْمَتِي وَسِـعَتْ كُلَّ شَيْءٍ»[٢] **فجعل الرحمة عموما والعذاب خصوصا.»**[٣]

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«أوحى الله عزّ وجلّ إلى داودعليه السلام**: «يَا دَاوُدُ كَمَا لَا تَضِيقُ الشَّـمْسُ عَلَى مَنْ جَلَسَ فِيهَا كَذَلِكَ لَا تَضِيقُ رَحْمَتِي عَلَى مَنْ دَخَلَ فِيهَا»**[٤]

ومجمل القضية معطوف على «**مَنْ دَخَلَ فِيهَا**». ومن أقحم نفسه في **جغرافيا رحمة اللّه**، فانه ينتفع منها بالضرورة. وإن أنزلت الســـماء قطرها على الأرض لالف سنة، فلن تدخل قطرة ماء إلى الإناء المقلوب. إن من يدير ظهره إلى السماء، فانه يعـــود خالي الوفاض. وفي وقـــت الدعاء وطلب النجاة، يجب أن نتعلق باحضان المجيب تماما، مع قطع الرجاء عن كل ما هو سواه؛ وإلا فان من احتفظ في قلبه حبيبين، فلن يصل إلى أي منهما.

وفي الآية المباركة:

---

١. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ٨، ص ١٣٣.
٢. سورة الأعراف، الآية ١٥٦.
٣. **ابن أبي الحديد**، «شرح نهج البلاغة»، ج ٢٠، ص ٣٤٤.
٤. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «الأمالي»، طهران، كتابجي، الطبعة السادسة، ١٣٧٦هـ .ش.، صص ٣٠٥-٣٠٦.

«أَمَّنْ يُجيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوء»[١]

إن الاضطرار هي الحالة الباطنية للعاجز المسكين الذي يتوجه عندما لا يبقى لــه مفر من البلاء والمصيبة، وبكل وجوده إلى حضرة المســتغني البصير والقوي والغني ويســأل منه اســتجابة الدعاء. إن هذا الحال، هو حال مســافر السفينة المتحطمــة في ليلة ظلمــاء عاصفة؛ ولا يرى أي منقذ ينجيــه. إن موضع إجابة الدعاء هو ها هنا، وأقرب حالة للسائل ومركز أمله ورجائه لنيل مطلبه وما يتمناه.

«فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ»[٢]

لذلك يســتلزم تحقق شرطين من جميع الأســباب المادية للاضطرار واليأس لإجابة الدعاء.

وفــي هذه الحالة الاضطرارية، يســتغرق المضطر بــكل وجوده في رحمة الله وعنايته، ويكون بشــكل ما، منه وإليه. ظهور مَحْرَم ينطوي بحد ذاته على التوافق والنصر والغلبة على المشــاكل، وربما هذا الموضــوع هو ترجمان للآية المباركة: **«حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبُون»**[٣]

وفي هذه المرتبة، ينفصل الســائل عن كل انسان وكل مكان، يرتدي الإحرام من دون أي عقدة وقيد، ويطوف حول كعبة الآمال ولذلك يصبح من **أهل الحرم**، وينال مقصوده في ذاته وباطنه. وحسبما يقول الشاعر **حافظ**:

لقد جئت فقيرا ومرهقا إلى حضرتک طالبا الرحمة
فليس ثمة مستمسک أتمسک به غيرک
وليس أی حائل يحول بين العاشق والمعشوق
أنت حجاب نفسک، أيا حافظ فانهض

وربما يمكن القول أن الرجوع إلى حضرة الحق واستجابة الدعاء بمعناه التام، هو **الدخول في مسلك الحق**. ونقرأ في «الآية ٨٩ من سورة الأعراف»:

---

١. سورة النمل، الآية ٦٢.
٢. سورة العنكبوت، الآية ٦٥.
٣. سورة المائدة، الآية ٥٦.

«قَـد افْتَرَيْنا عَلَى الله كَذِباً إنْ عُدْنا فـى مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْها وَما يَكُونُ لَنا أنْ نَعُودَ فيها»

عن **عبد الواحد بن حسّان العجلىّ** عمّن حدّثه عن **الإمام على**عليه السلام:

"اللّهـمّ إليک رفعت الأبصار وبسـطت الأيدى ونقلـت الأقدام ودعت الألسـن وأفضت القلوب وتحوكم إليک فى الأعمال فاحكم بيننا وبينهم بالحق وأنت خير الفاتحين...»[1]

والدخـول في **ملة الحق**، هو عبارة «من دخـل فيها» والتي أوحيت إلى النبي **داود**عليه السلام.

ومن يتجاوز حدود وجغرافيـا الأنانية والكبر، ويدخل جغرافيا **العبودية**، يصبح من ولاية المؤمنين والمشمولين برحمة حضرة الحق، ويتنزه من اللعنة والحرمان.

كن نصيرا للمؤمنين إذ أنه فى سفينة نوح
ثمة تراب لا يشترى الطوفان بالماء!

إن قصـة الابتـلاءات الصعبة التي حلـت بالأنبياء والأوصيـاء، هي القصة الطويلة واللافتة للنجاة واستجابة دعائهم من لدن الله تعالى بوقت هبوط الصعاب والمشقات. إن كلا منهم عاش في محاصرة الشدائد وحقد المشركين والمعاندين ودسائس ابليش وجنوده، في الخوف والخطر، ومروا بعقبات وحواجز كثيرة للمضي قدما بمهمتهم الموكلة إليهم.

إن الروايات والأحاديث الواردة عن المعصومينعليهم السلام حافلة بالتوصيات العديدة للنجاة من الشـدائد والفتن. إن هذه التوجيهات تتوجه بشكل عام إلى المؤمنين، وأن التوصيات والوصايا هي حرز عام للحماية والتي تحفظ المؤمنين من الأضرار؛ بحيث قال رسول اللهصلى الله عليه وآله:

«نجاة المؤمن فى حفظ لسانه.»[2]

---

١. **نصر بن مزاحم**، «وِ صفّين»، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ .ق.، ص ٢٣١.
٢. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ٢، ص ١١٤.

إن المسيئين، ليسوا كلهم بالضرورة من الشياطين والكفار والطواغيت؛ كما أن جميع المسيئين لا يمكن رؤيتهم، ولا يتصرفون وجها لوجه. إن السهام السامة للحاسدين والنمامين والشماتين والمغتابين، ووساوس الخناسين والنفاثات في العقد وطلاسم (السحرة)، أطاحت وقضت في كل عصر وزمان وفي كل مدينة وديار، بالعديد من المؤمنين وتطرحهم في الفتنة والبلاء والهلاك.

وقال **الإمام علي أمير المؤمنين**عليه السلام:

«فإنّ تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد وعتق من كلّ ملكة ونجاة من كلّ هلكة بها ينجح الطّالب وينجو الهارب وتنال الرّغائب.»[١]

وقدم المعصومون عليهم السلام عوامل وأسبابا للنجاة من الهلاك واعتبروا التوكل والتقية والصبر والإيمان والقرآن، بمنزلة عوامل للنجاة والخلاص وعلاج الآلام وحصانة من السيئات والآفات.

وقال الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

«الثّقة بالله وحسن الظّنّ به حصن لا يتحصّن به إلّا كلّ مؤمن والتّوكّل عليه نجاة من كلّ سوء وحرز من كلّ عدوّ.»[٢]

الصّبر مفتاح الفرج!

وروي:

«أنّ دانيال عليه السلام كان في زمان ملك جبّار عات فأخذه وطرحه في جب وطرح معه السّباع فلم تدن منه ولم تجرحه فأوحى الله تعالى إلى نبيّ من أنبيائه أن ائت دانيال بطعام فقال: يا ربّ وأين دانيال؟ قال: تخرج من القرية فيستقبلك ضبع فاتّبعه. فإنّه يدلّك عليه... فأتى به الضّبع إلى ذلك الجبّ وإذا فيه دانيال فأدلى إليه الطّعام فلمّا رأى دانيال الطّعام بين

---

١. «نهج البلاغة» صبحي صالح، الخطبة ٢٣٠.

٢. **الديلمي، حسن بن محمّد**، «إرشاد القلوب إلى الصواب»، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ .ق.، ج ١، ص ١٠٩.

يديه قال:

الحمد لله الّذى لا ينسى من ذكره والحمد لله الّذى لا يخيّب من دعاه والحمد لله الّذى من توكّل عليه كفاه والحمد لله الّذى من وثق به لم يكله إلى غيره والحمد لله الّذى يجزى بالإحسان إحسانا وبالسّيّئات غفرانا و بالصّبر نجاة.»[١]

ولا يترك الله العليم الحكيم، عباده من دون درع وحائل في الحرب ضد الشياطين، لكي لا يبادوا.

عن **أبى عبد الله**عليه السلام:

«إنّ جبرئيلعليه السلام **نزل على النّبىّ**صلى الله عليه وآله **يخبر عن ربّه، فقال له: «يا محمّد، إنّى لم أترك الأرض إلّا وفيها عالم يعرف طاعتى وهداى، ويكون نجاة فيما بين قبض النّبىّ إلى خروج النّبىّ الآخر، ولم أكن أترك إبليس يضلّ النّاس وليس فى الأرض حجّة لى، وداع إلىّ، وهاد إلى سبيلى، وعارف بأمرى، وإنّى قد قيّضت لكلّ قوم هاديا أهدى به السّعداء ويكون حجّة على الأشقياء.»**[٢]

أمة الحق، تؤدي إلى النجاة

وأثناء رحلته من المدينة إلى مرو، توقف **الإمام الرضا**عليه السلام في «نيشابور» وقوبل بطلب من الناس بان يتلو عليهم حديثا عن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله. فامر الإمامعليه السلام بان تتوقف القافلة وأخرج رأسه من الهودج. وكانت أصوات البكاء تتعالى من كل مكان وعبرات الفرح تنهمر من أعين ألوف الناظرين.

واستمر الزحام حتى الظهر إلى أن أصبح الجميع جاهزين للإصغاء إلى كلام سبط النبي الأكرمصلى الله عليه وآله. وسكت الجميع وأصغوا لكي يكتب أربعة وعشرون من

---

١. **ابن فهد الحلي، أحمد بن محمّد**، «عد الداعي ونجاح الساعي»، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ .ق.، ص ٩٣.
٢. **ابن بابويه، علي بن الحسين**، «الإما والتبصر من الحير»، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ .ق.، ص ٢٥.

حملة الأقلام، الحديث الذي ينقله الإمام عليه السلام. الحديث الذي عرف لاحقا باسم حديث «سلسلة الذهب». وذلك بسبب اتصال رواته بسلسلة المعصومين عليهم السلام (رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمّة الهدى عليهم السلام) و**جبرائيل الأمين** عليه السلام.

عن **إسحاق بن راهويه** قال:

لمّا وافى أبو الحسن الرّضا عليه السلام «نيسابور» وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا ابن رسول الله ترحل عنّا ولا تحدّثنا بحديث فنستفيده منك وكان قد قعد فى العمّاريّة. فأطلع رأسه و قال عليه السلام:

«سمعت أبى موسى بن جعفر يقول سمعت أبى جعفر بن محمّد يقول سمعت أبى محمّد بن علىّ يقول سمعت أبى علىّ بن الحسين يقول سمعت أبى شالحسين بن علىّ يقول سمعت أبى أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام يقول سمعت النّبىّ صلى الله عليه وآله يقول سمعت الله عزّ و جلّ يقول: «لا إله إلّا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى.»

فلمّا مرّت الرّاحلة نادانا:

«بشروطها وأنا من شروطها.»[1]

بعبارة أخرى، فان الإمام الرضا عليه السلام اعتبر ولاية أهل البيت عليهم السلام شرط الدخول إلى حصن التوحيد المنيع والبقاء بمأمن عن العذاب.

واعتبر الإمام عليه السلام أن الكلمة الطيبة «لا إله إلا الله» هي شرط البقاء في أمان من العذاب والعقوبة، وشبهها بالحصن المنيع الذي إن دخلوا فيه، يبقوا في أمان تام.

إن هذا الأمان يشتمل على النجاة من عقوبة يوم القيامة والأمان من الكثير من البلايا والآفات الدنيوية الجلية والخفية؛ وطبعا فان موضوع **الامتحان والابتلاء** الذي هو سنة الله المتعال وحصل ويحصل لجميع كائنات العالم، غير مستثنى

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «عيون أخبار الرّضا عليه السلام»، ج ٢، ص ١٣٤.

من ذلك.

وأعلن الإمام عليه السلام بان **الشـرط اللازم** للدخول إلى الحصن المنيع هو **ولاية أهل البيـت** عليهم السلام. ويقال اصطلاحا بان للحصن المنيع بابا ومدخلا وممرا لا يمكن من دونـه الدخول إلى هذا الحصن. إن حارس هذا الحصن، لا يرخص الدخول لأي أحد؛ إلا إذا كان يعرف كلمة المرور ويأتي على ذكر الشرط اللازم ألا وهو الولاية.

ونقل **الإمام علي بن موسى الرضا** عليه السلام حديثا قدسيا اخر عن أجداده الكرام يشبه كثيرا حديث سلسلة الذهب الذي أدلى به في جمع أهالي نيشابور.

حدّثنا علىّ بن بلال عن علىّ بن موسى الرّضا عليه السلام **عن أبيه عن آبائه عن على بن أبى طالب** عليه السلام **عـن النّبىّ** صلى الله عليه وآله **عن جبرئيل** عليه السلام **عن ميكائيل** عليه السلام **عن إسرافيل** عليه السلام **عن اللّوح عن القلم قال: «يقول الله عزّ وجل:**

«ولاية على بن أبى طالب حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى.»[1]

إن **ولاية علي بن أبي طالب** عليه السلام هو الشرط اللازم الوارد في كلام الإمام الرضا عليه السلام الذي قال خلال تبيان حديث سلسلة الذهب «بشروطها وأنا من شروطها»، إذ أن موضوع الدخول إلى الحصن المنيع لن يتحقق من دون هذا الشـرط. وبالأحرى، فان الله تعالى قد قدم في هذين الحديثين القدسـيين، حصنه التوحيدي الذي هو ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمّة الهدى عليهم السلام.

إن عترة الوحي وخلال سـلوك المدارج والمراتب التوحيدية قد نالت بإذن الله، الوحـدة والتقرب إلى عتبة حضرة الحق، بحيث أنهـا بوصفها خليفة الله، تحوز جميـع الصفات الكمالية لله المتعالى والأسـماء الحسـنى المباركة، وأن جميع المؤمنيـن والمؤمنات، يطلبون التقرب إلى حضرة الحق بالضرورة عن طريق تقرب وولاية تلك الأسماء المباركة والخلفاء المصطفين، وما عدا ذلك، فليس ثمة سبيل للتقرب إلى تلك الساحة الرفيعة والسامية.

إن عبارات مذهلة بما فيها **باب الله وسـبيل الله وصراط الله**، والتي وردت على

---

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «عيون اخبار الرّضا عليه السلام»، ج ٢، ص ١٣٦.

لسان المعصومين عليهم السلام في شأن مقام ومنزلة هؤلاء الذوات المقدسة لدى الله المتعال، مؤشر على هذا المعنى، أي انحصار أعلى وأسمى المراتب التوحيدية لما سوى الله وأرفع مرتبة تقربهم إلى الله المتعال، تنحصر على هؤلاء الذوات المقدسة والتوحد معهم في الصفات الكمالية.

إن هذا الأمر يعد بحد ذاته من الألطاف الإلهية؛ لانه لا تتوافر لأي من سكان عالم الإمكان وبسبب شدة النقصان والضعف، إمكانية الوصول إلى مقام ذات ومرتبة «**قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى**»[١] والتي وصل إليها رسول الله صلى الله عليه وآله في ليلة المعراج.

وقد جعلهم الله تعالى، **واسطة التقرب** إليه وجعل التوحيد معهم بمنزلة التوحيد معه وحصنهم الحصين، حصنه الحصين وحبهم، حبه و... لكي لا يبقى أي كائن من دون انتفاع ونصيب من التقرب إلى الله ونعمائه وعطائه وأمنه. وبلغة مبسطة، فانهم أي أهل البيت عليهم السلام يتصرفون في الكون بإذن الله، وإن كان غير ذلك، لما كان أي كائن يحصل على نصيب من البارئ العظيم الرحيم والكريم والرحمن وصاحب النعم.

ونقرأ في الزيارات:

«**السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ...**»[٢]

أينَ تذهبون؟

إن بيت محمد وعلي وفاطمة عليهم السلام، هو بيت الله المتعال، ومهبط الوحي، ومجرى الصدور وواسطة فيض الله لجميع سكان ما سوى الله.

«**إِنَّمَا مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ...**»[٣]

---

١. سورة النجم، الآية ٩.

٢. **المجلسي، محمّد باقر**، «زاد المعاد – مفتاح الجنان»، ص ٢٩٦.

٣. **ابن أبي زينب، محمّد بن إبراهيم**، «الغيبة للنعماني»، ص ٤٤؛ **الهلالي، سليم بن قيس**، «كتاب سليم بن قيس الهلالي»، ج ٢، ص ٥٦٠؛ **الطوسي، محمّد بن الحسن**، «الأمالي»، قم، دار الثّقافه، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .ق.، ص ٦٠.

إن سفينة **نوح**عليه السلام هي تلك الكلمة الطيبة، والحصن المنيع والآمن، وهي ولاية **علي بن أبي طالب**عليه السلام. لقد أرسي أساس العالم هكذا؛ لا أن يكون عارضا على الكون.

إن **علم الكون الولائي**، يفهمنا بان شكل وأساس خلق العالم منذ اليوم الأول، بني هكذا، لذلك فان بقي أحد تكوينا، خارج هذا الحصن وهذه السفينة وبالتالي، **جغرافيا ولاية أهل البيت**عليهم السلام هذه، سيهلك كما هلك ابن نوح. ولا ينطوي العالم على حصن آخر وسفينة أخر يمكن اللجوء إليهما.

وحسب السنة والقانون المندرج في عالم الفيزياء، فان البحر الهائج والمائج، يُغرق الانسان ويُهلكه. إن أمواج الابتلاءات، تهلك كل من تخلف عن سفينة أهل البيتعليهم السلام، ولا مفر من ذلك.

إن القواعد والسنن المندرجة والمنطوية في الكون، أقوى ألف مرة وهي حتمية الوقوع نسبة إلى القوانين الفيزيائية التي تسود الظواهر المادية.

إن ما يدعم هذه الوحدة والكمالات التي لا تحصى لأهل البيتعليهم السلام، هو **أفضليتهم** على جميع ما سوى الله، **وأولويتهم** في الخلق الروحي والنوري، قبل خلق سائر العوالم الملكية والملكوتية، **وعصمتهم** وطهارتهم من أي رجس **واصطفائهم** من قبل الله المتعال، كخليفة الله في الأرض، بحيث ورد في «آية التطهير»:

«**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا**»[1]

ويقول **الإمام الهادي**عليه السلام في «الزيارة الجامعة الكبيرة»:

«**وَأَشْهَدُ أَنَّكُمُ الْأَئِمَّةُ الْهُدَاةُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ... الْمَعْصُومُون... وَأَيَّدَكُمْ بِرُوحِه، وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِه، وَحُجَجاً عَلَى بَرِيَّتِه، وَأَنْصَاراً لِدِينِه، وَحَفَظَةً لِسِرِّه... وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيدِه، وَشُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِه، وَأَعْلَاماً لِعِبَادِه...**»[2]

ولذلك فان الله المتعال، فوضهم مفتاح فتح كافة الأقفال وإنقاذ جميع

١. سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

٢. **ابن المشهدي، محمّد بن جعفر**، «المزار الكبير»، قم، مكتب الإصدارات الإسلامية التابع لرابطة مدرسي الحوزة العلمية بقم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ .ق.، صص ٥٢٦-٥٢٧.

الكائنات.

الإنقاذ منذ أمس وإلى الأبد!

إن الكلام والعبارات الواردة في الأدعية والزيارات والروايات، تكشف الستار عن الحقائق المندرجة والمنطوية في أركان الكون والوجود؛ لا أن تكون قد اصطنعت وصدرت في عصر البعثة والإمامة على لسان المعصومين عليهم السلام، وإن لم تكن تبين على لسانهم، لكان هذا السر يبقى خافيا على جميع خلق العالم؛ لانه لم يكن ثمة عالم يتمتع بعلم في هذا المجال؛ إلا أن يكون قد سمع ذلك عنهم.

إن كلا من الأنبياء الإلهيين العظام كان على علم وفقا لطاقة وجوده بهذا السر الكامن، ويعترفوا ويتوسلوا به ويستفادوا من ثمراته وإمكانه للخلاص من المآزق والأزمات، ويطلبوا طريق النجاة والخلاص؛ مثلما أن المؤمنين والمعتقدين يستفادون اليوم من الرصيد المعنوي والولائي لأهل البيت عليهم السلام لإنقاذ أنفسهم ويحصلون على النتيجة والجواب من خلال التمسك به والتوسل إليه. أردت القول أن عنصر الإنقاذ السامي كان في الثقافة الولائية لأهل البيت عليهم السلام حيا وفعالا ومسؤولا منذ فجر الخليقة، وحاضرا في جميع تقلبات الحياة، في ساحة الكون والوجود، وهو اليوم ملموس ومحسوس لدى المؤمنين وحتى غيرهم. بعبارة أخرى، وبينما يعيش سكان هذه المنطقة الثقافية في حالة انتظار لقدوم المنقذ العام في آخر الزمان، ويرون أنه بجانبهم في أي حال ووضع من أجل إصلاح الأمور ويرون أن من الممكن والمتيسر الوصول إليه وطلب الحاجة منه في كل لحظة وآن.

ونقل عن **الإمام الباقر** عليه السلام:

«أيّها النّاس إنّ أهل بيت نبيّكم شرّفهم الله بكرامته وأعزّهم بهداه... ونجاة لمن تبعهم...»[١]

وقال **الإمام الرضا** عليه السلام في تبيان إحدى خصال وصفات الإمام المعصوم عليه السلام:

١. **الكوفي، فرات بن إبراهيم**، «تفسير الفرات للكوفي»، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ .ق.، صص ٣٣٧-٣٣٨.

«الإمام الماء العذب على الظّمإ والدّالّ على الهدى والمنجى من الرّدى.»[1]

وليست ثمة مشكلة في درك هذا المعنى في سبيل التعرف والاستئناس بالمنظومة النظرية الإلهية. إن من خلق العالم والانسان هو الأكثر وعيا تجاه كم وكيف خلق الكائنات واحتياجاتهم المادية والثقافية وطبعا التهديدات الخفية والعلنية. لذلك فانه يُنتظر مِن مَن يُسمى بالأسماء المقدسة والمتبركة الرحمن والرحيم والرازق والهادي و... واعتبر المجتبين من عباده من بين مائة واربعة وعشرين ألف نبي وألوف الأوصياء في هيئة أهل بيت النبوة بالأسماء الحسنى وقدم كخليفة الله، الانسان الكامل والحائز على الولاية الكلية التصرفية والحجة والامام، بان يكون منقذه حاضرا دائما في الأرض والسماء والحد من تطاول جنود الشيطان على روح وجسم المؤمنين؛ إن من قدموا بوصفهم الحصن المنيع وأن ولايتهم هي عين ولاية الله وأن قدرة تصرفهم وعملهم، هي عين قدرة الله وأن أيديهم مفتوحة في كل الساحات.

عن **أسود بن سعيد** قال:

كنت عند أبى جعفر عليه السلام فأنشأ يقول ابتداء من غير أن يسأل:

«نحن حجّة الله ونحن باب الله ونحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله فى خلقه ونحن ولاة أمر الله فى عباده.»[2]

وبالضرورة وبما أن شأنهم ومقامهم أفضل وأشرف وأولى في الساحات الوجودية، على جميع السكان ما سوى الله (من الأولين والآخرين) فان قدرة تصرفهم وميدان وجودهم ونطاق عملهم أفضل وأشرف كذلك ومشرفون على جميع القدرة والعلم والعمل ما سوى الله والمؤثر في جميع الساحات والعوالم؛ بلا أي قيد وشرط، بإذن الله تعالى.

وتبيانا لما مضى على الأنبياء والرسل من النبي آدم عليه السلام إلى عصر خاتم

---

١. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ٢٠٠.

٢. **الصفّار، محمّد بن حسن**، «بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد عليهم السلام»، ج ١، ص ٦١؛ **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ١٤٥.

المرسلين عليهم السلام، فان ذرية العصمة والطهارة هم المنقذون والمنجون في الساحات النورية والروحية، وأن أيديهم الفاتحة للعقد والمشاكل، قد أنقذتهم وأممهم من الهلاك.

وقال **الإمام الحسن عسكري** عليه السلام في تفسير آيات «سورة البقرة»:

«قال الله عز وجل: «إِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ»[1] «فَأَنجَيْنَاكُمْ» عندها أغرقنا فرعون وقومه؛ «وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ»

«وذلک أنّ موسى عليه السلام لمّا انتهى إلى البحر، أوحى الله عزّ وجلّ إليه: قل لبنى إسرائيل جدّدوا توحيدى - وأمرّوا بقلوبكم ذكر محمّد سيّد عبيدى وإمائى، وأعيدوا على أنفسكم الولاية لعلىّ أخى محمّد وآله الطّيّبين، وقولوا اللّهمّ بجاههم جوّزنا على متن هذا الماء. فإنّ الماء يتحوّل لكم أرضا.»

فقال لهم موسى ذلک. فقالوا: أ تورد علينا ما نكره، وهل فررنا من [آل] فرعون إلّا من خوف الموت وأنت تقتحم بنا هذا الماء الغمر بهذه الكلمات، وما يدرينا ما يحدث من هذه علينا؟

فقال لموسى عليه السلام كالب بن يوحنّا وهو على دابّة له، وكان ذلک الخليج أربعة فراسخ - : يا نبىّ الله أمرک الله بهذا أن نقوله وندخل الماء؟ فقال: نعم. قال: وأنت تأمرنى به قال: بلى.

فوقف وجدّد على نفسه من توحيد الله - ونبوّة محمّد وولاية علىّ بن أبى طالب و الطّيّبين من آلهما ما أمره به، ثمّ قال: اللّهمّ بجاههم جوّزنى على متن هذا الماء.

ثمّ أقحم فرسه، فركض على متن الماء، وإذا الماء من تحته كأرض ليّنة حتّى بلغ آخر الخليج، ثمّ عاد راكضا، ثمّ قال لبنى إسرائيل: يا بنى إسرائيل أطيعوا موسى فما هذا الدّعاء إلّا مفتاح أبواب الجنان، ومغاليق

---

١. سورة البقرة، الآية ٥٠.

أبـواب النّيـران، ومنـزل الأرزاق، وجالب على عبـاد الله وإمائه رضى [الرّحمن] المهيمن الخلّاق.

فأبوا، وقالوا: [نحن] لا نسير إلّا على الأرض. فأوحى الله إلى موسى عليه السلام: «أن اضْـربْ بعَصاكَ الْبَحْرَ»[1] وقل: «اللّهُـمَّ بجَاه مُحَمَّد وَآله الطَّيِّبينَ لَمَّا فَلَقْتَهُ.» ففعل، فانفلق، وظهرت الأرض إلى آخر الخليج. فقال موسى عليه السلام: ادخلوها.»[2]

عن عبد الرحمن بن سمرة، قال:

قلت: يا رسول الله، أرشدنى إلى النجاة. فقال صلى الله عليه وآله:

«يا ابن سـمرة، إذا اختلفت الأهواء، وتفرقت الآراء، فعليک بعلى بن أبى طالـب، فإنه إمام أمتى، وخليفتى عليهم من بعـدى، وهو الفاروق الذى يميز بين الحق والباطل، من سـأله أجابه، ومن استرشـده أرشـده، ومن طلـب الحق من عنده وجده، ومن التمـس الهدى لديه صادفه، ومن لجأ إليـه آمنه، ومن استمسـک به نجاه، ومن اقتدى به هداه. يا بن سـمرة، سلم من سلم له ووالاه، وهلک من رد عليه وعاداه. يا بن سمرة، إن عليا منى، روحـه من روحى، وطينته من طينتى، وهـو أخى وأنا أخوه، وهو زوج ابنتى فاطمة سـيدة نسـاء العالمين من الاولين والآخرين، إن منه إمامى أمتى، وسيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين، وتسعة من ولد الحسين، تاسـعهم قائم أمتى، يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما.»

---

١. سورة الشعراء، الآية ٦٣.

٢. **الحسن بن علي، الإمام الحادي عشر** عليه السلام، «التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام»، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .ق.، صص ٢٤٥-٢٤٦.